

مجلة جامعة دمشق

للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية

مجلة علمية محكمة


إشبيلية
للدراسات والنشر والتوزيع
دمشق – سورية

مجلة

جامعة دمشق

للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية



مجلة علمية محكمة دورية

المجلد ١٤ ـ العدد الثاني ـ ١٩٩٨

شروط النشر في مجلة جامعة دمشق

للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية

تقبل المجلة البحوث العلمية المبتكرة في العلوم الإنسانية والتربوية باللغة العربية أو بإحدى اللغات الحية، على أن تحقق الشروط التالية:

١- أن يكون البحث جديداً ولم ينشر مضمونه من قبل.

٢- يوضع اسم الباحث وصفته العلمية وعنوانه باللغتين العربية والإنكليزية تحت عنوان البحث مباشرة.

٣- يكتب على ورقة مستقلة عنوان البحث واسم صاحبه وصفته العلمية مع ملخصين عن البحث أحدهما باللغة العربية والآخر بإحدى اللغتين الانكليزية أو الفرنسية على ألاّ يتجاوز كلّ منهما /١٥٠/ كلمة.

٤- ترسل ثلاث نسخ من البحوث مطبوعة على وجه واحد من الورق 210 × 297 مم (A4) ومنضدة على الحاسوب (وفق القياس والنموذج المنشور في هذا العدد)، ويرفق مع هذه النسخ «الديسك» .

٥ـ يجب ألا يتجاوز عدد صفحات البحث /٣٠/ صفحة بما في ذلك الأشكال والرسوم والجداول والصور والمراجع.

٦- توضع قائمة بالمراجع في آخر البحث على ورقة أو أوراق مستقلة وفق الترتيب الألفبائي لأسماء أسر المؤلفين ودون أرقام.

٧- يُتجنب الاختزال مالم يُشر إلى ذلك.

٨- يقدم كل من أشكال البحث مرسوماً بالحبر الأسود على ورقة مستقلة لاتتجاوز أبعادها أبعاد الصفحة النموذجية.

٩- تقدم الصور واضحة على ورق صقيل بأبعاد بطاقة البريد.

١٠- يُضمّن البحث المقابلات الأجنبية للمصطلحات العربية المستخدمة مرة واحدة عند ورودها لأول مرة.

١١- تخضع البحوث المقدمة للتقويم لبيان مدى صلاحيتها للنشر.

١٢- لاتعاد البحوث إلى أصحابها إذا لم تُقبل للنشر.

١٣- يحصل الباحث (الباحثون) على ثلاث نسخ من العدد الذي ينشر فيه البحث.

١٤- تتم جميع المراسلات باسم:

مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية ــ دمشق ــ الجمهورية العربية السورية

ص.ب: 5735 ــ هاتف: 2215743 ــ فاكس: 2129807

المحتوى

دراسة إحصائية تحليلية لاتجاهات الأمطار في بعض المواقع في سوريا

د. نادر صيام
قسم الجغرافيا ــ كلية الآداب
جامعة دمشق

الملخص

لقد بينت دراسة الاتجاهات المطرية [1] في عشرين محطة في سورية أنه يجب فحص الأهمية الإحصائية للاتجاهات المشتقة بأي طريقة لتحديد أكانت جوهرية حقيقية أم ظاهرية تحدث بالمصادفة. ويجب عدم اعتمادها البتة دون إجراء هذا الفحص. لذلك فإن الاتجاهات المطرية المشتقة بطريقة المتوسطات المتحركة تقريبية غير موائمة، ليس لأنها غير دقيقة فقط بل لعدم إمكان فحص أهميتها الإحصائية أيضاً.

ويفضل لهذا الغرض استخدام الاتجاهات المشتقة بالطرق الرياضية مثل طريقة المتوسطات النصفية (Semi-means) وطريقة علاقة انحدار الخط المستقيم (Straight-line regression) المعروفة أحياناً بطريقة المربعات الصغرى (least squares method) لأنها أكثر دقة ويمكن تحديد أهميتها الإحصائية.

يجب فحص الاتجاهات المطرية المشتقة بطريقة المتوسطات النصفية قبل اعتمادها بطريقة فحص الأهمية الإحصائية للفرق بين المتوسطات

---

[1] يشتمل التهطال على كل من الأمطار والثلج والبرد والندى. لكن بما أن معظمه يحدث في سورية على شكل أمطار. استخدمت في هذه الدراسة كلمة الأمطار عوضاً عن التهطال للدلالة على كل أشكال التهطال المختلفة.

$|x1 - x2| / S.E$ ،2 وبطريقة الفحص (*t*) ستيودنت (*t student's test*) الإحصائي.

تظل الاتجاهات المطرية المشتقة بعلاقة انحدار الخط المستقيم الأكثر دقة من غيرها. ويجب عند استخدامها أن تجري فحوص الأهمية الإحصائية لكل من معامل ارتباطها (*r*) ومعامل انحدارها (*b*) بطريقة الفحص *t* الإحصائي أيضا. وحساب معامل تقريرها أو تفسيرها (r^2) والخطأ المعياري للتقدير (*S.E*) وحساب النسبة المئوية للانحراف المعياري (σ%)، والأهم من ذلك كله حسب القيمة الحقيقية لمعامل الانحدار (*b*) عند مستوى الأهمية الإحصائية ٩٥٪.

لاحظت الدراسة وجود اتجاهات مطرية ضعيفة متزايدة في ٦ محطات ومتناقصة في ١٤ محطة، وأثبتت الفحوص الإحصائية المختلفة عدم أهميتها جميعها إحصائيا، وهي جميعا ظاهرية غير جوهرية أو حقيقية، ومرفوضة إحصائيا وتحدث مصادفة.

١- مقدمة:

لقد ظهرت منذ بداية العقد السابع من هذا القرن، بعيد حدوث كارثة المحل الشهيرة التي اجتاحت إقليم السهل[1] السوداني الإفريقي ومناطق أخر من العالم، دراسات عديدة (ونستانلي Winstanley ١٩٧٣ و ١٩٧٤ – هوتن وودويل ١٩٨٩ – شنيدر ١٩٩٠) تعتقد بأن مناخ الأرض يتغير ويتجه نحو الجفاف.

وكما يبدو فإن هذه الفكرة قد أثرت في كثير من الباحثين، الذين عمدوا بدورهم إلى الاهتمام بها والعمل على تأكيدها.

فلجأ بعضهم إلى تحليل السجلات المطرية السنوية في مواقع مختلفة من العالم بغية إيجاد علاقات إحصائية بيانية ورياضية تظهر اتجاهات مطرية متناقصة خلال سلاسل زمنية محدودة وطويلة إلى حد ما، وقد عرض هير (Hare ١٩٧٧) مثل هذه الاتجاهات في كل من أغاديس (Agadez) في النيجر، وآباتشي (Abeche) في تشاد، وأليس سبرننجز (Alice Springs) في استراليا، وجودبور في الهند، وفونيكس (Phonix) في الولايات المتحدة الأمريكية. كما وجد مثلها في بعض محطات الأقطار العربية المجاورة مثل الأردن (شحادة ١٩٧٨) والعراق (الجبوري Al-Jaboory ١٩٨٥)، وفي بعض المحطات في سورية (موسى ١٩٨٨)، وأكدت الدراسة الأخيرة وجود وجهة عامة للتناقص المطري في سورية.

عادة تستخدم في تحليل السلاسل الزمنية المطرية، وتحديد اتجاهاتها أربع طرائق إحصائية وهي: طريقة الرسم اليدوي البسيطة، وطريقة المتوسطات المتحركة

---

[1] تستخدم كثير من الدراسات تسمية الساحل السوداني الإفريقي، وهذا خطأ شائع ناجم عن تعريب التسمية عن اللفظ الأجنبي لكلمة (Sahel). وقد بين أوليفر (Oliver – ١٩٨١ ص١٧٤) أن هذه التسمية اشتقت أصلاً من كلمة (سهل) العربية التي تعني (Border) باللغة الإنكليزية لذلك فالأصح أن تستخدم تسمية السهل السوداني الإفريقي.

(Runing Means)، وطريقة المتوسطات النصفية (Semi-avreages) والطريقة الرياضية المعروفة بطريقة انحدار الخط المستقيم (Straight Line Regression) أو طريقة المربعات الصغرى (Least Squares).

لكن المثير حقاً أن تعمد الدراسات إلى رسم أو حساب خط اتجاه الأمطار خلال السلاسل الزمنية، واعتماده مكتفية باتجاهه الظاهري، دون أن تخضعه لفحص إحصائي لبيان أهميته الإحصائية ومقدار الثقة التي يتمتع بها، وبيان أكان حقيقياً أم ظاهرياً يحدث بمجرد المصادفة فالمشكلة لاتتعلق باشتقاق خط الاتجاه وحساب انحداره، وبالطريقة المستخدمة في ذلك فحسب، وإنما بالأهمية الإحصائية لهذا الاتجاه أيضاً، فالاكتفاء برسم خط الاتجاه فقط ينطوي على نتائج مضللة بقصد أو من دون قصد.

لذلك لايمكن الاعتماد على الطريقة اليدوية لرسم خط الاتجاه المطري، ليس لأنها طريقة تقريبية وغير دقيقة ويدخل العامل الشخصي فيها (قاسم وحلاق ١٩٨٨) فقط، بل لعدم إمكان إخضاعها إلى فحص يبين أهميتها الإحصائية أيضاً. وينطبق الأمر ذاته على طريقة المتوسطات المتحركة، التي بالإضافة إلى ذلك يصعب بواسطتها تحديد اتجاه الأمطار عندما يكون انحداره طفيفاً. لذلك يفضل استخدام هذه الطريقة للموازنة بين متوسطات فترات في السلسة الزمنية المطرية، وليس من أجل إيجاد علاقات مشتركة بين تغيرات الأمطار والزمن (جريجوري Gregory ١٩٧٠، ص ٢٤١ – ٢٤٢).

تعد طريقة المتوسطات النصفية من الطرق الرياضية السهلة، وتمكن من حساب اتجاه الأمطار كمياً، بالإضافة إلى إمكان إخضاع نتائجها إلى فحص الأهمية الإحصائية، ولهذا فإنها تفضل عن كل من الطريقتين السابقتين، مع تأكيد عدم اعتماد الاتجاه المشتق بواسطتها دون إجراء هذا الفحص الإحصائي للأهمية (جريجوري ١٩٧٠، ص ١٣٣ – ١٤٤، كروي Crowe ١٩٧١، ص ٥٢٣ – ٥٢٨، أوليفر ١٩٨١، ص ٢١١ – ٢١٢).

تظل طريقة علاقة انحدار الخط المستقيم (علاقة الارتباط) الرياضية أفضل وأدق الطرق جميعها، وتمكن من اشتقاق اتجاه واضح، ويمكن إخضاعه لعدة فحوص إحصائية للأهمية (جوروجوري ١٩٧٠، ص ١٨٧ – ٢٢٧ و ص ٢٤٦ – ٢٥٥، أوليفر ١٩٧٣، ص ٤٦٨ – ٤٧٣)، كما تؤكد هذه الدراسات وغيرها (كروي ١٩٧١، ص ٥٢٨ – ٥٣٠، أوليفر ١٩٨١، ص ٢٠١ – ٢٠٣) ضرورة حساب معامل ارتباط انحدار الخط المستقيم، وإخضاعه مع معامل الانحدار لفحص الأهمية الإحصائية قبل اعتماده. وتؤكد الدراسات المذكورة جميعها ضرورة استخدام معطيات مطرية صحيحة موثوق بها في عمليات حساب الاتجاهات المطرية، والابتعاد عن استخدام قيم مقدرة أو مشكوك في صحتها من أجل جعل السلسلة الزمنية أطول.

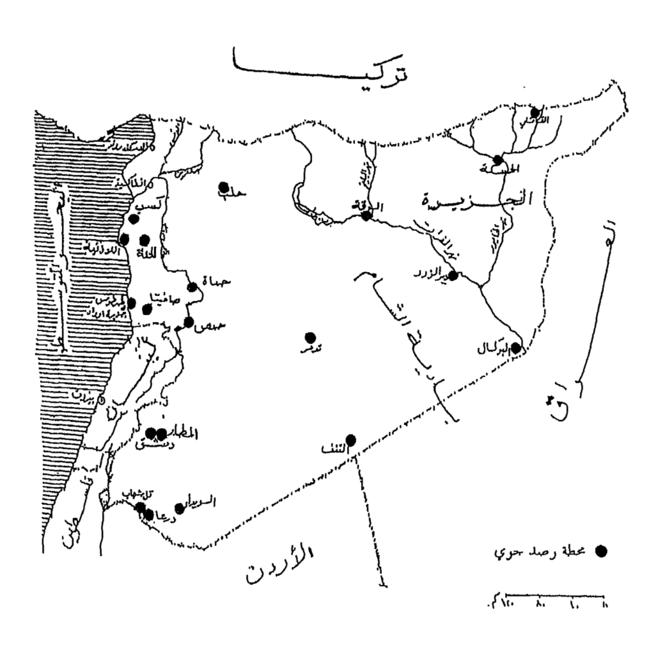
٢–أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى اشتقاق اتجاهات الأمطار خلال سلاسل زمنية لفترات طويلة قدر المستطاع في بعض من محطات الرصد الجوية الرئيسية في سورية، وإخضاع هذه الاتجاهات لشتى فحوص الأهمية الإحصائية المتوافرة للتأكد من صحتها وبيان أكانت اتجاهات حقيقية تتمتع بأهمية إحصائية عالية أم أنها مجرد اتجاهات ظاهرية ليس لها أي أهمية إحصائية مهمة وتحدث مصادفة.

٣–طرق البحث ووسائله:

استخدمت في هذه الدراسة جميع البيانات المطرية الشهرية المتوافرة لدى مديرية الأرصاد الجوية لعشرين محطة رصد رئيسية مبعثرة في أنحاء البلاد (الشكل ٣–١). ويظهر الجدول (٣–١) المواقع الفلكية لهذه المحطات على درجات العرض والطول.

تراوحت مدة البيانات المستخدمة بين ٣٣ – ٤٧ سنة في جميع المحطات عدا محطة اللاذقية التي لم يتجاوز طولها ٢٧ سنة فقط. والحقيقة توجد فترات مطرية أطول من ذلك لبعض المحطات، ويعود تاريخها إلى ماقبل عام ١٩٣١ لكنها غير دقيقة ومتقطعة (موسى ١٩٨٨). لذلك لايمكن استخدامها والاعتماد عليها في الدراسات المناخية الموضوعية، وقد نصحت مديرية الأرصاد الجوية بعدم استخدامها في تعيين الاتجاهات المطرية، والاكتفاء بالبيانات الموثوق بها والمدققة والمعتمدة من قبلها فقط.
ولتعيين الاتجاهات العامة للإمطار خلال السلاسل الزمنية لكل محطة، حسبت من البيانات المطرية الشهرية كميات الأمطار الهاطلة في كل سنة مطرية، أو زراعية (من ١ أيلول إلى ٣١ آب). فتراوح عدد السنوات المطرية المحسوبة بين ٣١ و ٤٦ سنة مطرية (زراعية) في المحطات جميعها، و ٣٦ سنة في محطة اللاذقية. ويبين الجدول (٣-١) الفترة الزمنية وعدد السنوات المطرية المستخدمة في كل محطة، بالإضافة إلى متوسط أمطار السنوات المطرية وانجرافاتها المعيارية (σ) التي حسبت في هذه الدراسة لاستخدامها في فحوص الأهمية الإحصائية للاتجاهات.
لتحديد خط الاتجاه العام للأمطار في المحطات المذكورة استخدمت طريقة المتوسطات المتحركة لمدة ١٠ سنوات في بعض المحطات من أجل الموازنة. واستخدمت كل من طريقة المتوسطات النصفية، وطريقة انحدار الخط المستقيم في المحطات جميعها.
عند استخدام طريقة المتوسطات النصفية، قسمت كل سلسلة زمنية في كل محطة إلى فترتين متساويتين، أو شبه متساويتين ــ حيث كان عدد سنوات السلسلة الزمنية مفردا.



شكل (٣-١) محطات الرصد المستخدمة في الدراسة

الجدول (٣-١):

المحطات المختارة في الدراسة، وموقع كل منها على درجات العرض والطول. والفترة الزمنية المستخدمة في كل منها محددة بعدد السنوات المطرية (١ أيلول – ٣١ آب)، والمتوسطات المطرية السنوية وانحرافاتها المعيارية (σ).

المحطة	درجة العرض شمالا /	درجة العرض شمالا °	درجة الطول شرقا /	درجة الطول شرقا °	الفترة الزمنية (السنة المطرية)	عدد السنوات	متوسط الأمطار مم	σ
دمشق المزة	٢٩	٣٣	١٤	٣٦	١٩٥١/٥٠ – ١٩٩٢/٩١	٤٢	٢١٣,١٤	٧٥,٥٢
دمشق المطار	٢٥	٣٣	٢١	٣٦	١٩٥٦/٥٥ – ١٩٩٢/٩١	٣٧	١٣٧,١١	٥٩,٢٨
التنف	٢٩	٣٣	٤٠	٣٨	١٩٥٩/٥٨ – ١٩٩٢/٩١	٣٤	١٠٥,٠٥	٥٤,٢١
سد درعا	٣٦	٣٢	٠٦	٣٦	١٩٥٩/٥٨ – ١٩٩٢/٩١	٣٤	٢٦٤,٤٩	٨٨,١٨
تل شهاب	٤٢	٣٢	٥٩	٣٥	١٩٥٩/٥٨ – ١٩٩٢/٩١	٣٤	٣٣٤,٣٢	١٠٢,٢٦
السويداء	٤٢	٣٢	٣٥	٣٦	١٩٥٩/٥٨ – ١٩٩٢/٩١	٣٤	٣٥٤,٠٧	١٠١,٧١
حمص	٤٥	٣٤	٤٣	٣٦	١٩٥١/٥٠ – ١٩٩٢/٩١	٤٢	٤٣٦,١٢	١٣٤,٣٢
تدمر	٣٣	٣٤	١٨	٣٨	١٩٤٧/٤٦ – ١٩٩٢/٩١	٤٦	١٣٣,٧٨	٥٣,٥٣
حماة	٠٨	٣٥	٤٥	٣٦	١٩٥١/٥٠ – ١٩٩٢/٩١	٤٢	٣٣٧,٩١	٩٦,٧٧
حلب	١١	٣٦	١٣	٣٧	١٩٤٧/٤٦ – ١٩٩٢/٩١	٤٦	٣٢٦,٥٣	٨٥,١٨
طرطوس	٥٤	٣٤	٥٢	٣٥	١٩٥٨/٥٧ – ١٩٩٢/٩١	٣٥	٨٦٦,٣٢	٢٤١,٥٠
صافيتا	٤٩	٣٤	٠٨	٣٦	١٩٦٠/٥٩ – ١٩٩٢/٩١	٣٣	١١٢٥,٠٧	٢٧٢.٩٨
اللاذقية	٣٠	٣٥	٤٧	٣٥	١٩٦٨/٦٧ – ١٩٩٢/٩١	٢٦	٧٨٠,١٩	٢١٠,٤٧
الحفة	٣٦	٣٥	٠٢	٣٦	١٩٥٨/٥٧ – ١٩٩٢/٩١	٣٥	١٠٨٣,١٠	٢٨٨,٨٥
كسب	٥٦	٣٥	٥٩	٣٥	١٩٦٠/٥٩ – ١٩٩١/٩٠	٣١	١٣٩٩,٣٩	٤٢٥,٣١
الرقة	٥٧	٣٥	٠٠	٣٩	١٩٥٨/٥٧ – ١٩٩٢/٩١	٣٥	٢٠٠,٥١	٧٤,٧٨
دير الزور	٢٠	٣٥	٠٩	٤٠	١٩٤٧/٤٦ – ١٩٩٢/٩١	٤٦	١٥٦,٤٨	٦٨,٣٩
أبو كمال	٢٥	٣٤	٥٥	٤٠	١٩٦١/٦٠ – ١٩٩٢/٩١	٣٣	١٢٩,٩١	٥٥,٦١
الحسكة	٣٠	٣٦	٤٥	٤٠	١٩٥٨/٥٧ – ١٩٩٢/٩١	٣٥	٢٧٥,٥٠	١٠٨,١٣
القامشلي	٠٣	٣٧	١٣	٤١	١٩٥٣/٥٢ – ١٩٩٢/٩١	٤٠	٤٤١,٩٦	١٤٤,٢٧

وحسب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري (σ) لكل فترة، ثم حدد خــط الاتجــاه العام للسلاسل الزمنية المطرية، الذي يمر بالمتوسطين النصفييــن، وحســب معــامل ميلانه b من العلاقة التالية:

٣-١

$$b = \frac{\overline{X}_2 - \overline{X}_1}{T_2 - T_1}$$

هنا : $\overline{x_1}$ و $\overline{x_2}$ = متوسطا الفترة الأولى والثانية على التوالــــي، T_1 و T_2 = الزمــن المقابل لكل من المتوسطين على التوالي وتقع كل منهما في منتصف الفــترة الزمنيــة الخاصة بها.

أخضع كل متوسطين نصفيين من كل سلسلة لفحص الخطأ المعيـــاري للفــرق بيــن المتوسطين. الإحصائي $S.E\left|x_1 - x_2\right|$ لبيان أكانت توجد فروق مهمـــة إحصائيــة بينهما عند مستوى الاحتمال ٥٪ (2 S.E). ويحسب S.E من العلاقة التالية:

٣-٢

$$S.E\left|X_1 - X_2\right| = \sqrt{\frac{\hat{\sigma}_1^2}{n_1} + \frac{\hat{\sigma}_2^2}{n_2}}$$

حيث : $S.E\left|x_1 - x_2\right|$ = الخطأ المعيـــاري للفــرق، (σ_1 ، σ_2 =) أفضــل تقديــر للانحراف المعياري للمتوسط الأول والمتوسط الثاني على التوالــي n_1, n_2= عــدد الحالات في الفترة الأولى، والفترة الثانية على التوالي.

كما استخدم فحص الأهمية (t) ستيودنت (t student's test) الإحصائي لبيـــان أهميــة الفرق بين كل متوسطين عند مستوى الأهمية ٥٪ أيضا، وتحسب (t) كما يلي:

(٣-٣)

$$t = \frac{|X_1 - X_2|}{\sqrt{\frac{\hat{\sigma}_1^2}{n_1} + \frac{\hat{\sigma}_2^2}{n_2}}}$$

وقورنت قيمة (t) المحسوبة من هذه العلاقة مع قيمة (t) المجدولة عند مستوى الأهمية الإحصائية ٥٪ ذلك بعد أن حسبت درجة الحرية (d.f) للفترتين حيث:

٣ـ٤

$$d.f = n_1 + n_2 - 2$$

عند استخدام طريقة علاقة انحدار الخط المستقيم (علاقة الارتباط) لتعيين الاتجاهات المطرية، حسبت في كل محطة علاقة انحدار الأمطار (y) على الزمن (x) المتمثلة في معادلة الخط المستقيم.

٣ـ٥

$$y = a + bx$$

فحسب ثابتا كل علاقة، a (نقطة الأساس أو البداية) و b (معامل الانحدار). وحسب معامل ارتباطها (r) أيضا. ولبيان أهميتها الإحصائية، حسب لكل منها معامل التفسير (r^2). والخطأ المعياري للتقدير (S.E) من العلاقة التالية:

٣-٦

$$S.E = \sigma_y . \sqrt{.1 - r^2}$$

كما حسب الانحراف المعياري النسبي (σ ٪) لها كما يلي:

(٣-٧)

$$\%\sigma = \frac{S.E}{\bar{y}} . 100$$

هنا: $\overline{y}$ = متوسط المتغير التابع (الأمطار).

ثم حددت الأهمية الإحصائية لمعامل ارتباط كل منهما (r) عند مستوى الأهمية ٥٪ باستخدام فحص t ستيودنت. وتحسب (t_r) من العلاقة التالية:

٣-٨

$$t_r = \frac{r.\sqrt{n-2}}{\sqrt{1-r^2}}$$

ثم قورنت قيمة (t_r) المحسوبة من هذه العلاقة مع قيمة (t) المجدولة عند مستوى الأهمية الإحصائية ٥٪. وذلك بعد حساب درجة الحرية (d.f) من العلاقة:

٣-٩

$$d.f = n-2$$

حيث: n = عدد الأزواج المستخدمة في السلسلة المطرية الزمنية.

ثم أخضع معامل الانحدار (b) إلى فحص الأهمية الإحصائي t ستيودنت أيضا، وحسبت t_b من العلاقة:

٣-١٠

$$t_b = \frac{b.\sqrt{\sum y^2 - \frac{\left(\sum y\right)^2}{n}}}{\sigma_x}$$

هنا: y = المتغير التابع (الأمطار)، σ_x = الانحراف المعياري للمتغير المستقل (الزمن) وباقي الرموز كما هو مبين سابقا.

قورنت قيمة (t) المحسوبة من العلاقة السابقة بقيمة (t_b) المجدولة عند الأهمية الإحصائية ٥٪.

وأخيراً حسبت قيمة الخطأ المعياري لمعامل الانحدار ($S.E_b$) كما يلي:

٣-١١

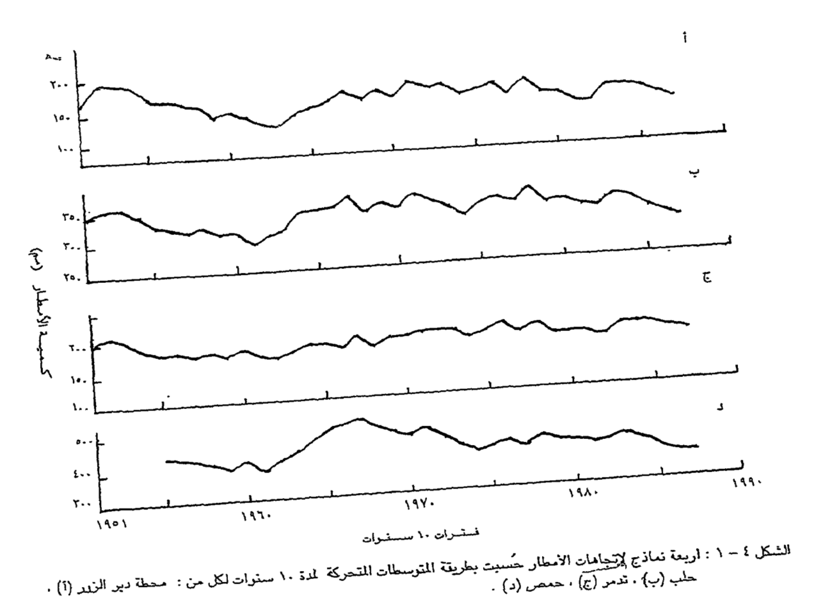
$$S.E_b = \frac{S.E}{\sigma_x \sqrt{n}}$$

النتائج والمناقشة:

٤-١ اتجاه الأمطار بطريقة المتوسطات المتحركة:

يبين الشكل (٤-١) أربعة نماذج لمتجهات مطرية أعدت بطريقة المتوسطات المتحركة لفترات ١٠ سنوات لكل من محطة دير الزور (أ) وحلب (ب) وتدمر (ج) وحمص (د). وتظهر جلية صعوبة تحديد خط اتجاه الأمطار بوضوح وبشكل قاطع من هذه النماذج كما لايمكن إخضاع خطوط الاتجاه المطري هذه إلى أي نوع من الفحوص الإحصائية يساعد على تحديد أهميتها أو اتجاهها بشكل كمي. وقد بين قاسم وحلاق (١٩٨٨ ص١٤) عدم خلو الاتجاه المشتق بهذه الطريقة من آثار قوى أخرى – لاتمكن هذه الطريقة من الكشف عنها ــ لذا يفضل الاستعاضة عنها بالطرق الرياضية.

وبالحقيقة لايمكن الكشف عن العوامل الأخر المؤثرة في خط الاتجاه المشتق بأي طريقة مالم تتم فحوص إحصائية لها تحدد تأثير هذه العوامل. بالإضافة إلى ذلك فقد لاحظت دراسة ستريتجر (Stringer ١٩٧٢ ص٨٧) إمكان طريقة المتوسطات المتحركة تحويل القيم العظمى إلى قيم صغرى أو بالعكس أحياناً، لأن الإجراء المتبع في حساب المتوسطات لايعطي إلا وزناً ضئيلاً جداً للقيم التي تقع في وسط الفترات. وقد بينت نتائج الدراسة الحالية أنه بسبب تداخل السنين مع بعضها بعضاً عند حساب المتوسطات المتحركة للفترات المتتابعة، يكفي أن توجد سنتان أو ثلاث سنوات قليلة الأمطار جدا، أو كثيرة الأمطار جدا، خلال فترة عشر سنوات حتى يظل تأثيرها راسخا مستمرا في متوسطات عشر فترات سابقة وعشر فترات لاحقة لها. فيلاحظ من نماذج المتوسطات المتحركة للأمطار المبينة في الشكل (٤-١) وجود تدن ملحوظ في



الشكل ٤ - ١ : أربعة نماذج لإتجاهات الأمطار حُسبت بطريقة المتوسطات المتحركة لمدة ١٠ سنوات لكل من : محطة دير الزور (أ) ، حلب (ب) ، تدمر (ج) ، حمص (د) .

هذه المتوسطات حصل في كل المحطات التي تعود سجلاتها إلى عام ١٩٥٧ ومـــاقبل. واستناداً للسجلات المطرية التي تعود في بعض المحطات إلى ما قبل عام ١٩٥٠، بـدأ ظهور هذا التدني في متوسط الفترة الممتدة بين ١٩٤٩ و ١٩٥٨، وبلغ حده الأدنـــى في متوسط الفترة الممتدة بين ١٩٥٧ و ١٩٦٦، وانتهى في متوسط الفترة الممتدة بيـن ١٩٤٩ و ١٩٥٨، وبلغ حده الأدنى في متوسط الفترة الممتدة بيــن ١٩٥٧ و ١٩٦٦، وانتهى في متوسط الفترة الممتدة بين ١٩٦٣ – ١٩٧٢. وبذلك يكـــون ظــاهراً فــي حوالي ١٤ متوسطاً متحركاً، يقع نصفها قبل متوسط الفــترة الدنيــا ١٩٥٧.– ١٩٦٦ ونصفها الآخر بعده. ويعود هذا التدني أساساً إلى قلة الهطولات المطرية خلال ثــلاث سنوات مطرية متتابعة ١٩٥٧/٥٨ و١٩٥٨/٥٩ و١٩٥٩/٦٠، حيث لم تتجاوز كمياتها نصف المعدلات المطرية السنوية للمحطات المبينة في الجدول (٣–١) إلا قليلاً. ولـــم يظهر التدني المذكور في المتوسطات المتحركة في المحطات التي تعود سجلاتها إلـــى مابعد سنة ١٩٥٩/٦٠. وهذا ينسجم مع مابينــه جريجــوزي (١٩٧٠ ص٢٤٤) مـــن استحالة تحديد علاقات تعليلية مشتركة من خطوط اتجاه المتوسطات المتحركـــة بيـــن تغيرات الأمطار والزمن.

وباعتقادنا تظل هذه الطريقة تقريبية لايمكن الاعتماد عليها في اشتقاق خطــوط اتجــاه يعتمد عليها، لكن يمكن أن تساعد في إعطاء فكرة عامة عن اتجاه مظاهر ذات طبيعــة اتجاه واضحة، كما هو الحال في دراسات اتجاهات تزايد عدد السكان أو إنتاج بعـــض الموارد الطبيعية. أما في حال اشتقاق اتجاهات ظواهر عشوائية الحدوث مثل الأمطــار فيفضل اللجوء إلى الطرق الرياضية، التي تمكن من إيجاد خطوط اتجاه محسوبة بدقــة من جهة، وتمكن من إجراء فحوص لأهميتها الإحصائية تؤكد صحتها، أو ترفضها من جهة ثانية.

٤-٢ اتجاه الأمطار بطريقة المتوسطات النصفية:

يظهر الجدول (٤-١) ملخصا لطريقة حساب اتجاه الأمطار بطريقة المتوسطات النصفية الرياضية للمحطات العشرين كلها المستخدمة في هذه الدراسة. ويظهر فيه متوسط عمل فترتين نصفيتين (x_1 و x_2) لكل محطة، وعدد سنوات كل فترة (n_2 و n_1)، ومعامل ميلان الخط المار في متوسطي الفترة (b)، والذي يمثل خط اتجاه الأمطار في المحطة، حسب من العلاقة (٣-١). يتضح من قيم معامل الميلان (b) أن هناك ٦ محطات ذات اتجاه مطري متزايد (+)، و١٤ محطة ذات اتجاه مطري متناقص (-). ويلاحظ أن جميع الاتجاهات ذات قيم ميلان بسيطة، تراوحت قيمها الموجبة بين +٠,١٠ في محطة الحسكة و+٢,٥٧ في محطة تل شهاب، وتراوحت قيمها السالبة بين -٠,٤١ في محطة دير الزور و-١٠,١٥ في محطة كسب. وتبين الأشكال (٤-٢) إلى (٤-٥) أربعة اتجاهات مطرية حسبت بطريقة المتوسطات النصفية لكل من محطة دمشق المطار والسويداء ودير الزور والقامشلي على شبيل المثال.

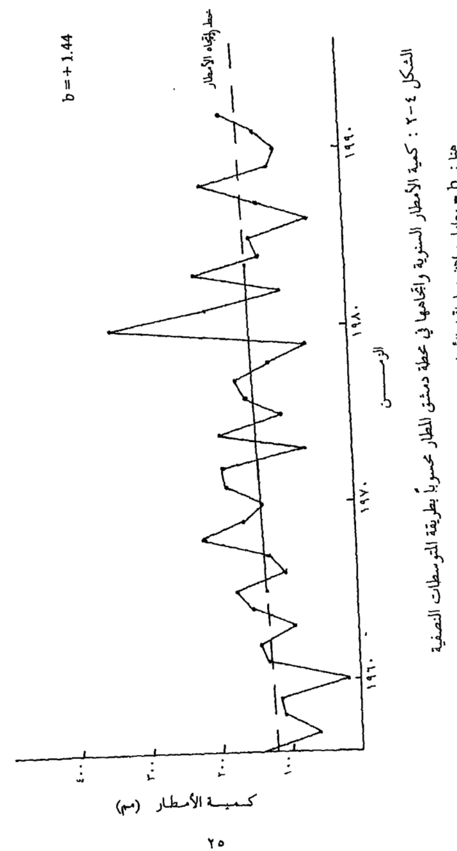
الجدول (٤-١) : المتوسطات النصفية لكميات الأمطار السنوية للفترة الزمنية الأولى (x_1) والثانية (x_2)، وقيمة معامل الميلان (b) للخط الواصل بينهما (منحنى الاتجاه) محسوبة من العلاقة (٣-١) في محطات الدراسة.

هنا: n_1 و n_2 عدد سنوات الفترة الزمنية الأولى والثانية على التوالي.

المحطة	X_1	n_1	X_2	n_2	* b
دمشق المزة	٢٢٥,٦٦	٢١	٢٠٠,٥٩	٢١	٢,٣٩ -
دمشق المطار	١٣٠,٨٢	١٩	١٤٣,٧٦	١٨	١,٤٤ +
التلف	١١٠,٤٧	١٧	٩٩,٦٥	١٧	١,٢٧ -
سد درعا	٢٨٣,٩٨	١٧	٢٤٤,٩٧	١٧	٤،٥٩ -
تل شهاب	٣٢٣,٣٨	١٧	٣٤٥,٢٢	١٧	٢,٥٧ +

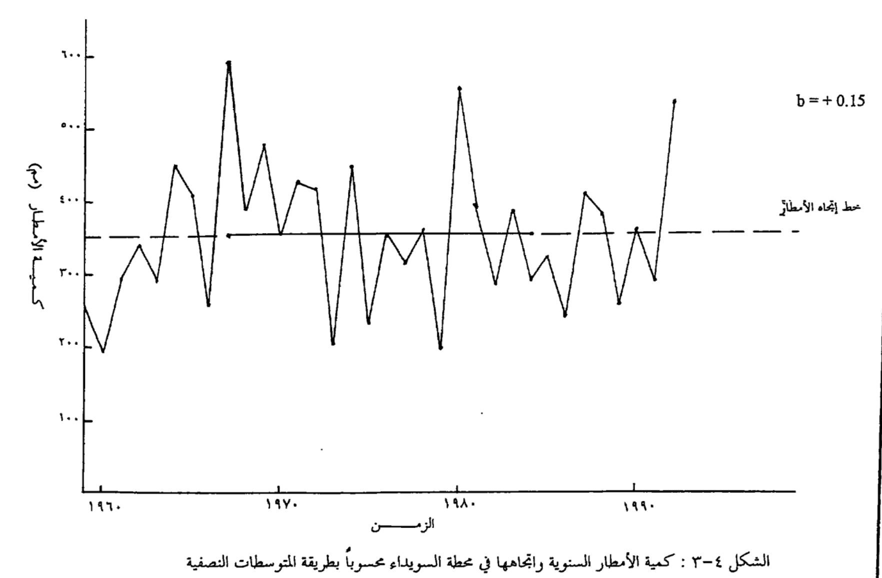
السويداء	٣٥٦,٣٦	١٧	٣٥٧,٦٥	١٧	+ ٠,١٥
حمص	٤٦٩,١٣	٢١	٤٠٨,٥٥	٢١	- ٥,٧٧
تدمر	١٣٦,٨٩	٢٣	١٣٠,٦٥	٢٣	- ٠,٥٤
حماة	٣٣٤,٢٨	٢١	٣٤١,٥٢	٢١	+ ٠,٦٩
حلب	٣٣٦,٢٩	٢٣	٣١٦,٧٦	٢٣	- ١,٧٠
طرطوس	٨٧٠,٣٦	١٨	٨٦٢,٠٧	١٧	- ٠,٩٨
صافيتا	١١٣٩,٠٨	١٦	١١١١,٩٣	١٧	- ٣,١٩
اللاذقية	٨٠٦,٤٩	١٣	٧٥٣,٨٨	١٣	- ٨,٠٩
الحفة	١٠٩٢,٠٠	١٨	١٠٧٣,٥٧	١٧	- ٢,١٧
كسب	١٤٤١,٣٠	١٥	١٣٦٠,٠٩	١٦	- ١٠,١٥
الرقة	١٩٦,٥٩	١٨	١٩٢,٠٧	١٧	- ٠,٥٣
دير الزور	١٥٨,٨٣	٢٣	١٥٤,١٤	٢٣	- ٠,٤١
أبو كمال	١٢٨,٠٣	١٦	١٣١,٦٦	١٧	+ ٠,٤٣
الحسكة	٢٦٩,٢٧	١٨	٢٧٠,١٢	١٧	+ ٠,١٠
القامشلي	٤٧٩,١٢	٢٠	٤٠٤,٨١	٢٠	- ٧,٤٣

(*) يكون منحى الاتجاه متزايدا حيث تكون قيمة b موجبة (+)، ويكـــون متناقصـــا حيث تكون قيمة b سالبة (–).



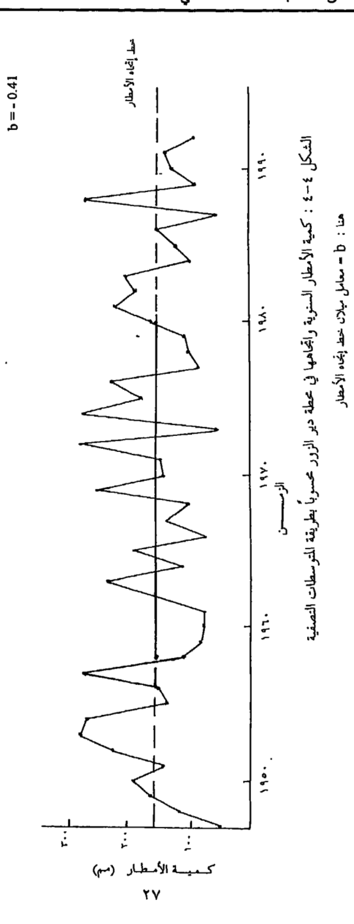
الشكل ٤-٢ : كمية الأمطار السنوية واتجاهها في محطة دمشق المطار محسوباً بطريقة المتوسطات النصفية

هنا : b = معامل ميلان خط إتجاه الأمطار



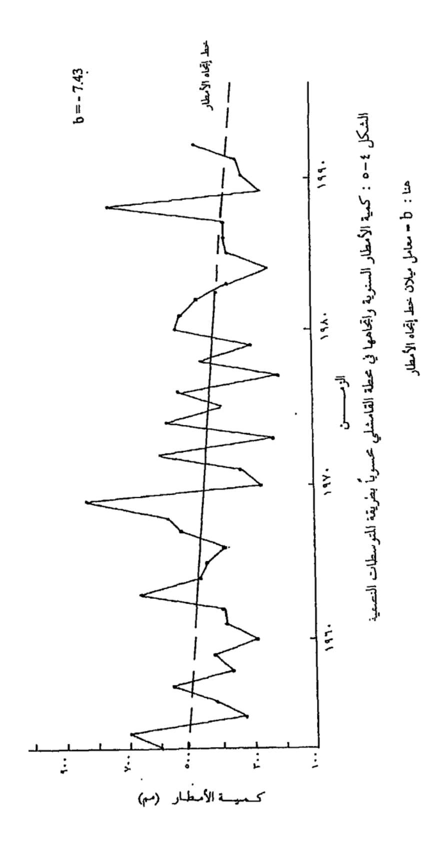
الشكل ٤-٣ : كمية الأمطار السنوية وإتجاهها في محطة السويداء محسوباً بطريقة المتوسطات النصفية

هنا : b = معامل ميلان خط إتجاه الأمطار



الشكل ٤-٤ : كمية الأمطار السنوية واتجاهها في محطة دير الزور محسوباً بطريقة المتوسطات النصفية

هنا : b – معامل ميلان خط اتجاه الأمطار



الشكل ٤-٥ : كمية الأمطار السنوية واتجاهها في محطة القامشلي محسوباً بطريقة المتوسطات النصفية

هنا : b = معامل ميلان خط إتجاه الأمطار

لقد بين فحص الأهمية الإحصائية بطريقة الخطأ المعياري للفرق بين المتوسطين: $2\ S.E\,|x_1 - x_2|$ المبين في الجدول (٤-٢)، والمحسوب بالعلاقة (٣-٢)، لا فروق ذات أهمية إحصائية بين المتوسطين النصفيين في المحطات جميعها عند مستوى الاحتمال ٥٪ إذ جاءت الفروق جميعها بينها أقل بكثير من ضعف الخطأ المعياري للفرق $2S.E\,(X_1 - X_2)$ وبذلك تعد هذه الفروق حاصلة مصادفة، أي احتمال حدوثها يقل كثيرا عن ٥٪. ويشترط لكي يكون الفرق ذا أهمية إحصائية، ومن ثم جوهريا وحقيقيا، أن يزيد عن ضعفين ونصف أو ثلاثة أضعاف الخطأ المعياري للفرق وإلا عد غير مهم إحصائيا ومرفوضا (جريجوري ١٩٧٠ ص١٣٦ - ١٤٤، كروي ١٩٧١ ص٥٢٣ - ٥٢٨). لذلك تعد جميع الاتجاهات المطرية الممثلة بخطوط انحدار الفروق بين المتوسطات النصفية سواء أكانت، موجبة أم سالبة، فهي غير مهمة إحصائيا وغير جوهرية أو حقيقية وحادثة بالمصادفة الناجمة عن عشوائية كميات الأمطار السنوية. وقد أكد فحص الأهمية الإحصائي t ستيودنت للفرق بين المتوسطات النصفية، المحسوب بالعلاقة (٣-٣) والمبين في الجدول (٤-٢) هذه النتيجة أيضا. حيث جاءت قيمة t المحسوبة للفرق بين المتوسطات أقل بكثير من قيم t المحددة عند مستوى الأهمية الإحصائية ٥٪، ويشترط لكي يكون الفرق بين المتوسطات النصفية مهما إحصائيا وجوهريا أن تكون قيم t المحسوبة بالعلاقة (٣-٣) أكثر من قيمة t المحددة عند مستوى الأهمية الإحصائية ٥٪، وإلا عد حاصلا مصادفة ومرفوضا. (جريجوري ١٩٧٠، اوليفر ١٩٨١ ص٢١١ - ٢١٢). وهكذا تكون الاتجاهات المطرية المحسوبة في محطات الدراسة جميعها حادثة مصادفة وغير جوهرية أو حقيقية.

٤-٣ اتجاه الأمطار بطريقة علاقة الخط المستقيم (علاقة الارتباط الخطية):

يلخص الجدول (٤-٣) علاقات انحدار الخط المستقيم (علاقات الارتباط) التي تمثل اتجاهات الأمطار المحسوبة بالطريقة الرياضية في محطات الدراسة العشرين. ويظهر

فيه ثابتا علاقة الانحدار (a) (نقطة أساس خط الانحدار، وتمثل نقطة تقاطع الخط المستقيم مع محور الصادات)، و (b) (معامل انحدار الخط المستقيم) ومعامل الارتباط (r) لكل علاقة. ويلاحظ عندما تكون كل من r و b موجبة (+) يكون اتجاه الأمطار متزايداء وعندما تكون سالبة (–) يكون اتجاه الأمطار متناقصا. وتبين الأشكال (٤–٦) إلى (٤–٩) أربعة خطوط انحدار تمثل الاتجاهات المطرية في كل من محطة الحسكة وتل شهاب وسد درعا والحفة على سبيل المثال.

يتبين من قيم كل من r و b الموجبة والسالبة وجود تطابق بين اتجاهات الأمطار المحسوبة من علاقات الانحدار وبين تلك المحسوبة بطريقة المتوسطات النصفية السابقة (الفقرة ٤–٢). فجاءت خطوط اتجاه الأمطار متزايدة (+) في المحطات الست نفسها التي كانت اتجاهات أمطارها متزايدة بطريقة المتوسطات النصفية. وجاءت خطوط اتجاه الأمطار متناقصة (–) في الأربع عشرة محطة نفسها التي كانت فيها اتجاهات الأمطار متناقصة أيضا.

تدل قيم معامل الارتباط (r) الموجبة، التي تراوحت بين + ٠,٠٢٤ في محطة الحسكة و + ٠,١٩٢ في محطة تل شهاب، وقيمه السالبة التي تراوحت بين – ٠,٠١٩ في محطة سد درعا و – ٠,٣٣٥ في محطة كسب، على وجود علاقات ارتباط خطية موجبة ضعيفة جدا (واهية) بين الأمطار والزمن في ٦ محطات ووجود علاقات ارتباط خطية سالبة ضعيفة جدا وواهية أيضا بين الأمطار والزمن في ١٤ محطة. وقد بين فحص الأهمية الإحصائي t ستيودنت، الجدول (٤–٤) أنها جميعا غير جوهرية أو حقيقية وحدثت مصادفة، إذ لم يرق أي منها إلى مستوى الأهمية الإحصائية ٥٪، لأن جميع قيم t_r المحسوبة بالعلاقة (٣–٨) جاءت أقل بكثير من قيم t المحددة عند مستوى الأهمية الإحصائية ٥٪ ،جريجوري ١٩٧٠ ص٢٠١ – ٢٠٢، اوليفر ١٩٨١ ص٢٠٢).

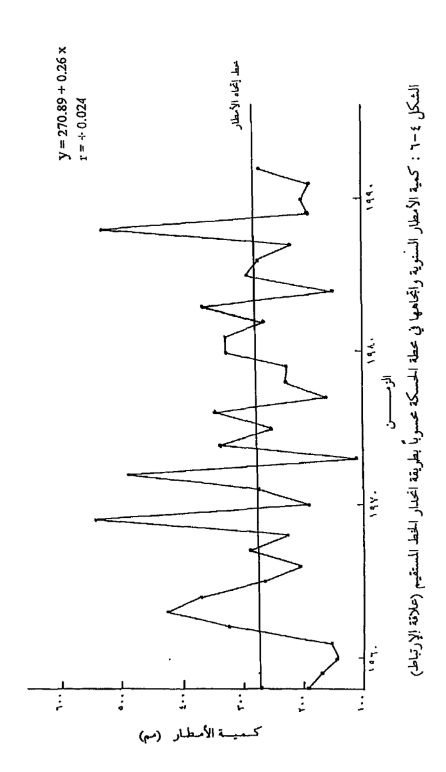
الجدول (٤-٢) : فحص الأهمية الإحصائية t ستيودنت (t Student's Test) للفرق بين المتوسطات النصفية لكميات الأمطار السنوية في محطات الدراسة.

هنا : X_1 و X_2 = متوسط الفترة الزمنية الأولى والثانية على التوالي، (σ_1 و σ_2) الانحراف المعياري للفترة الأولى والثانية على التوالي، $S.E\ |x_1 - x_2|$ الخطأ المعياري للفرق بين المتوسطين محسوبا من العلاقة (٣-٢)، d . f = درجة الحرية محسوبا من العلاقة (٣-٤)، t = قيمة t المحسوبة من العلاقة (٣-٣)، t ٥٪ = قيمة t عند مستوى الأهمية الإحصائية ٥٪.

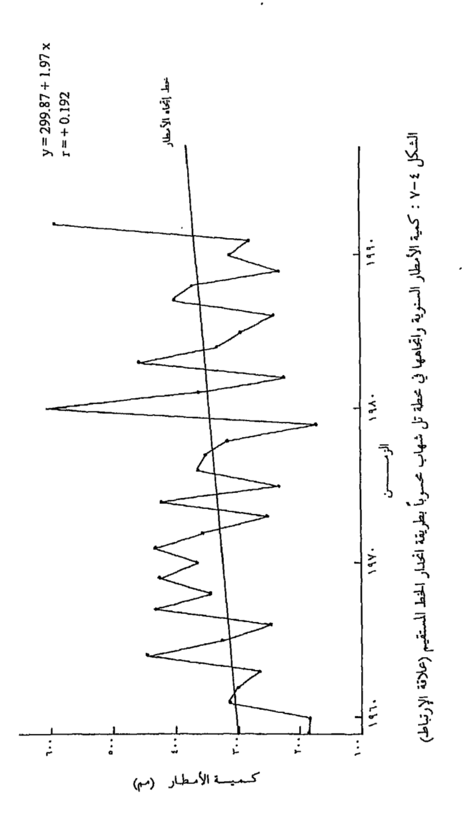
المحطة	X1 - X2	σ1	σ2	٢ S.E |X1 - X2|	d.f	t المحسوبة	t ٥٪	الأهمية الإحصائية
دمشق المزة	- ٢٥,٠٧	٧٦,٦٤	٧٤,٢٧	٤٦,٢٥١	٤٠	١,٠٧٨	٢,٠٢١	غير مهم
دمشق المطار	+ ١٢,٩٤	٥٠,٩٥	٦٧,٨٤	٣٩,٦١٤	٣٥	٠,٦٥٣	٢,٠٣٠	غير مهم
الثلف	- ١٠,٨٢	٦٢,٧٨	٤٥,٢٣	٣٧,٥٩٧	٣٢	٠,٥٧٦	٢,٠٣٢	غير مهم
سد درعا	- ٢٩,٠١	٩٢,٤٢	٨١,٧٩	٥٩,٨٦٥	٣٢	١,٣٠٣	٢,٠٣٢	غير مهم
تل شهاب	+ ٢١,٨٤	٨٧,٧٥	١١٦,٦٠	٧٠,٧٨٧	٣٢	٠,٦١٧	٢,٠٣٢	غير مهم
السويداء	+ ١,٢٩	١١١,٦٥	٩١,٢٣	٦٩,٩٣٩	٣٢	٠,٠٣٧	٢,٠٣٢	غير مهم
حمص	- ٦٠,٥٨	١٥١,١٥	١٠٩,٩٢	٨١,٥٦٦	٤٠	١,٤٨٥	٢,٠٢١	غير مهم
تدمر	- ٦,٢٤	٤٢,١٣	٦٣,٧٧	٣١,٨٧٤	٤٤	٠,٣٩٢	٢,٠١٥	غير مهم
حماة	+ ٧,٢٤	١١١,٠٠	٨٢,٨١	٦٠,٤٤٠	٤٠	٠,٢٤٠	٢,٠٢١	غير مهم
حلب	- ١٩,٥٣	٧٩,٠٠	٩١,٦٦	٥٠,٤٦٣	٤٤	٠,٧٧٤	٢,٠١٥	غير مهم
طرطوس	- ٨,٢٩	٢٦٩,٩٨	٢١٥,٥٢	١٦٤,٧٠٢	٣٣	٠,١٠١	٢,٠٣٥	غير مهم
صافيتا	- ٢٧,١٥	٢٩٥,٦٩	٢٥٨,٢٤	١٩٣,٧٧٧	٣١	٠,٢٨٠	٢,٠٤٠	غير مهم
اللاذقية	- ٥٢,٦١	٢٤٦,٥٦	١٧٣,١٩	١٦٧,١٣٧	٢٤	٠,٦٣٠	٢,٠٦٤	غير مهم
الحفة	- ١٨,٤٣	٢٦٦,٥٩	٣١٨,٧٢	١٩٩,٢٣٦	٣٣	٠,١٨٥	٢,٠٣٥	غير مهم
كسب	- ٨١,٢١	٤٠٩,١٣	٤٤٩,٥٩	٣٠٨,٤٩٥	٢٩	٠,٥٢٦	٢,٠٤٥	غير مهم
الرقة	- ٤,٥٢	٧٣,٩٠	٧٣,٥٦	٤٩,٨٦٨	٣٣	٠,١٨١	٢,٠٣٥	غير مهم
دير الزور	- ٤,٦٩	٧٠,٥٣	٦٧,٦٨	٤٠,٧٦٥	٤٤	٠,٢٣٠	٢,٠١٥	غير مهم
أبو كمال	+ ٣,٦٣	٥٩,٣٣	٥٣,٦٥	٣٩,٤٦٢	٣١	٠,١٨٤	٢,٠٤٠	غير مهم
الحسكة	+ ٠,٨٥	٩٢,٨٥	٩٥,٣٥	٦٣,٥٩٢	٣٣	٠,٠٢٧	٢,٠٣٥	غير مهم
القامشلي	- ٧٤,٣١	١٤٦,٢٦	١٣٥,٧٤	٨٩,٢٣٨	٣٨	١,٦٦٥	٢,٠٢٥	غير مهم

الجدول (٤-٣) : علاقات انحدار الخط المستقيم (علاقات الارتباط) الممثلة لخط اتجاه الأمطار مع الزمن في محطات الدراسة. هنا : n = عدد الأزواج، a = ثابت نقطة الأساس لعلاقة الانحدار، b = معامل الانحدار r= معامل الارتباط، r^2 = معامل التفسير، S.E = الخطأ المعياري للتقدير محسوبا من العلاقة (٣-٦)، σ ٪ = النسبة المئوية للانحراف المعياري لعلاقة الانحدار محسوبا من العلاقة (٣-٧).

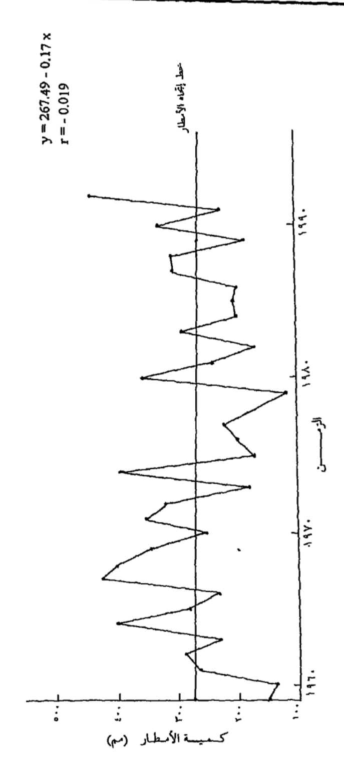
المحطة	N	a	B	r	٪ R^2	S.E	٪ σ
دمشق المزة	٤٢	٢٤٠,٧٨	١,٤١ -	٠,٢١٩ -	٤,٨٠	٧٣,٦٩	٣٤,٥٧
دمشق المطار	٣٧	١١٨,٧٢	٠,٩٧ +	٠,١٧٧ +	٣,١٣	٥٨,٣٣	٤٢,٥٤
التنف	٣٤	١٠٩,٨٠	٠,٢٧ -	٠,٠٥٠ -	٠,٢٥	٥٤,١٤	٥١,٥٤
سد درعا	٣٤	٢٦٧,٤٩	٠,١٧ -	٠,٠١٩ -	٠,٠٤	٨٨,١٥	٣٣.٣٣
تل شهاب	٣٤	٢٩٩,٨٧	١,٩٧ +	٠,١٩٢+	٣,٦٥	١٠٠,٣٦	٣٠,٠٢
السويداء	٣٤	٣٤٢,٢٤	٠,٦٨ +	٠,٠٦٦ +	٠,٤٤	١٠١,٤٩	٢٨,٦٦
حمص	٤٢	٤٧٨,١٦	١,٩٦ -	٠,١٧٩ -	٣,٢٠	١٣٢,١٥	٣٠.٣٠
تدمر	٤٦	١٤٥,٣٠	٠,٤٩ -	٠,١٢٣ -	١,٥١	٥٣,١٢	٣٩,٧١
حماة	٤٢	٣٢٧,٦٤	٠,٤٨ +	٠,٠٦١ +	٠,٣٧	٩٦,٥٩	٢٨,٥٨
حلب	٤٦	٣٣٨,١١	٠,٤٩ -	٠,٠٧٨ -	٠,٦١	٨٤,٩٢	٢٦,٠١
طرطوس	٣٥	٨٩٦,٢٠	١,٦٦ -	٠,٠٧٠ -	٠,٤٩	٢٤٠,٣٢	٢٧,٧٤
صافيتا	٣٣	١١٨٩,٢٢	٣,٧٧ -	٠,١٣٤ -	١,٨٠	٢٧٠,٥٢	٢٤,٠٤
اللاذقية	٢٦	٨٦٧,٩٢	٦,٥٠ -	٠.٢٣٦ -	٥,٥٧	٢٠٤,٥٢	٢٦,٢١
الحفة	٣٥	١١٦٧,٥٢	٤,٦٩ -	٠,١٦٦ -	٢,٧٦	٢٨٤,٨٤	٢٦,٣٠
كسب	٣١	١٦٥٠,٣٨	١٥,٦٩ -	٠,٣٣٥ -	١١,٢٢	٤٠٠.٧٣	٢٨,٦٤
الرقة	٣٥	٢٠٦,٨٠	٠,٣٥ -	٠,٠٤٨ -	٠,٢٣	٧٤,٦٩	٣٧,٢٥
دير الزور	٤٦	١٦٩,١٤	٠,٥٤ -	٠,١٠٦ -	١,١٢	٦٨,٠٠	٤٣,٤٦
أبو كمال	٣٣	١١٨,٦٢	٠,٦٦ +	٠,١١٥ +	١,٣٢	٥٥,٢٤	٤٢,٥٢
الحسكة	٣٥	٢٧٠,٨٩	٠,٢٦ +	٠,٠٢٤ +	٠,٠٨	١٠٨,١٠	٣٩,٢٤
القامشلي	٤٠	٤٩٨,١٥	٢,٧٤ -	٠,٢٢٢ -	٤,٩٣	١٤٠,٦٧	٣١,٨٣



الشكل ٤-٦ : كمية الأمطار السنوية واتجاهها في محطة الحسكة محسوباً بطريقة انحدار الخط المستقيم (علاقة الإرتباط)



الشكل ٤-٧ : كمية الأمطار السنوية واتجاهها في محطة تل شهاب محسوباً بطريقة انحدار الخط المستقيم (علاقة الارتباط)



الشكل ٤-٨ : كمية الأمطار السنوية واتجاهها في محطة سد درعا محسوباً بطريقة اختبار الخط المستقيم (علاقة الارتباط)

الجدول (٤-٤): فحص الأهمية الإحصائية t ستيودنت (t student's test) لمعامل الارتباط (r) بين الزمن وكميات الأمطار السنوية في محطات الدراسة. هنا : d.f = درجة الحرية محسوبة من العلاقة (٣-٩)، t_r المحسوبة = قيمة t المحسوبة من العلاقة (٣-٨)، t ٥٪ = قيمة t عند مستوى الأهمية الإحصائية ٥٪.

المحطة	r	d.f	t_r المحسوبة	t ٥٪	الأهمية الإحصائية
دمشق المزة	- ٠,٢١٩	٤٠	١,٤٢٠	٢,٠٢١	غير مهم
دمشق المطار	+ ٠,١٧٧	٣٥	١,٠٦٤	٢,٠٣٠	غير مهم
التنف	- ٠,٠٥٠	٣٢	٠,٢٨٣	٢,٠٣٢	غير مهم
سد درعا	- ٠,٠١٩	٢٣	٠,١٠٧	٢,٠٣٢	غير مهم
تل شهاب	+ ٠,١٩٢	٢٣	١,١٠٧	٢,٠٣٢	غير مهم
السويداء	+ ٠,٠٦٦	٢٣	٠,٣٧٤	٢,٠٣٢	غير مهم
حمص	- ٠,١٧٩	٤٠	١,١٥١	٢,٠٢١	غير مهم
تدمر	- ٠,١٢٣	٤٤	٠,٨٢٢	٢,٠١٥	غير مهم
حماة	+ ٠,٠٦١	٤٠	٠,٣٨٧	٢.٠٢١	غير مهم
حلب	- ٠,٠٧٨	٤٤	٠,٥١٩	٢,٠١٥	غير مهم
طرطوس	- ٠,٠٧٠	٣٣	٠,٤٠٣	٢,٠٣٥	غير مهم
صافيتا	- ٠,١٣٤	٢١	٠,٧٥٣	٢,٠٤٠	غير مهم
اللاذقية	- ٠,٢٣٦	٢٤	١,١٩٠	٢,٠٦٤	غير مهم
الحفة	- ٠,١٦٦	٣٣	٠,٩٦٧	٢,٠٣٥	غير مهم
كسب	- ٠,٣٣٥	٢٩	١,٩١٥	٢,٠٤٥	غير مهم
الرقة	- ٠,٠٤٨	٣٣	٠,٢٧٦	٢,٠٣٥	غير مهم
دير الزور	- ٠,١٠٦	٤٤	٠,٧٠٧	٢,٠١٥	غير مهم
أبو كمال	+ ٠,١١٥	٣١	٠,٦٤٥	٢,٠٤٠	غير مهم
الحسكة	+ ٠,٠٢٤	٣٣	٠,١٣٨	٢,٠٣٥	غير مهم
القامشلي	- ٠,٢٢٢	٣٨	١,٤٠٤	٢,٠٢٥	غير مهم

كما تبين معاملات التقرير أو التفسير (r^2)، المبينة في الجدول (٤-٣)، عدم أهمية أو صلاحية علاقات الارتباط وخطوط انحدارها الممثلة للاتجاهات المطرية في المحطات جميعها. حيث تحدد قيم (r^2) النسبة الحقيقية من تغيرات الأمطار التي يستطيع خط الانحدار تقريرها أو تفسيرها. فيلاحظ أنها تراوحت بين ٠,٠٤٪ و ٢,٧٦٪ في ١٧ محطة. ووصلت إلى حوالي ٥٪ في كل من محطتي القامشلي واللاذقية وإلى ١١,٢٢٪ في محطة كسب فقط. أي انها مقادير يمكن أن تعد مهملة حقا. وتنسجم نتائج هذه الدراسة مع اقتراح أوليفر (١٩٧٣ ص٤٧٢) الذي يرى عدم صلاحية علاقة الارتباط أو خط انحدارها إذا كانت قيمة r أقل من ٠,٥٠ وقيمة r^2 أقل من ٠,٢٥.

والحقيقة. تعكس ضآلة كل من قيم r و r^2 الطبيعية العشوائية الراسخة للأمطار التي تتذبذب كمياتها كثيرا من سنة إلى أخرى دون أن يكون لتغيرات الزمن أي علاقة ملحوظة بها وباتجاهاتها. وتعكس قيم الخطأ المعياري للتقدير (S.E) الكبيرة المحسوبة من العلاقة (٣-٦) لكل علاقات الانحدار الخطية لمحطات الدراسة جميعها الجدول (٤-٣) هذه العشوائية لكميات الأمطار السنوية وعدم ارتباطها بتغيرات الزمن. كما تؤكد قيم النسبة المئوية للانحراف المعياري (σ ٪) لعلاقات الانحدار المحسوبة بالعلاقة (٣-٧) الجدول (٤-٣) وجود عوامل أخر، غير كميات الأمطار والزمن، تدخل في تحديد اتجاه خط الانحدار (اتجاه الأمطار) بنسب كبيرة تراوحت بين ٢٤٪ في محطة صافيتا و ٥١,٥٪ في محطة التنف. وقد تنتج هذه العوامل عن الإجراءات المتبعة في قياس الأمطار، أو بعوامل طبيعية أخر يصعب الكشف عنها.

كما تؤكد قيم معامل الانحدار (b) الضئيلة المبينة في الجدول (٤-٣) و (٤-٥) التي تراوحت قيمها الموجبة بين + ٠,٢٦ في محطة الحسكة وبين + ١,٩٧ في محطة تل شهاب، وقيمها السالبة بين – ٠,١٧ في محطة سد درعا و – ١٥,٩٦ في محطة كسب، ضعف علاقات الارتباط الخطية بين كميات الأمطار والزمن، إذ كادت تنعدم في تسع محطات حيث قلت قيمها فيها عن + ٠,٦٦ أو – ٠,٥٤. وقد دل فحص

الأهمية الإحصائي t ستيودنت، الجدول (٤-٥) على عدم أهميتها الإحصائية جميعها في المحطات كلها عند مستوى الأهمية الإحصائية ٥٪، إذ جاءت قيم t_b المحسوبة من العلاقة (٣-١٠) أقل كثيرا من قيم t المحددة عند مستوى الأهمية الإحصائية ٥٪ وهذا يدل على أنها انحدارات ظاهرية غير جوهرية حصلت مصادفة (جريجوري ١٩٧٠ ص٢١٧ - ٢١٨).

وللتأكد أكثر حسبت القيمة الحقيقية لمعامل انحدار كل علاقة ارتباط (انحدار) خطية عند مستوى احتمال الأهمية الإحصائية ٩٥٪، أي التي تقع بين ضعف الخطأ المعياري لمعامل الانحدار ($2\ S.E_b$). وحسب الخطأ المعياري $S.E_b$ من العلاقة (٣-١١). ويظهر من الجدول (٤-٥) أن لكل معامل انحدار (b) في كل علاقة ارتباط، موجبا أكان أم سالبا، قيمة حقيقية تتراوح بين القيم السالبة (-) والقيم الموجبة (+). أي يمكن أن يكون لكل خط انحدار اتجاه موجب متزايد أو اتجاه سالب متناقص في الوقت نفسه. وهذا يعني أنه لايوجد حقا اتجاه متزايد ثابت أو اتجاه متناقص ثابت للأمطار. وباعتقادنا أن هذه النقطة تحسم الموقف قطعا وتؤكد نتائج الفحوص الإحصائية السابقة.

لذلك فإن نتائج هذه الدراسة تؤكد انعدام العلاقة بين كميات الأمطار والزمن في محطات الدراسة، ومن ثم تؤكد عدم وجود اتجاه واضح وأكيد للأمطار متناقص أو متزايد. وكل الاتجاهات الملاحظة في كميات الأمطار السنوية لاتزيد عن كونها اتجاهات ظاهرية غير حقيقة ليس لها أي قيمة إحصائية أو علمية حدثت مصادفة.

الجدول (٤-٥) : فحص الأهمية الإحصائية t ستودينت (t student's test) لمعامل انحدار خط اتجاه الأمطار b (معامل انحدار خط علاقة الارتباط)، وتحديد موقع قيمته الحقيقية عند مستوى الاحتمال ٩٥٪ في محطات الدراسة. هنا : d.f = درجة الحرية محسوبة من العلاقة (٣-١٠)، t_b المحسوبة = قيمة t محسوبة من العلاقة (٣-٩)، t ٥٪ = قيمة t عند مستوى الأهمية الإحصائية ٥٪، (σ_x) = الانحراف المعياري للعامل المستقل (الزمن) $S.E_b$ = الخطأ المعياري لمعامل الانحدار (b) محسوبا من العلاقة (٣-١١).

المحطة	B	d.f	t_b المحسوبة	t ٥٪	الأهمية الإحصائية	σ_x	$S.E_b$	قيمة b عند مستوى الاحتمال ٩٥٪ تتراوح بين
دمشق المزة	- ١,٤١	٤٠	١,٥٠٣	٢,٠٢١	غير مهم	١٢.١٢	٠,٩٤	- ٣,٢٩ و + ٠,٤٧
دمشق المطار	+ ٠,٩٧	٣٥	١,٠٨٠	٢,٠٣٠	غير مهم	١٠,٨٦	٠,٩٠	- ٠,٣٨ و + ٢,٧٧
الثنف	- ٠,٢٧	٣٢	٠,٢٨٥	٢,٠٣٢	غير مهم	٩,٨١	٠,٩٥	- ٢,٤٧ و + ١,٩٣
سد درعا	- ٠,١٧	٣٢	٠,١١٠	٢٠.٢٣	غير مهم	٩,٨١	١.٥٤	- ٣,٢٥ و + ٢,٩١
تل شهاب	+ ١,٩٧	٣٢	١,١٢٣	٢٠.٢٣	غير مهم	٩,٨١	١,٧٥	- ١,٥٣ و + ٥.٤٧
السويداء	+ ٠,٦٨	٣٢	٠,٣٨٣	٢٠,٢٣	غير مهم	٩,٨١	١,٧٧	- ٢,٨٦ و + ٤,٢٢
حمص	- ١,٦٩	٤٠	١,١٦٥	٢,٠٢١	غير مهم	١٢.١٢	١,٦٨	- ٥,٣٢ و + ١,٤٠
تدمر	- ٠,٤٩	٤٤	٠,٨٣١	٢,٠١٥	غير مهم	١٣,٢٨	٠,٥٩	- ١,٦٧ و + ٠.٦٩
حماة	+ ٠,٤٨	٤٠	٠,٣٩٠	٢,٠٢١	غير مهم	١٢.١٢	١,٢٣	- ١,٩٨ و + ٢.٩٤
حلب	- ٠,٤٩	٤٤	٠,٥٢٠	٢,٠١٥	غير مهم	١٣,٢٨	٠,٩٤	- ٢,٣٧ و + ١,٣٩
طرطوس	- ١,٦٦	٣٣	٠,٤١٣	٢,٠٣٥	غير مهم	١٠.١٠	٤,٠٢	- ٩,٧٠ و + ٦,٣٨
صافيتا	- ٣,٧٧	٣١	٠,٧٦٢	٢,٠٤٠	غير مهم	٩,٥٢	٤,٩٥	- ١٣,٦٧ و + ٦,١٣
اللاذقية	- ٦,٥٠	٢٤	١,٢١٥	٢,٠٦٤	غير مهم	٧,٥٠	٥,٣٥	- ١٧,٢ و + ٤,٢٠
الحفة	-٤,٦٩	٣٣	٠,٩٨٥	٢,٠٣٥	غير مهم	١٠.١٠	٤,٧٧	- ١٤,٢٣ و + ٤,٨٥
كسب	- ١٥,٦٩	٢٩	١,٩٥٠	٢,٠٤٥	غير مهم	٨,٩٤	٨,٠٥	- ٣١,٧٩ و + ٠,٤١
الرقة	- ٠,٣٥	٣٣	٠,٢٨٠	٢,٠٣٥	غير مهم	١٠.١٠	١,٢٥	- ٢,٨٥ و + ٢,١٥
دير الزور	- ٠,٥٤	٤٤	٠,٧١٥	٢,٠١٥	غير مهم	١٣,٢٨	٠,٧٦	- ٢,٠٦ و + ٠.٩٨
أبو كمال	+ ٠,٦٦	٣١	٠,٦٥٤	٢,٠٤٠	غير مهم	٩.٥٢	١.٠١	- ١,٣٦ و + ٢,٦٨
الحسكة	+ ٠,٢٦	٣٣	٠,١٤٤	٢,٠٣٥	غير مهم	١٠.١٠	١,٨١	- ٣,٣٦ و + ٣,٨٨
القامشلي	- ٢,٧٤	٣٨	١,٤٢٢	٢,٠٢٥	غير مهم	١١,٥٤	١,٩٣	- ٦,٦٠ و + ١,١٢

وجميعها ناتج أساسا عن الطبيعة العشوائية للأمطار. إذ لايعقل أن نسلم بوجود اتجاه متزايد نحو مناخ رطب في محطة، واتجاه متناقص نحو مناخ جاف في الوقت نفسه في محطة مجاورة لها لاتبعد عنها سوى بضعة كيلومترات، كما هو الحال في محطتي دمشق المزة، التي ظهر فيها اتجاه ظاهري للأمطار متناقص، ومحطة مطار دمشق الدولي التي ظهر فيها اتجاه متزايد، وكذلك الأمر بالنسبة لمحطات سد درعا وتل شهاب والسويداء المتجاورة، وحماة وحمص وحلب أيضا، ومحطات الرقة ودير الزور وأبوكمال، والحسكة والقامشلي. وتتوافق هذه النتائج مع نتائج دراسة جيبس (Gibbs ١٩٧٥) التي أكدت عدم كشف الدراسات الإحصائية إلا عن اختلافات في الأمطار السنوية تحدث مصادفة في المحطات الاسترالية، وعدم وجود دليل حاسم أو مهم على وجود تغير مناخي باتجاه الجفاف في هذه المناطق. وهذا ماأكده بونتنغ ورفاقه:

(Bunting et al ١٩٧٦) بشأن التذبذات المطرية في السهل السوداني الإفريقي أيضا، حيث لاحظو أنها تقع ضمن التوقعات العادية للمناخ. وكذلك تتفق مع دراسة طلبة (Tolba ١٩٧٩) التي برهنت أن التذبذبات المطرية الحاصلة في مدينة الاسكندرية منذ عام ١٨٤٧م عشوائية، وهي من صلب طبيعة الأمطار هناك، ولاتدل أبدا على اتجاه نحو المناخ الجاف. وتتفق أيضا مع دراسة صيام (١٩٩٠) التي أجراها في سورية. ومع رأي هير (١٩٧٦) الذي يؤكد أن مناخ الأرض الحالي ثابت لم يتغير منذ ٢٠٠٠ سنة. لذلك فإنه من الصعب جدا القبول بفكرة تغير مناخ الأرض واتجاهه نحو الجفاف اعتمادا على اتجاهات مطرية ظاهرية غير مؤكدة. وفي الوقت نفسه لايمكن القبول باتجاه مناخي نحو الرطوبة للأسباب نفسها. والحقيقة أنه من المبكر جدا التفكير بمثل ذلك.

٤- خاتمة ومقترحات:

تؤكد نتائج الدراسة الحالية، ضرورة اعتماد الدراسات التي تبحث في الكشف عن الاتجاهات المطرية، على طرق رياضية كمية، يمكن إخضاع نتائجها لفحوص إحصائية للكشف عن احتمالات أهميتها الإحصائية. ويجب التأكد من أن هذه الاتجاهات حقيقية وجوهرية وليست ظاهرية تحصل مصادفة. لذلك لايمكن الاعتماد على طريقة المتوسطات المتحركة في ذلك. لأنها طريقة تقريبية ولايمكن التأكد من حقيقة نتائجها وأهميتها الإحصائية. وتعد طريقة المتوسطات النصفية الرياضية أفضل منها كثيرا لأنه من الممكن إخضاع الاتجاه المشتق بواسطتها إلى نوعين من فحوص الأهمية الإحصائية، وهما: فحص الخطأ المعياري للفرق بين المتوسطين عند احتمال الأهمية ٥٪ ($2\ S.E\ |x_1 - x_2|$) وفحص t ستيودنت للفرق.

لكن يفضل أن تحسب الاتجاهات بطريقة علاقة انحدار الخط المستقيم (علاقة الارتباط الخطية) لأنها أكثر دقة من أي طريقة أخرى، لأنها تأخذ بالحسبان تأثير المتغيرات المطرية كافة خلال السلسلة الزمنية عند حساب الاتجاه. ولذلك تفضل على طريقة المتوسطات النصفية التي تعتمد في حساب الاتجاه على قيمتي المتوسطين النصفين فقط. كما يمكن إخضاع علاقة انحدار الخط المستقيم، ومعامل ارتباطها (r)، ومعامل انحدارها (b) لعدة فحوص إحصائية للأهمية مثل t ستيودنت لكل من معامل الارتباط (t_r)، ومعامل الانحدار (t_b). ويمكن تحديد قيمة معامل الانحدار الحقيقية عند مستوى الاحتمال ٩٥٪ ($2\ S.E_b$)، وكذلك تعيين معامل التقرير أو التفسير لعلاقة الانحدار (r^2)، والخطأ المعياري للتقدير (S.E ، والنسبة المئوية للانحراف المعياري (σ ٪). تمكن هذه الفحوص الإحصائية من تحديد أهمية خط الاتجاه وحقيقته وتؤكد أكان جوهريا أم ظاهريا حصل مصادفة. لذلك لابد من إجراء هذه الفحوص الإحصائية حين استخدام هذه الطريقة.

لقد لاحظت هذه الدراسة وجود اتجاهات مطرية متزايدة، واتجاهات مطرية متناقصة في محطات متجاورة، وبرهنت الفحوص الإحصائية كلها أن جميع هذه الاتجاهات ظاهرية ولاتتمتع بأي أهمية إحصائية أو عملية ومرفوضة، وحصلت جميعها مصادفة، ونتجت عن الطبيعة العشوائية لكمية الأمطار السنوية. وقد تبين أن القيمة الحقيقية لكل معامل انحدار – سالبا أكان أم موجبا – في كل محطة من المحطات المدروسة تتراوح بين القيم السالبة والموجبة، أي يمكن أن يكون لكل خط انحدار اتجاه موجب متزايد، واتجاه سالب متناقص في الوقت نفسه. وهذا ينفي قطعا وجود اتجاهات حقيقية متناقصة أو متزايدة ثابتة للأمطار، ومن ثم لايمكن التحدث عن تغيرات مناخية تنحو باتجاه الجفاف أو نحو الرطوبة اعتمادا على اتجاهات مطرية ظاهرية.

كلمة شكر:

لا يسعنا إلا أن نسجل شكرنا الجزيل وامتناننا العميق إلى مدير مديرية الأرصاد الجوية، والعاملين فيها في القطر العربي السوري. وخاصة مدير قسم المناخ والعاملين فيه لتكرمهم بتقديم البيانات المطرية اللازمة التي لولاها ماتم هذا البحث المتواضع.

تمت بعون الله.

المراجع

١- شحادة، نعمان (١٩٧٨) (الاتجاهات العامة للأمطار في الأردن) مجلة دراسات – الجامعة الأردنية، المجلد ٥ العدد١.

٢- شنيدر، هـ. ستيفان (١٩٩٠) (المناخ المتغير) مجلة العلوم Scientific American – الكويت، مارس/آذار، المجلد ٧ العدد ٣، ص ٢٦-٢٧.

٣- صيام، نادر (١٩٩٠) (المحل والجفاف والتغيرات المناخية) مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء العدد ١٢، ص٣٣٤-٣٨٦.

٤- قاسم، أحمد رئيف – وحلاق، عمر (١٩٨٨) (الإحصاء الاقتصادي) منشورات جامعة حلب كلية الاقتصاد، ص٤٧٦.

٥- موسى، علي حسن (١٩٨٨) (الاتجاه العام للأمطار والحرارة في سورية) المجلة الجغرافية دمشق – سورية المجلد ١١،١٢،١٣، ص٩٧-١١٣.

٦- هوتن، أ. ووديل .ج. م (١٩٨٩) (تغير مناخ الكرة الأرضية) مجلة العلوم American Scientific الكويت، نوفمبر/تشرين الثاني، ص٦-١٥.

7- Al-Jaboory. S (1985) "Trends Periodicities of Rainfall in Iraq". ACSAD. PP.109-134.

8- Bunting, A.Z.H. Dennett, M.D, Elston, J., and Milford, J.R. (1976) "Rainfall trends in the west Africa Sahel". Quart. Jou. Roy. Meteo. Soc., Vol.102, PP.59-64.

9- Crowe, P.R. (1971) "Concepts – in Climatology". Longman Grou Ltd. London, PP.589.

10- Gibbs, W.J (1975) "Drought-its definition and effects'. In Special Enviornment Report. No .5 Drought, World Meteo. Orang. Geneva, Switzerland.

11- Gregory, S. (1970) "Statistieal Methods and the Geographer". Longman Grou. Ltd., London PP.277.

12- Hare. F.K. (1976) "Climate and Desertification". A review prepared for the United Nations confrence on Desertification.

13- Hare. F.K. (1977) "Climate and Desertification". In Desertification. And Consequence U.N confrence on Desertification. Nairobi – Kenya 29 August to 9 september, PP.63-169.
14- Oliver, J. E., (1973) "Climate and Mans Environment. An Introduction. To Applied Climatology". John Wieley and Sons, Ins. New York, London, Sydney, PP.517.
15- Oliver, J. E., (1981) "Climatology : Selected Application". Edward Arnold, V.H. Winston and Sons, PP.260.
16- Stringer, E. T., (1972) "Techniques of Climatology" W. H. Freeman and Comp PP.539.
17- Tolba, M. K., (1979) "What could be done to compact desertification". In Advances in desert and arid land technology and development. Edi Bishay. Amer Univer. In Cairo, Me Ginnies, W.G. Arizona Univer. Vol . PP.15-29.
18- Winstainley, D., (1973) "Rainfall Patterns and general atmospheric Circulation". Nature, Vol. 245. PP.190-194.
19- Winstainley, D., (1974) "Seasonal Rainfall Forecasting in West Africa". Nature vol. 284, PP.464-465.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٩٥/١/٢.

الزخرفة الكتابية المطبوعة على الفخار الأندلسي الغرناطي

د. خالد غنيم
قسم الآثار ــ كلية الآداب
جامعة دمشق

الملخص

الفخار المطبوع هو الذي يحتوي على زخرفة يتم الحصول عليها بالضغط بوساطة طابع يحتوي على زخرفة ذات مضمون معين على العجينة الفخارية، وهي مازالت في حالة لزجة فنحصل بذلك على معكس لهذا الطابع على العجينة الفخارية.
انتشر هذا النوع من الزخرفة فوق سطوح الخوابي الفخارية وهي عبارة عن أواني لحفظ الماء، حيث ظهرت الطبعات فوق سطوحها متراصة ومتتابعة ضمن شرائط زخرفية ذات طبعات مستطيلة أفقية أو مستطيلة عامودية.
تعود بدايات هذه النماذج إلى فترة الخلافة الأموية في قرطبة، وقد حققت انتشاراً ملحوظاً بفضل الدولة الموحدية وتطوراً كبيراً خلال الحكم الناصري في غرناطة، وسرعان ما زال مع زوالها واستمر وجوده قائماً حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادي في الشمال الإفريقي.
يتميز هذا الفخار بغنى موضوعاته الزخرفية التي تبرز أهمية الموضوعات الكتابية ذات الخط الكوفي وأشهر قراءاتها كلمات: الوفاء والبركة، والملك، والملك له، وكاملة، وعافية، والسلامة، واليمن، والحمد، والغبطة، والشكر، والعز، والسعادة. وكذلك موضوعات مكتوبة بالخط النسخي وأهم قراءاتها: اليمن، والبركة، والعزلله ، والغبطة.
تقسم موضوعاتنا المدروسة هذه إلى الفترات التاريخية التالية:

- *موضوعات تعود إلى القرن الثاني عشر حتى السنوات الأولى من القرن الثالث عشر الميلاديين وتتوافق مع الفترة الموحدية.*
- *موضوعات تعود لفترة القرن الثالث عشر الميلادي أي للفترة الانتقالية بين العهدين الموحدي والناصري.*
- *موضوعات تعود إلى القرن الثالث عشر وحتى القرن الخامس عشر الميلاديين والمتوافقة مع الفترة الناصرية.*

يشكل جزءاً من أطروحة الدكتوراه

الزخرفة الكتابية المطبوعة على الفخار الأندلسي الغرناطي

من المعروف أن الفخار الأندلسي المطبوع هو الذي يحوي زخارف مطبوعة يتم الحصول عليها بالضغط بوساطة طابع أو خاتم يحتوي على زخرفة ذات مضمون معين، يكون شكلها بارزاً أو مجوفاً، حيث يدق الطابع على العجينة الفخارية وهي ماتزال في حالة لزجة قبل حرقها فيثبت شكل الزخرفة المطلوبة التي يمكن إدراجها ضمن مجموعة الزخارف البارزة أو النافرة.

إن مادة صنع هذا الطابع هو الطين المشوي أو الجص[1] ويستبعد أن يكون من الخشب[2] بسبب مساميته حيث يمتص الرطوبة من العجينة الفخارية مما يؤدي إلى عدم انطباع واضح وجلي[3] .

من الصعب تحديد زمن نشأة هذا الفخار، ويمكننا الإشارة إلى وجود بعض البقايا التي تم العثور عليها في شبه الجزيرة الإيبرية والعائدة للفترة الرومانية المتأخرة كما هو الحال في (sigillata)[4] . هذا ومن الأهمية بمكان الإشارة كذلك إلى ظهور بعض القطع الفخارية المتفرقة في مدينة الزهراء والعائدة لفترة الخلافة الأموية في قرطبة[5]

---

(١) Aguade Villalba: La cerámica hispanomuslmana de Toledo. Madrid, p. 29.

(٢) M. González Marti: Cerámica del Levante espanol. Siglos medievales. T.I. La loza. Barcelona-Madrid, p. 40.

(٣) C. Montes Machuca: "Algunas cerámicas estampilladas de Jerez de la Forontera (Cádiz)". Estudios de Historiay de Arqueologia Medievales. VII-VIII. Cádiz, p. 179.

(٤) J.Zozaya: "Aperçu général sur la céramique espagnole". CMMO, p. 267.

(٥) B. Pavón Maldonado: "Notas sobre Arte y Arqueología Hispanomusulmana en Andalucía". Andaucía Islámica, II-III, 1981, p. 427.

وإلى بعض العينات التي اكتشفت في مدينة سرقسطة وطليطلة والعائدة لفترة حكم ملوك الطوائف في الأندلس(٦) ، إلا أن أهم الاكتشافات هي تلك التي ظهرت في قلعة بني حماد في الجزائر، والتي تعود إلى القرن الحادي عشر الميلادي(٧). وبدءاً من هذا التاريخ انتشر هذا النوع من الفخار في أنحاء الغرب الإسلامي كافة مخلفاً شواهد واضحة كثيرة تظهر في شبه الجزيرة الايبرية من جنوب البرتغال حتى منطقة مرسية في الشمال الشرقي من الأندلس.

إذن يمكن القول من الناحية التاريخية إن هذا الفخار قد ظهر خلال قرون عديدة ــ من القرن العاشر حتى القرن السابع عشر الميلادي ــ واكتسب تقدماً كبيراً وملحوظاً خلال القرن الثاني عشر الميلادي ضمن فترة الحكم الموحدي وهذا ما فرض تطوراً شمل الأشكال الفخارية والموضوعات الزخرفية المطبوعة واستمر هذا التطور واضحاً حتى نهاية الوجود العربي الإسلامي في شبه الجزيرة الايبرية مع سقوط المملكة الناصرية في غرناطة.

استطاع الفنيون والصناع العرب المسلمين من تطوير هذا الفن، وسرعان ما تحولوا فيه إلى مهرة كبار، وبالرغم من النجاح الذي حققته حركة الاسترداد المسيحية في الأراضي الأندلسية، فإن هذه الصناعة استمرت في أماكن متفرقة من بلاد الأندلس كما في طليطلة(٨) وقرطبة(٩) واشبيليا(١٠) .وغيرها، ولكنها سرعان ما زالت وتلاشت مع

---

(٦) J. Maria Viladés Castillo: "Cerámica islàmica con decoraión estampillada de Zaragoza" II came, III, 1987, pp. 221-230. J. Aguado Villalba, op. Cit. P.29

(٧) L. Golvin: "Les céramiques émaillées de période hammadide Qal'a des Banu Hammad (Algérie)" CMMO, 198, pp. 203-219. Recherches arqueologiques à la Qal'a des Beni Mammad. Paris, 1965.

(٨) M. L. Herrera Escudero: "Las tinajas mudéjares de Toledo: Intento de sistematización" MMAP. IV. 1943, pp. 146-155.

زوال الحضور العربي الإسلامي من شبه الجزيرة الايبرية وتلاشيه واقتصر وجودها على الشمال الإفريقي حيث استمرت حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادي[١١] .

إن استخدام الطباعة بوساطة الأختام في تجميل الأواني الفخارية المتنوعة كان قد نال قبولاً كبيراً في زخرفة بعض الخوابي الكبيرة ذات السطوح الواسعة، وهي عبارة عن أوان فخارية كبيرة لحفظ الماء[١٢]. وكان يحدد مكانها في أفنية المساكن والدور الأندلسية الجميلة، كما كان لها وظيفة جمالية تمثل الزخارف التي تكسبها قيمة كبيرة تؤهلها لتكون تحفة فنية تتصدر قاعات وغرف استقبال بيوت الأثرياء من العرب الأندلسيين.

أما الخاتم أو الطابع الزخرفي وهو العنصر الأساسي لهذه الزخارف فيظهر بنوعين من الأشكال: الشكل/المستطيل الأفقي، والشكل/المستطيل العامودي، وتختلف أحجامها تبعاً لاختلاف نوعية الآنية الفخارية والفترة الزمنية التي وجدت فيها. أما ترتيب هذه الزخرفة فوق سطح الآنية فقد خضع لنوعية الآنية، وقد ساعد اتساع سطح الخابية وسماكة جدرانه على تطور وتنظيم الطبعات فوق سطحها بشكل أكبر، حيث ظهرت متراصة ومتتابعة داخل شرائط تحتوي أحياناً على طبعة واحدة، وأحياناً أخرى على

---

[٩] S. Santos Gener: "Estampillas de alfarerís moriscas cordobesas" MMAP, IX-X, pp. 220-232.

[١٠] J. A. Sicrra Fernàndez y M. G. Lasso de la Vega: "Tinajas mudéjares del Musco Arqueológico de Sevilla. Tipologia y Decoración". Homenaje a Conchita Fernández Chicarro. Madrid, 1982, pp. 457-470.

[١١] G. Deverdun y M. Rouch: "Notes sur les nouveaux documents de céraique marrocaine découverts à Marrakech" Hespéris, 36, 1949, pp. 452-455.

[١٢] A. Bazzana: "Céramiques médiévales. Les méthodes de la description analytique apliquées aux productions de l'Espagnne Orientale" MCV, XV, 1979, PP. 135-185.

طبعتين ويمكن أن تأتي أيضاً على شكل سلاسل ذات طبعات منفصلة بعضها عن بعض[١٣].

يتميز الفخار الأندلسي المطبوع بعرض نماذج عديدة من الموضوعات الزخرفية، كما تظهر أهمية الموضوعات الكتابية التي تتميز بدورها بعرض الأشكال والأساليب الخطية والزخارف.

لقد استخدمت الكتابة العربية ــ كما هو معروف ــ لجمع الرسالة الإلهية المنزلة على الرسول محمد (ص) والمتمثلة بالقرآن الكريم وهو ما أضفى عليها صفة مقدسة، وقد انتشرت سريعاً على رقعة جغرافية واسعة مرافقة للفتح العربي الإسلامي الذي كان قد بدأ منذ عهد الرسول.

ما يميز هذه الكتابة أنها تتوافق مع مجموعة الكتابات الواسعة فهي من نوع أبجدي وفونولوجي. وأحرزت خطوطها تطوراً كبيراً على مر العصور، وجاء هذا التطور متوافقاً مع أساليب مميزة، تقنية وجمالية وفكرية، خاصة في المجتمع العربي الإسلامي عبر العصور[١٤].

---

[١٣] حول الطابع الزخرفي والتنظيم العام للزخرفة المطبوعة فوق سطوح الأواني الفخارية، انظر أطروحتنا في الدكتوراه:

La cerámica estampillada en Granada. Granada, 1995, pp. 82-96

[١٤]. J.Sourdel Thomine: “Khatt”. Encyclopéie de l’ Islam. IV, 2a. edición, 1987, p. 1145.

الموضوعات ذات الكتابة الكوفية في الفخار الأندلسي المطبوع

من المعروف أن الكتابة الكوفية ظهرت في الكوفة، المدينة العراقية التي أسسها الخليفة عمر بن الخطاب عام ٦٣٧/٥١٦م، فنسبت إليها ثم انتشرت في أرجاء العالم العربي والإسلامي كافة. يصفها مؤرخو الخط العربي بأنها كتابة جافة تعتمد على الخطوط المستقيمة القاسية، وتتميز بقلة عدد أحرفها البالغ سبعة عشر حرفاً من مجموع قدره ثمان وعشرين حرفاً بسبب عدم وجود النقاط المميزة والأحرف الصوتية. وهي كتابة ذات صفة زخرفية بشكل خاص. ظهر منها في العصر الأموي أسلوب الخط الكوفي البسيط الذي تطور تدريجياً في مناطق جغرافية مختلفة وظهرت أنواع أخرى كالكوفي الأغلبي والطولوني والفاطمي والغزنوي...وغيرها، كل واحد منها له أسلوب خاص وزخارف مختلفة.

لقد امتازت الكتابة الكوفية بمحاولتها إقامة التوازن بين جزئي الشريط الكتابي وهي الجزء العلوي الفارغ من الزخرفة والجزء السفلي المليء بها، ولحل عدم التوازن هذا فقد تبنت الأحرف العلوية زخارف نباتية في أطرافها العليا. واعتباراً من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي امتازت الكتابة الكوفية بوظيفة زخرفية محددة، خاصة في العمارة والفخار[١٥].

من كل ما تقدم يمكننا التحدث الآن عن الزخارف الكتابية ذات الخط الكوفي التي ظهرت في الفخار الأندلسي المطبوع حيث يمكننا ملاحظة مدى التقدم والتطور الزخرفي الذي بدأ بأشكال بسيطة وتطور إلى أشكال أكثر تعقيداً بإضافة حواش زخرفية مرافقة، وهكذا تم الوصول إلى كتابة كوفية أكثر إعداداً وإتقاناً وروعة.

---

[١٥] Op. Cit., pp. 1144-1145. M. Ocana Jiménez: El cúfico hispano y su evolucion. Cuadernos de Historia, Economía Derecho y Hispanomusulmán. Instituto Arabe de Cultura. Madrid, 1970

١. تبدأ الفترة الأولى بسلسلة من الموضوعات الأكثر بساطة وهذا لا يعني أنها أقل جمالاً أو أناقة. إن الميزة الأولى التي تلفت الانتباه في هذه النماذج هي ظهورها في طبعات من النوع المستطيل الأفقي، وذات أحجام متباينة، تقيس بعضها ٨×٤سم، وبعضها الآخر ٢×١سم (الشكل ١). يؤلف النقش الكتابي الموضوعي الرئيسي للطبعة ولهذا ظهرت الأحرف بحجم كبير لتشغل أكبر حيز ممكن من القالب المطبوع. إن الزخارف القليلة المرافقة للموضوع الرئيسي هي أشكال ثانوية بسيطة، وتتمثل في أشكال الدوائر والمثلثات أو ببعض النماذج النباتية من سيقان وأوراق وأزهار. من الواضح أن هذه الموضوعات تتميز عن غيرها بعرض تفصيلات زخرفية كبيرة وغنية (الشكل٢)، وهذا ما يلاحظ أرضية الشكل الزخرفي الذي يأتي غنياً وذا اهتمام واضح (الشكل ٢/١٠و ١١). وكذلك في رسم الأحرف التي تظهر بدايات الأسلوب الكوفي المورق (الشكل ٢/٤ ـــ١٤)؛ وهكذا نرى أن الأحرف العليا: اللام والألف والكاف تنتهي جميعها بسيقان وأوراق نباتية ملتوية. ويمكن إبراز الموضوع رقم ١٢ من الشكل ٢ لأناقته البسيطة والمتحصل عليها بفضل التحضير الدقيق للموضوع الزخرفي. من القراءات التي تظهر في هذه الفترة نذكر: الوفاء[١٦]، والبركة[١٧]، والملك، والملك له[١٨]، وكاملة، وعافية، والسلامة، واليمن، والحمد، والغبطة.

تتوافق هذه الزخارف الكتابية تاريخياً مع الفترة الموحدية الممتدة من القرن الثاني عشر حتى السنوات الأولى من القرن الثالث عشر الميلادي.

---

[١٦] هي من القراءات المألوفة لهذه الفترة وقد ظهرت في مناطق متفرقة من بلاد الأندلس كما في مرتولة (القرن ١١ـــ١٢) والمرية (١ـــ١٣) وطليطلة واشبيليا (الفترة المدجنة) حول هذه الفترة انظر: Op. Cit., p. 169

[١٧] تعد قراءة البركة من القراءات الهامة لهذه الفترة حيث استمر ظهورها قائماً في الفخار المطبوع في مناطق مختلفة من الأندلس كما في المرية (القرن ١٢) ومرتولة (القرن ١٢ـــ١٣) واليكانته (القرن ١٣) ومرسية (القرن ١٣)، كذلك ظهرت في جدران قصر الحمراء في تشكيلة زخرفية رائعة متناظرة ومغلقة، بالإضافة إلى ظهورها في فخار الشمال الإفريقي كما في سبتة وسلا. انظر: Op. Cit., pp.169-173

[١٨] ظهرت هذه القراءة في مرسية في الشمال الإفريقي من الأندلس في القرن الثالث عشر. انظر: Op. Cit., pp. 160-163

٢. أما موضوعات الفترة الثانية فهي أكثر تعقيداً إلى حد ما من الموضوعات السابقة، وقد حددت تاريخياً ضمن فترة القرن الثالث عشر الميلادي، فأحياناً تأتي قريبة الشبه من الطراز الموحدي، وأحياناً أخرى تأتي لتقترب من الطراز الناصري ولو أنه في الحقيقة يمكن عد هذا القرن فترة انتقالية بين العهدين الموحدي والناصري.
يمكن ملاحظة وضوح التطور الزخرفي في هذه الفترة من عدة نواح: في البداية يلاحظ أن الطبعات مازالت تحافظ على شكلها المستطيل الأفقي، ولكنها الآن تبدو بالشكل المستطيل العامودي ولا تظهر في طبعات ذات حجم كبير (الشكل ٣)،بالرغم من وجود بعض الاستثناءات (الشكل٣/٢).أما الأحرف فكما هو الحال بالنسبة للطبعات فقد أصبحت أكثر طولاً أو تبدأ بالتخلي تدريجياً عن لعب دور رئيسي فيما يتعلق بأرضية الشكل الزخرفي الذي يظهر في كل محلة أكثر غنىً وعنايةً، ويتألف من موضوعات كانت قد ذكرت آنفاً كالسيقان الملتوية والأوراق والأشكال النباتية الأخرى بالإضافة إلى ظهور موضوعات جديدة لم تكن معروفة من قبل كيد فاطمة.
من الملاحظ أن مصمم هذه الموضوعات كان قد بذل جهداً كبيراً وواضحاً فيما يتعلق ببنية الموضوع الزخرفي حيث كان يبحث دائماً عن التوازن والتوافق في التشكيلة الزخرفية ولهذا فقد اعتاد أن يلجأ إلى طريقة التناظر واستخدام الأشكال المعمارية في إعدادها، كالأقواس والحنايا المملوءة بالزخارف النباتية (الشكل ٤).
تتحد أحرف هذه المجموعة من الموضوعات لتشكل عقوداً تكتنف في داخلها أرضيات نباتية جميلة، ونرى في الكثير من الموضوعات عقداً مركزياً كاملاً واثنين جانبيين غير كاملين (الشكل ٤/١و٢و٤/٦)، وهما يحتاجان إلى تعاقب متقن للطبعات التي تشكل شريطاً متواصلاً. أما في موضوعات أخرى (الشكل ٥) فإن الأحرف تبدأ لتظهر تغيراً في نهاياتها يتمثل بالتواءات وتزيينات وبالتالي ستظهر لدينا بدايات الكوفي المورق الذي تجلى فيما بعد بكل روعته ورونقه.

تبرز في هذه الفترة الثانية أهمية قراءات الملك بشكل خاص[١٩]، والشكر، والعز.

٣. أما مجموعة الموضوعات الأكثر تعقيداً وتحضيراً فتمثلها الموضوعات المتوافقة مع الفترة الناصرية الممتدة من القرن الثالث عشر حتى القرن الخامس عشر الميلاديين.

يتضح اهتمام الفخاري في هذه الفترة بشكل بارز ليس فقط بالكتابة، وإنما أيضاً في أرضية الشكل الزخرفي للموضوع الذي فيه تتوضع الكتابة، ويظهر لدينا الآن الكوفي المورق والمزهر (الشكل ٦). ومما يلفت النظر إليه، في البداية، هو شكل الأحرف المتحولة الآن إلى سيقان تنتهي بأوراق نباتية أو بأزهار الزنبق. تتميز الكلمة بمرونة أكبر مليئة بالحياة وتمتزج بعمق غني جداً بالسيقان والأوراق والأزهار وهو ما سينبئ بازدهار التقنية الزخرفية المعروفة بالتوريق.

من جهة أخرى، تجدر الإشارة إلى نوع أخير من الموضوعات المنجزة إنجازاً رائعاً حيث سيطرت في كل منهما فكرة التناظر واستخدام الأشكال المعمارية (الشكل ٧). أما التناظر، فكما كنا قد أشرنا سابقاً، فهو موضوع مألوف الاستخدام ويعطي تأثيرات جمالية رائعة للغاية. أما الأشكال المعمارية فيمكن أن نراها واضحة وممثلة بعروض مختلفة الأنواع من العقود التي تستند إلى أحرف توظف بمنزلة أعمدة رفيعة ناعمة.

تظهر الكتابة في كل مرحلة بملامحها البارزة باحثة عن التناظر بأشكاله الجذابة وكذلك تظهر القراءة أحياناً مكتوبة بالعكس (الشكل ٧/٢و٦)، وتكرر أحياناً أخرى

---

(١٩) كانت قد انتشرت قراءة كلمة الملك على رقعة جغرافية واسعة شملت بلاد الأندلس وجزء كبير من الشمال الإفريقي ويمكن أن نلاحظ وجودها في الفخار المطبوع العائد للمناطق التالية: مرتولة (القرن ١١ــ١٣) وسيلبس (الفترة الموحدية) وجيان (القرن ١) وقادش (القرن١٢ــ١٣) ومرسية (القرن ١٣) وطليطلة واشبيليا (الفترة المدجنة) وفي شمال افريقيا في سبته وسلا ومراكش وسيدي بو عثمان (القرن ١) حول هذه القراءة انظر: Op. Cit., pp. 152-160

القراءة نفسها ضمن موضوع واحد (الشكل ٥/٧)، ويمكن أن تظهر الكلمة متوضعة في سطرين (الشكل ٤/٧)، أو من الممكن أن يمتزج طرازان من الكتابة كالكوفي والنسخي في آن معاً لتشكيل الموضوع الزخرفي (الشكل ٧/٧).

أما أرضية الشكل الزخرفي الذي تقدمه هذه الموضوعات فهو من النوع النباتي حيث تكرر الحواشي الزخرفية المألوفة كالأزهار والأوراق والسيقان الملتوية وتظهر جميعها بأناقة ودقة واضحة في الإعداد. ومن القراءات المألوفة لهذه الفترة نذكر أهمية قراءة عافية[٢٠]، وغبطة[٢١] ، بالإضافة إلى قراءة السعادة،والبركة، والملك له.

---

[٢٠] ظهرت هذه القراءة في كل من: مرتولة (القرن ١١٣) واشبيليا (الفترة المدجنة) بالإضافة لظهورها في جدران عصر الحمراء في غرناطة انظر: Op. Cit., pp. 163-166

[٢١] تظهر هذه الكتابة في اليكانته ومرسية في القرن الثالث عشر بالإضافة إلى منطقة سبته وجدران قصر الحمراء في غرناطة. انظر: Op. Cit., pp. 166-169

الموضوعات ذات الكتابة النسخية في الفخار الأندلسي المطبوع.

تؤلف الكتابة النسخية نوعاً آخر من الكتابة ذات خطوط مرنة ومستديرة. تتميز بتبنيها ثمانية وعشرين حرفاً وذلك لاستخدامها نقاط مميزة بين الأحرف المتشابهة، على الرغم من أنه في حالات كثيرة فإن هذه النقاط ما تزال غير ظاهرة[٢٢] .

لقد ظهرت هذه الكتابة في الفترة اللاحقة للعصر الأموي، وكانت الكتابة التقليدية للمكاتب والإدارة واستخدمت منذ القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي لتحرير الوثائق العادية، واعتباراً من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي لأعداد نسخ من القرآن الكريم.

كانت عبارة عن نوع من الكتابة النسخية الهجينة المسماة الكوفية ــ النسخية التي انتشرت في الأقاليم الإيرانية في النقوش الفخارية. لقد حازت على أهمية كبيرة في الغرب الإسلامي حيث اشتقت منها الكتابة المغربية[٢٣] ، وضمن الكتابات النسخية في الفخار الأندلسي المطبوع يمكننا أن نميز أيضاً بين فترات مختلفة:

١. كما رأينا في النقوش الكتابية الكوفية العائدة للفترة الأولى فإن الموضوعات هنا تبدو متوضعة في طبعات مستطيلة أفقية (الشكل ٨).

تتميز الأحرف بحجمها الكبير وتؤلف الموضوع المركزي للطبعة وتتبنى أشكالاً مستديرة ومرنة حيث تمتزج مع موضوعات زخرفية نباتية. أما أرضية الشكل الزخرفي فمن غير المعتاد أن تظهر معقدة جداً، لكنه في بعض الأحيان يمكن أن تتطور بقصد عدم ترك أي فراغ في أرضية الموضوع ويتألف من تراكم موضوعات نباتية ذات ملامح بارزة نوعاً ما كالأوراق والسيقان الملتوية والأزهار. وتجدر الإشارة إلى أهمية الموضوع رقم ٧من الشكل ٨ حيث تظهر الكتابة مندمجة مع

---

(٢٢) Op.Cit., p. 180

(٢٣) L. Sourdel Thomine.Op. Cit., pp. 1144-1154

أرضية الشكل الزخرفي النباتي بانسجام وتوافق تامين. ومن قراءات هذه الفترة تبرز أهمية (اليمن) بالإضافة إلى البركة، والعز، والعز لله.

وبالتوازي مع الموضوعات الكتابية الكوفية السابقة يمكن القول: إن هذه الفترة الزخرفية الأولى تتوافق تاريخياً مع أذواق وأفكار الفترة الموحدية الممتدة من القرن الثاني عشر حتى بدايات القرن الثالث عشر الميلاديين.

٢. أما موضوعات الفترة الثانية لكتابات الخط النسخي فتتوافق مع فترة تاريخية وفنية أخرى (الشكل ٩ و١٠). أما أوجه الاختلاف مع الموضوعات السابقة فهي واضحة جداً، فبالإضافة إلى شكل الطبعة التي تظهر الآن بشكلها المستطيل الأفقي، يمكن إدراك التغيير الحاصل في الكتابة ولا سيما في أرضية الشكل الزخرفي الذي يحيطها.

تتطاول أحرف هذه الكتابات وتظهر بملامحها البارزة بشكل جيد، وفي الوقت نفسه تبدأ لتحيط نفسها بموضوعات زخرفية نباتية معدة ومحضرة بعناية فائقة كالأوراق والأزهار والسيقان الملتوية (الشكل ٩). تبدأ هذه الموضوعات النباتية لتكتسب في كل مرحلة أهمية أكبر تظهر في الملامح البارزة التي تعرضها وتصبح أكثر نعومة (الشكل ١٠/٤) وهكذا تتحول هذه الزخارف أخيراً لتقوم بلعب دور رئيسي وحقيقي في التشكيلة الزخرفية للموضوع العام (الشكل ١٠/٢) حيث تعرض أشكالاً معقدة كالتوريق الذي يظهر بدوره متناظراً في بعض الأحيان (الشكل ١٠/٣).

تفتقد الكتابة في هذه الفترة دورها الأساسي لتفسح في المجال للتشكيلات النباتية بالظهور، وتقوم هذه التشكيلات بتقليد الكتابة في استدارتها ومرونتها ليمتزجا فيما بينهما في أرضية الشكل حيث يكونان الموضوع الزخرفي. من القراءات الهامة في هذه الفترة نذكر اليمن[٢٤]، والغبطة.

---

[٢٤] ظهرت هذه القراءة في طليطلة (عصر ملوك الطوائف) ومايوركا (الفترة المرابطية) ومرتولة (القرن ١١–١٢) وجريس (القرن ١٢) بالإضافة إلى سبته وسلا. انظر: Op. Cit., pp. 175-176

تاريخياً يمكن القول: إن هذه الموضوعات كان قد بدأ إنتاجها بالظهور في السنوات الأخيرة للسيطرة الموحدية في الأندلس ولكن سرعان ما أحرزت تطوراً كبيراً وواضحاً في الفترة الناصرية أي مع نهايات القرن الثالث عشر وحتى القرن الخامس عشر الميلاديين.

نتائج الدراسة

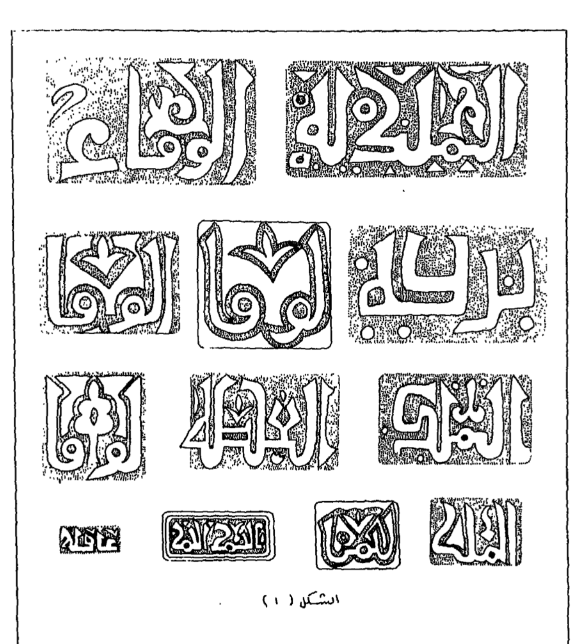
من النتائج الأكثر أهمية لهذه الدراسة هي التمكن من تحديد فترتين مختلفتين كان قد ظهر خلالهما هذا النوع من الفخار وهما الفترة الموحدية والناصرية، وتمتعت كل فترة من هاتين الفترتين بمميزات خاصة، حيث نرى أن الوجود الموحدي في شبه الجزيرة الايبرية كان قد فرض انتشار صناعة هذا الفخار في عدة مناطق متفرقة من البلاد الأندلسية، هذا بالإضافة إلى تطوير التقنية الزخرفية المرافقة لهذه الصناعة. أما في الفترة الناصرية فبالرغم من تحجيم الوجود العربي الإسلامي في شبه الجزيرة واقتصاره على المملكة الناصرية، نرى أن هذه الصناعة كانت قد وصلت إلى أوج ازدهارها وتقدمها وروعتها وهو ما تظهره الأمثلة العديدة التي كانت قد اكتشفت نتيجة لأعمال التنقيبات الأثرية المتواصلة في المواقع العديدة من العاصمة الناصرية غرناطة.

ومن النتائج الأخرى التي يمكن ذكرها فيما يتعلق بالفترة الموحدية التي تشمل القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين هي تميزها بطبعات مستطيلة أفقية ذات قراءات من حجم كبير تؤلف الموضوع المركزي، وهي ذات أرضية زخرفية بسيطة، ومن أهم قراءتها الكوفية: الوفاء والبركة والملك. أما القراءات النسخية فتظهر أهمية اليمن. أما في الفترة الانتقالية الممتدة خلال القرن الثالث عشر الميلادي فتظهر الطبعات المستطيلة العامودية بأحرف بارزة الملامح وأرضية غنية بالزخرفة. أما قراءاتها الكوفية فهي الملك، والنسخية اليمن.

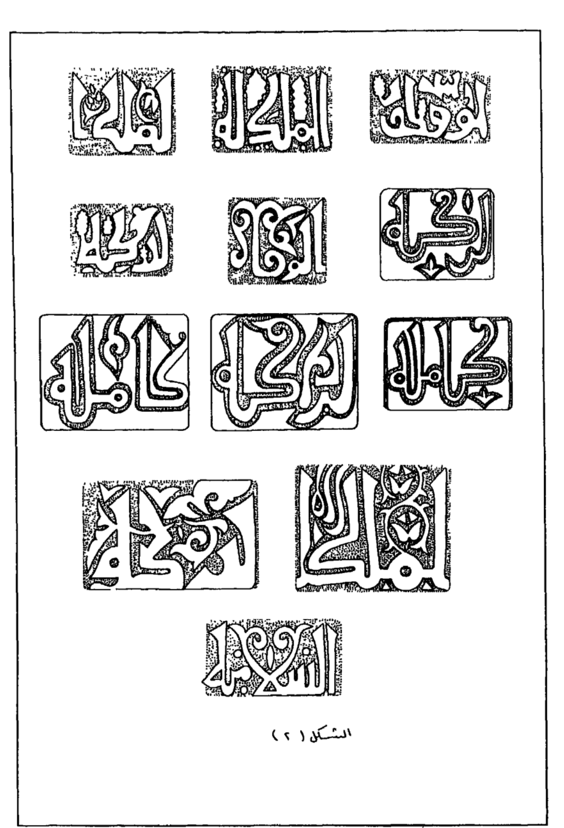
وفي الفترة الناصرية الممتدة من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر الميلاديين فتميز بطبعات مستطيلة عامودية تتمتع كتابتها بالمرونة، أما أرضية الشكل الزخرفي فتظهر أهميتها بشكل كبير، ويمكن ذكر الامتزاج والاندماج بين الأرضية الزخرفية والكتابة التي يقدمها الموضوع بالإضافة إلى ظهور تقنية التوريق أو الخط

الكوفي المورق والمزهر، ومن القراءات الكوفية الهامة في هذه الفترة فـــهي عافيـــة، وغبطة، والنسخية اليمن، وغبطة كذلك.

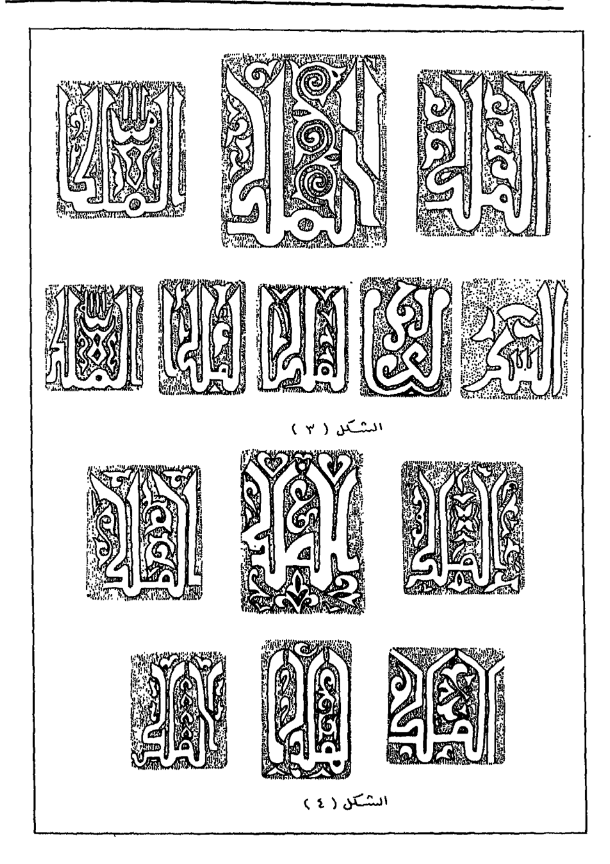
أخيراً تجد الإشارة إلى الأهمية الكبيرة التي تقدمها الأشـــكال المعماريـــة واســتخدام التناظر وهي مفاهيم كانت قد امتزجت مع الموضوع النباتي المفضل في هذه الفـــترة حيث يلاحظ تأثر هذه الأساليب الزخرفية بالمرونة التي تقدمها الموضوعات النباتية.



الشكل (١)

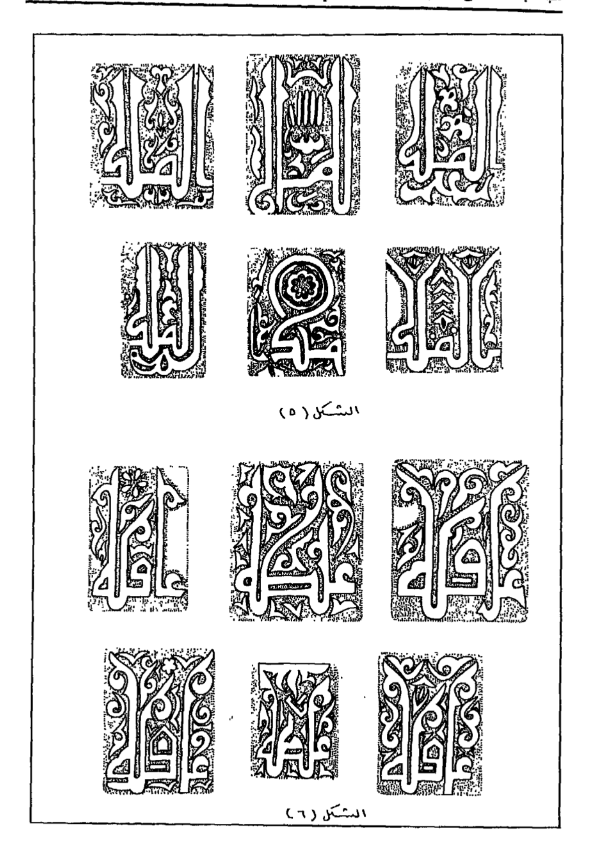


الشكل (٢)



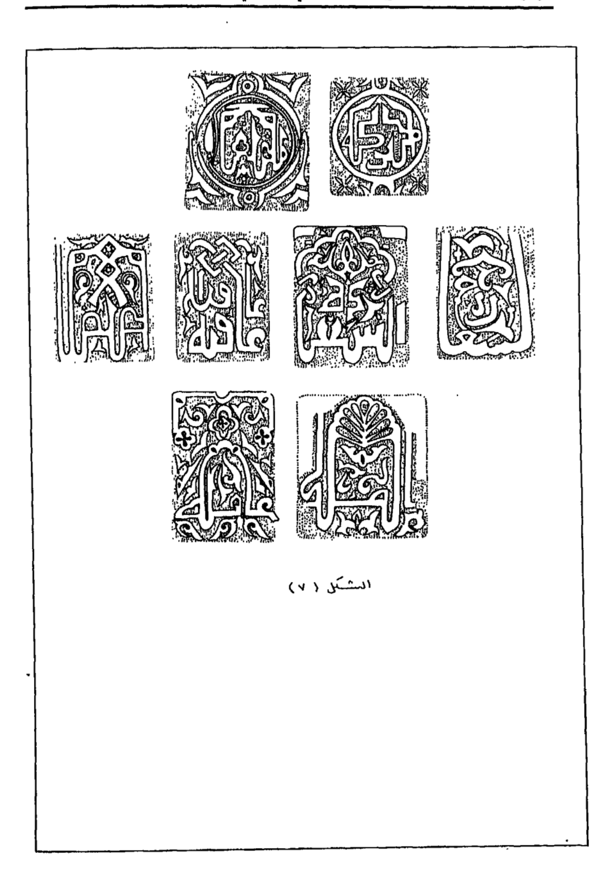
الشكل (٣)

الشكل (٤)

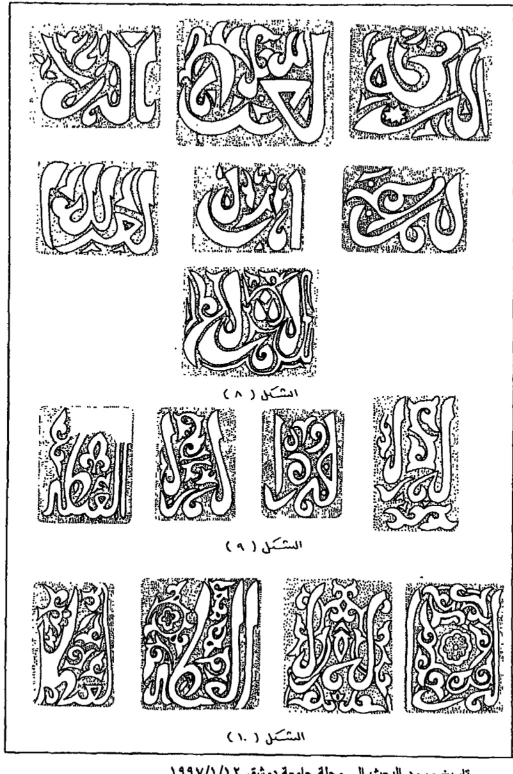


الشكل (٥)

الشكل (٦)



الشكل (٧)



الشكل (٨)

الشكل (٩)

الشكل (١٠)

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٩٧/١/١٢.

المواقيت والزمن عند الصفويين العرب

د. سلطان عبد الله المعاني
قسم الآثار ـ كلية الآداب
جامعة مؤتة

ملخص

يستنطق هذا البحث النقوش الصفوية متتبعاً الإشارات التاريخية وأنواعها، وقد عكست هذه الإشارات طبيعة المجتمع الصفوي وطريقته في الحياة، القائمة على التنقل الموسمي، طلباً للماء والكلأ، وقد غصت النقوش الصفوية التي تلمح إلى تاريخ معين، بذكر الأيام والنوازل التي فرضتها طريقة الحياة القاسية نفسها. وخلص البحث إلى طرق التوقيت التالية:

١ -التأريخ بكلمة سنة، كوحدة زمن مطلقة.

٢ -التأريخ بأرقام معينة في التاريخ.

٣-التأريخ بالحروب والصراعات القبلية، وانقسم هذا الجزء إلى ما يلي:

أ-التأريخ بأحداث تتعلق بالسلاطين والملوك.

ب-التأريخ بالثورات وحالات التمرد.

ج-التأريخ بالحروب الأهلية والقبلية.

د- التأريخ بالأيام والحروب مع الشعوب والأمم المجاورة.

هـ التأريخ بالأيام والحروب عند الشعوب والأمم المجاورة.

و-التأريخ بحوادث الهرب والنجاة من سلطة روما.

ز-التأريخ بحوادث فردية ضيقة.

وتتبع البحث نقاش المفردات المتعلقة بالوقت كالسنة، والعام، وفصول السنة، والأيام بنهاراتها ولياليها.

وخرج البحث بالكشف عن أن عشرات المفردات في النقوش الصفوية التي تجري مجرى التاريخ والمواقيت، وهي مفردات لها دورها الوظيفي المقصود الذي يعكس طبيعة المجتمع الصفوي من نواحيه الاجتماعية والاقتصادية والفكرية المختلفة.

أولاً

تقديم:

لقد عُرف التاريخ بأنه تعريف بالوقت[1]، وهو يبحث في وقائع الزمان ومسائل أحواله ضمن نواحي الوقت والمكان، فالتاريخ يعنى بالإنسان وأحواله[2].

وكان لكل أمة في التاريخ طريقتها في التأريخ والتقويم، فعرف التاريخ التقويم السرياني والتقويم الميلادي أو الرومي أو الجريجوري أو الشمسي، ومن التقاويم التقويم الهجري أو العربي أو القمري، ومنها القبطي والفارسي[3]، وقد أرخ الأغارقة القدماء ابتداءً من الأولمبياد سنة ٧٧٦ ق.م، وأرّخ الرومان بسنة تأسيس عاصمتهم روما (٧٥٣ ق.م)، أما في اليمن فقد أشارت النقوش السبئية إلى طريقتين في التأريخ، الأولى تؤرخ للأحداث المشهورة منذ الحقبة السبئية التي تبدأ بقيام الدولة الحميرية بين ١١٥-١٠٩ ق.م، ونجد هذه الطريقة في النقوش التي تعود إلى الفترة بين القرنين الرابع والسادس الميلاديين، والطريقة الثانية تبرز في نقوش القرن الثالث الميلادي، وهي تؤرخ لحقبتين، الأولى وتسمى باسم رجل هو / *ب ر ض ب ن ب ح ض* / والثانية حقبة / *ن ب ط* /، وهي التي تبدأ على الأرجح بحملة ايليوس جالوس الوالي الروماني على مصر عام ٢٤ ق.م[4]. وفي وادي الرافدين لم يستخدم العراقيون القدماء نظاماً ثابتاً في التأريخ، حتى تبنوا التقويم السلوقي سنة ٣١١ ق.م، وقبل ذلك أرخوا بإحدى الطرائق الثلاث التالية: الأولى وتبدأ بذكر سني حكم الملك بأرقام مجردة نحو: "السنة الثالثة من عهد نبونيدس ملك بابل"، وقد سادت هذه الطريقة في بداية العهد السومري، وتبناها الكاشيون من بعدهم، والثانية تؤرخ بحادثة مهمة مثل الانتصارات العسكرية أو بناء المعابد، لكل سنة من سني حكم الملك، وقد سادت هذه الطريقة في الفترة السومرية المتأخرة وبداية الفترة البابلية، أما الطريقة الثالثة فكانت بإطلاق اسم موظف كبير في المملكة على كل سنة من سني حكم الملك، وقد تبنى الآشوريون هذه الطريقة[5]، وقد

حملت اللوحة الخامسة من ملحمة الخلق إشارات عابرة لمسألة التقويم عند العراقيين القدماء[٦]. أما المسلمون فقد ابتدؤوا تاريخهم من الهجرة النبوية سنة ٦٢٢م.

المواقيت والأيام عند العرب:

حدد العرب أوقاتهم بالاستعانة بالنجوم والأهلة، وأرخوا بالأحداث الجسام والأيام المشهورة، يقول حاجي خليفة: "إن علم أيام العرب هو علم يبحث فيه عن الوقائع العظيمة، والأهوال الشديدة بين القبائل .... وينبغي لذلك أن يجعل فرعاً من فروع التاريخ[٧]. ويشير العرب إلى استعانتهم بالنجوم في أشعارهم، فها هو ذا امرؤ القيس يستعين بالثريا عند زيارته لمحبوبته قائلاً:

إذا ما الثريا في السماء تعرضت ، تعرض أثناء الوشاح المفصل

فالثريا ذلك اليوم بدأت بأعرض جوانبها، ويكون هذا أول الليل في فصل الشتاء[٨]. وقد حدد العرب شهورهم بالقمر لا بالشمس، لذلك فإنهم بنوا تواريخهم على الليالي دون الأيام[٩].

إن الظروف الاجتماعية والثقافية عند العرب قد أثرت في الاهتمام بالأيام والحروب، وفي اتخاذها مادة للتأريخ، وأيام العرب هي المعارك التي وقعت بين القبائل العربية في الجاهلية، مثل التي وقعت بين قبائل البادية كحرب البسوس، أو بين أهل القرى والمدن مثل الأوس والخزرج. ولقد كانت الدوافع وراء هذه الأيام تتراوح بين الجدية، مثل المناحي الاقتصادية مثل حرب البسوس، أو المناحي السياسية كما حدث بين الأوس والخزرج، أو بدوافع خارجية مثلما حدث بين المناذرة والغساسنة نتيجة أحلافهما مع فارس وروما، أما الدوافع الأخرى فتعود إلى أمور بسيطة أو ذاتية ليست ذات بال مثل حرب داحس والغبراء.

وتوحي أيام العرب، فيما توحي إليه، إلى انعدام الشعور العربي آنذاك بوجود أمة

عربية، فالقبيلة وحدة قائمة بذاتها وفق الأنساق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

لقد أثرت الهجرات المتعاقبة والمستمرة من عرب الجنوب نحو عرب الشمال في إذكاء الوقائع والأيام والحروب، ومن هذه القبائل الطارئة كندة، حيث زحفت نحو الشمال في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي[١٠].

أما عند ظهور الإسلام فقد دعت الحاجة المسلمين إلى الاهتمام بالنجوم والقمر لتحديد مواقيت الصلاة والحج والصيام والعيدين، وقال تعالى في كتابه الكريم: "هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب، وما خلق اللّه ذلك إلاّ بالحق، نفصل الآيات لقوم يعقلون"[١١].

التواريخ والمواقيت عند العرب الصفويين

إن محاولة تتبع التقويم عند العرب الشماليين، تعد محاولة لفهم أحسن لطبيعة المجتمع الصفوي، وفهم طبيعة الأحداث والأنشطة التي وصلت إلينا من خلال نقوشهم.

وتوحي الأفعال التي تشير إلى المواسم والتنقل الموسمي في مجتمع الصفويين، إلى قدرة الصفائي على السيطرة على البيئة وأقلمتها بما يتوافق وطبيعة حياته، فهو يتنقل في مواسم محددة إلى أماكن محددة تمشياً مع حاجاته، ويتضح من خلال النقوش أن هذا المجتمع كان يصارع من أجل بقائه بقوة، فهم تارة يغيرون على غيرهم، وتارة أخرى مضطرون لمواجهة تحديات البقاء، بالدفاع عن أنفسهم ضد هجمات غيرهم، وكان هذا من الأسباب التي شكلت المجتمع الصفوي البدوي أو شبه البدوي، ومن أسباب نشأة هذه المسلكيات التي وسمت مجتمع الصفويين عدم توافر الماء في فصل من فصول السنة، بسبب الجفاف الفصلي أو الجفاف الدائم، والبداوة بهذه الصيغة تقوم في تحركاتها بشكل أو بآخر بنشاط اقتصادي، تستغل الموارد المتاحة، فالتنقل، علاوة على ذلك، طريقة حياة، وبهذا يتناغم ويتكامل النظامان الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع الصفوي البدوي.

دوّن الصفويون نقوشهم المرتبطة بالمواقيت والسنين بحسهم الفطري نحو الأمور الهامة، التي تشكل منعطفات في وتيرة السنين. ولم يستخدم الصفويون كغيرهم من العرب القدماء كلمة التاريخ بوعي دلالي أو اصطلاحي[١٢]، إلاّ أنّ النقوش الصفوية تذكر عدداً من المفردات التي أرخوا وحددوا مواقيتهم بها، وسيقوم البحث هذا فيما يأتي من صفحات بتتبع هذه المفردات كل في عنوان منفرد.

ثانياً

(١)

أولاً: السنة/س ن ت/.

تُعَدُّ كلمة سنة الأكثر وروداً في النقوش الصفوية، من بين المفردات المعينة للتأريخ والتوقيت، وقد جاء ورودها وفق صيغ وأشكال يمكن درجها فيما يلي:

١- منفردة غير متبوعة بفعل أو تعبير، وإنما جاء ورودها للتعبير عن وحدة الزمن مطلقاً، وذلك على النحو التالي: (١) /ه س ن ت / "هذه السنة"[١٣]، (ب) /و خ ر ص ه س ن ت /، "وانتظر السنة"[١٤]، وفي هذا التعبير إشارة إلى انتظار السنة الجديدة، فجملة / وخ ر ص ه س ن ت /، توحي بمعرفة الصفويين -كغيرهم من العرب- مراقبة القمر والنجوم للاستعانة بها في مواقيتهم، لذلك فقد بنو تاريخهم على الليالي دون الأيام، ومما يقوي الاعتقاد بأن شكم بن سني بن سليم، صاحب النقش، قد عنى بالفعل /و خ ر ص/ مراقبة النجوم انتظاراً للعام الجديد[١٥]، نهاية النقش، التي تحمل التضرع للإله سيد السماء بأن يهبه الراحة (في العام القادم) / ف ه ب س ل م م ن ر و ح /[١٦]، وفي أحد النقوش الصفوية[١٧] يشير تعبير / ب ر أ ي ع ق ب ت / إلى مراقبة السماء من مكان يدعى عقبة، والعقبة في العربية تعني "علامة أو إشارة" وعقبة القمر تعني "عودة القمر" وتقول العرب عقبة القمر إشارة إلى نجم يظهر قرب القمر مرة في العام، إشارة إلى السنة الجديدة[١٨]، (ج) ومن الصيغ التي وردت فيها كلمة سنة، دون الإشارة إلى حادثة معينة، تعبير سنة فسنة في النص التالي:
/ ... و ع ل ل س ن ت ف س ن ت ف ه ر ض ي ر و ح س ق م /[١٩]،
وترجمته: "... وكان عليلاً سنة بعد سنة، فيا رضا الراحة من السقم" (د) صيغة الجمع المذكر / س ن ي ن / في النقش التالي: / ... ا ر ب ع س ن ي ن ت ل ي

/[٢٠]... أربع سنين قضاها (هنا)، فكاتب النقش يعني التوقيت بالسنين، ويعرف مبتداها ومنهاها حتى انقضت هذه السنين الأربع.

٢- وتبدو فكرة التأريخ بالسنين أكثر نضوجاً عند الصفويين في استخدامهم الأرقام في تواريخهم، وهي سنون معلومة وردت وفق التأريخ الذي اتبعه الصفويون أنفسهم، وهو ما كان سائداً عند جيرانهم أيضاً، والذي يؤرخ بتاريخ بصرى عاصمة المقاطعة العربية Provincia Arabia حين كانت مقاطعة رومانية، والتي ابتدأت بسنة ١٠٥/١٠٦م. أما النقوش الصفوية هذه، فأوردها حسب السنوات كالتالي:

(١) /ل جل ب ن غ ن ث و ن ف ر م ن ر م ف ه ي ل ت س ن ت III /[٢١]، وترجمته هي: "لجل بن غنث، وهرب من الروم، فيا اللات السلامة، سنة٣".

السنة الثالثة هنا تقابل السنة ١٠٨/١٠٩م، وهو توقيت مناسب للهروب من الروم الذين استولوا على المنطقة حوالي ١٠٥م.

(ب) /... ح د ث س ن ت V / أي الشهر الأول من السنة الخامسة[٢٢]، وهو إشارة إلى الشهر الأول من سنة ١١٠/١١١م، وخلافاً للنقوش الصفوية الأخرى، فإنّ التأريخ هنا أكثر دقة من غيره من النقوش الصفوية، إذ يذكر صاحب النقش، للمرة الأولى في الصفوية، الشهر والسنة متتاليين ومحددين.

(ج) /ل خ ل ب ن م ع ن ب ن ا ع د ج ب ن م ع ن ب م ل (ك) ب ن ر م ن ذ (ا) ل ف (ه) ر و و ل د ه م ع ز (ي) س ن ت ث م ن ع ش ر/[٢٣]، وترجمته: "لخل بن معن بن أجدع بن مالك بن رمان من قبيلة فهر، وولدت الماعز وليدها الرابع، وذلك في السنة الثامنة عشرة"، وتقابل السنة الثامنة عشرة هنا السنة الميلادية ١٢٣/١٢٤م.

(د) / ل م ع ن ب ن غ ل م ت ب ن خ ل ب ن ح ن ي ب ن م س (ك) و ت س ل ل ف ه ل ت س (ل) م و و س ن س ن (ت) XXIV ف ه (ل) ت و ش ع -ه ق م و ه (ج د)- ع و ذ ف ص (ي ت) م م ت ب أ ن و ن ق أ ت ل ذ ي ع و ر ه س ف ر /[24]، وترجمته: "لمعن بن غلامة بن خل بن حني بن مسك، وتسلل، فيا اللات السلامة، وقد غفا طويلاً سنة ٢٤، فيا اللات ويا شيع القوم ويا جاد عويذ السلامة من الموت، والنقمة ممن يخرب هذا النقش". والسنة الرابعة والعشرون حسب تأريخ المقاطعة العربية، حيث كانت ولاية رومانية، يقابل السنة ١٢٩ في التأريخ الميلادي.

(ه) / ل ظ ن ن ب ن د ر ا ل ب ن ا ش ي م ب ن د ر ا ل و ح ل ه ل ل ح س ي ب س ن ت XLII ف ه ل ت س ل م ل ذ س ا ر /[25]، وترجمة النقش على النحو التالي: "لظنان بن درايل بن أشيم بن درايل، وحل مكان الماء بسنة٤٢، فيا اللات السلامة لمن يحافظ على هذا النقش". يشير النقش إلى كلمة سنة مسبوقة بحرف الباء / ب س ن ت /، وهو تعبير عربي فصيح، وهذا يبعث على الاعتقاد، بأن هذه الصيغة قد استعملت في الصفوية في مرحلة متأخرة من تاريخ الصفويين، ويؤكد ذلك التاريخ الموجود في النقش والعائد إلى سنة ١٤٧/١٤٨م[26].

(و) / و ح ل ل (ه) د ر س ن ت م ي ت /[27] وترجمته: "وحل في المكان سنة مئة"، ويقابل ذلك سنة ٢٠٦/٢٠٧م.

إن الصفوية، على ضخامة عدد نقوشها، لا تحتوي على تواريخ كثيرة بالسنين، وعلاوة على هذا، فإن الصفوي لم يستخدم الأرقام، إلا بعد أن أصبحت بصرى خاضعة للرومان ضمن المقاطعة العربية Provincia Arabia وذلك في القرن الميلادي الأول، أما قبل ذلك فقد أرخ العرب الصفويون بطرائق مختلفة كما سيأتي.

٣- ومن السنين ما يعد تواريخها، ولو لم تحمل أرقاماً للسنين، إذ تتحدث هذه النقوش

عن حوادث ووقائع يمكن تحديدها تاريخياً، ولعل أهمها ما يلي:

(ا) / ... و ج ل س س ن ت ن ز ز ا ل ي ه د /[٢٨]، أي "... وجلس سنة القتال مع اليهود".وهذه الإشارة التاريخية تعود على الأرجح إلى الفترة المكابية، عندما كافح الطراخونيون ضد هيرود الكبير بين ٢و١٤ ق.م[٢٩].

(ب) / ... س ن ت ا ت ي ه م ذ ي ب ص ر ي /[٣٠]، وترجمته: "... سنة قدوم الفرس إلى بصرى"، ومن الإشارات التاريخية التي تتوافق وقدوم الفرس لبصرى سنة ٦١٤م[٣١]، غير أن هذا التأريخ متأخر كثيراً بالنسبة للنقوش الصفوية عموماً، وعلى نوع الخط المربع Square Script، الذي كتب به هذا النقش الذي يعود إلى القرن الأول ق.م، وبتحديد أكبر قبل النصف الأول من القرن الأول ق.م[٣٢].

(ج) / ... س ن ت م ل ك ر ب ا ل /[٣٣] ويعني "... سنة الملك رب أيل"، يشير النقش على الأرجح إلى حكم الملك النبطي الثاني خلال القرن الأول قبل الميلاد، ويدعم ذلك، الخط المربع الذي كتب به النقش الذي يعود إلى فترة تتزامن مع فترة حكم أرب أيل الثاني الملك النبطي[٣٤].

(د) / ... و ب ن ي ه س ت ر س ن ت ا س ر ح ر ث ت و ش ك ت /[٣٥]، وترجمته: "... وبنى الجدار سنة أخذ الحارثة واشكة أسيراً".

لعل المقصود بالحارثة هنا الملك النبطي الحارث الثالث (٨٧-٦٢ ق.م)، او الحارثة الرابع (٩ق.م-٤٠م)، ويستبعد أن تكون الإشارة إلى الحارثة الأول أو الحارثة الثاني، لأنهما لم يقيما في حوران أو في الجزء الشمالي من مملكة الأنباط[٣٦].

(ه) / ... س ن ت ق ن س ه م ل ك ا ل ع و ذ /[٣٧]، وترجمته: "... سنة عاقب قيصر قبيلة عويذ بالغرامة"، ولعل الملك المشار إليه في النقش / ه م ل ك / هو قيصر الروم، فيكون تاريخه في الفترة الرومانية وأيام المملكة النبطية، ويبعث على هذا

الفرض كلمة قنس التي ترد في النبطية واللاتينيةcl3ŕ6Os بالمعنى نفسه[38].

(و) / ... س ن ت ح ر ب ن ب ط /[39] أي " ... سنة حرب الأنباط"، ولعل هـــذه السنة هي سنة حربهم مع الروم، والتي أنهت حكم ملوك الأنباط عام ١٠٦م[40].

(ز) / ... س ن ت م ر ق ن ب ط ج و ذ .../[41]، وترجمته: "... سنة مـــرور الأنباط بهذا الوادي". وجد هذا النقش في الحفنة، وربما أن المقصود بكلمة / ن ب ط / هنا الشعب النبطي قبل ١٠٦م، وذلك قبل سقوط دولتهم، ولكن الأرجح أن يكونوا مـــن الأنباط الذين هربوا من الروم عبر الحفنة سنة ١٠٦م[42].

(ح) / ... س ن ت ن ج ي ق ص ر ه م ذ /[43]، وترجمته: "... سنة هـــاجم القيصر الفرس"، وربما هذه وربما هذه إشارة إلى القيصر يوليان عندما تراجع مـــــن طيسفون Ctesiphon بسنة ٣٦٣م[44].

(ط) / ... س ن ت م ر ه م ل ك ب ه ع ر ض /[45]، وهو بمعنى "ســـنة مـــرور الملك (بمنطقة) العرض". يشير ليتمان إلى أن كلمة / ه م ل ك / في النقش للقيصـــــر الروماني (باسيليوس Basileus)[46]، وهي إشارة إلى الرحلة التي قام بها الإمـــبراطور هدريان إلى تدمر سنة ١٣١م.أما المنطقة المذكورة في النقش فقد كانت -كمـــا يخـــال لي- موقعاً رومانياً كبيراً يقع إلى الشمال من مدينة تدمر.

لا يشير النقش صراحة إلى اسم معين، ولذا يجدر بنا أن نفترض أيضاً أن كلمة ملك لا تحتمل أكثر من معناها، ولأن المكان الذي عثر عليه النقش هو العيساوي، قرب منطقة النمارة، التي زودتنا بنقش امرئ القيس. في النصف الأول من القرن الرابع الميـلادي، والملقب بملك العرب كلهم[47]، فان الاحتمال قائم أيضاً، أن تشير كلمة ملك في النقـــش له[48].

ومن خلال هذه النقوش المؤرخة أو تلك التي تحمل إشارات تاريخية، يمكـــن تحديـــد

التواريخ التالية مرتبة على التوالي: القرن الأول قبل الميلاد[٤٩]، ٤٠ ق.م[٥٠]، ٢٣-١٤ ق.م[٥١]، الفترة الرومانية[٥٢]، ١٠٦م[٥٣]، ١٠٨/١٠٩م[٥٤]، ١١٠/١١١م[٥٥]، ١٢٣/١٢٤م[٥٦]، ١٢٩م[٥٧]، ١٣١م[٥٨]، ١٤٧/١٤٨م[٥٩]، ٢٠٦/٢٠٧م[٦٠]، ٣٦٣م[٦١]، والقرن الرابع الميلادي[٦٢].

٤-التأريخ بالحروب وبالصراعات القبلية:

تشير النقوش الصفوية إلى عدد كبير من النزاعات القبلية، سواء أكانت داخل القبيلة الواحدة أم بين القبائل الصفوية بعضها ببعض، أو بين القبائل الصفوية وبين الشعوب العربية المجاورة، مثل الأنباط والثموديين، أو مع الممالك والشعوب الأخرى المجاورة، مثل الروم والفرس. وما يهمنا في هذا المقام، تلك الأحداث والنزاعات التي أرخ بها الصفويون، فذكرتها النقوش مسبوقة بكلمة / *س ن ت* /.

على الرغم من الدوافع المختلفة وراء هذه النزاعات والحروب، المشار إليها أعلاه، فإن ترتيب الأحداث حسب تواريخها أمر بالغ الصعوبة، فقد اهتم الصفويون، مثل غيرهم من العرب، بتذكر هذه الحروب والنزاعات أكثر من اهتمامهم بضبط زمانها، رغم تأريخهم بها، فقد ذكروا الواقعة التي تشكل في أذهان الناس قرينة للتقويم والتأريخ دون تسميتها، وهذا يدفع إلى الاعتقاد بأن للصفويين أياماً أرخو بها كتلك التي خلفتها لنا مصادر الإخباريين العرب عن فترة ما قبل الإسلام، وقد سمّى العرب حروبهم ونوازلهم أياماً من غير تمييز، فحرب شعب جبلة كانت بين عبس وذبيان، ويوم الكلاب بين عرب الشمال وعرب الجنوب، ويوم ذي قار كان بين الفرس والعرب، والذي شكل انتصار العرب الأول عليهم[٦٣]، وقد سموها كلها أياماً.

ليس غريباً أن يؤرخ الصفوي بحوادث جرت عند الشعوب والأمم المجاورة، مثل الفرس والروم، فقد كان للعرب صلاتهم المختلفة مع من جاورهم، ومن هذه الصلات

الأحلاف والحروب والعلاقات التجارية، فكان الأمر طبيعيا تناول أحداثهم المشهورة أو أخبار ملوكهم مادة للتأريخ.

ويمكن تقسيم هذه الأيام المقرونة بكلمة / *س ن ت* / حسب الموضوعات المختلفة التالية:

(١) التأريخ بأحداث تتعلق بالملوك والسلاطين؛ فقد ذكرت في عدد غير قليل من النقوش، أحداث وأفعال تتعلق بالملوك، شكلت عند الصفويين إشارات تاريخية، غير أنها مقتضبة ومبهمة غالبا، وأهم هذه الموضوعات: / ... *س ن ت ن ج ي م ن ه س ل ط ن* /[٦٤] أي "... سنة نجي من السلطان"، وكلمة / *ه س ل ط ن* / في النقوش الصفوية إشارة إلى سلطان الروم أو بيزنطة، ولعل كاتب النقش أحد الهاربين من جيش أحد هذين السلطانين، في الوقت الذي يلاحظ فيه "أن الصفويين قد عاونوا الرومان معاونة جدية حيث تقلصت المملكة النبطية وأصبحت في جزيرة العرب"[٦٥]، ولعل النقش التالي يؤكد على المقصود بالسلطة في هذه النقوش هو روما أو بيزنطة أكثر من غيرها: / *س ن ت ن ج ي م ن م ر ت ه س ل ط ن ع ل ا ل ع و ذ* /[٦٦] وترجمته: "سنة نجي من السلطة في النمارة إلى بني عويذ"، إذ وجد النقش في رجم بين العيساوي وقبر ناصر، في وادي الغرز، بالقرب من النمارة، إحدى المناطق الرومانية والتي استطاع الحنين بن الحنين أن ينفذ منها هاربا، ليلجأ إلى بني عويذ، ويوضح النقش أيضا أن ولاء الصفويين لسلطان الروم كان بدافع المصلحة من جهة، ومن مصدر ضعف تجاه الدولة الرومانية ذات الجيوش القوية وصاحبة المجد الحضاري من جهة أخرى، ولذلك فقد كثرت الإشارات النقشية إلى هروب الأفراد من السلطة إلى مناطق أخرى، بعيدة عن مركز السلطة الرومانية في المقاطعة العربية. وعلاوة على ما أشار إليه النقش، نستشف من خلاله أن القبائل الصفوية الكبيرة لم ترضخ لسلطان الروم، فهي ملجأ الفارين يحتمون بها من بطش القيصر.

يحتوي النقش السابق على الفعل / ب ن ي / "بنى" مما دفع بالدارسين إلى عدّه من النقوش الصفوية المتأخرة، في وقت تحول فيه الصفويون من حالة البداوة إلى حالة الاستقرار النسبي وشبه البداوة[٦٧].

لقد أثارت قبيلة عويذ الصفوية المتمردة على السلطة في روما حفيظة القيصر، الذي أراد أن يدخلها في حظيرته، وأن تعترف له بالسيادة، شأنها شأن باقي القبائل الصفوية، في الوقت الذي أصبحت فيه أجزاء من سورية تعد بلاداً رومانية، وكان "هؤلاء قد بنوا منذ القرن الثاني الميلادي أعرافهم التحصينية الممتدة أقصى امتداد نحو الشرق في إقليم الصفا، ... ولو أن الصفويين قد وقفوا منهم موقفاً عدائياً لكان خط الحصون قد سار مع الجانب الشرقي لجبل حوران بدلاً من أن يتخذ نحو الغرب ذلك الشكل الظاهر الذي يرى على شكل خطاف"[٦٨]. ومن النقوش الصفوية الأخرى التي تبرز الصراع بين روما وقبيلة عويذ: / ... س ن ت ق ن س ه م ل ك ا ل ع و ذ /[٦٩] وهو إشارة إلى هزيمة آل عويذ أمام الملك الروماني، وقبيلة ضخمة مثل عويذ انتشرت انتشارا واسعا، إذ وجدت نقوشها في مواقع عديدة في جنوبي سورية والصحراء الشرقية من الأردن، وجاء ذكرها في النقوش مرات ومرات مرتبطة بأسماء منتسبيها، أو عند سوق حدث معين[٧٠]، لا تستطيع آنذاك أي قوة أن تقهرها سوى روما[٧١].

لقد أرادت روما بسط نفوذها على المقاطعة العربية الرومانية بشكل كامل وصريح، ويشير أحد النقوش الصفوية إلى حرب قام به الملك على منطقة تسمى / ي ذ ك ر / بهدف إخضاعها: / ... س ن ت ح ر ب ه م ل ك ي ذ ك ر /[٧٢]، في وقت كان فيه كاتب النقش يربع في المكان نفسه[٧٣]. ومن القبائل التي أخضعتها روما بالقتال قبيلة / س ب ط ت / ويظهر ذلك في النقش / ... س ن ت ح ر ب ه م ل ك ا ل س ب ط ت /[٧٤] وسبطة قبيلة لا نعرف عنها الشيء الكثير سوى ما كتبه نعمان بن يسماعيل في النقش الذي بين أيدينا. ومن هذه القبائل أيضا محارب في النقش / س ن ت م ر د م ح ر ب ه س ل ط ن /[٧٥] سنة تمرد محارب على

السلطان .. ويبدو أن تمردها جاء بعد إخضاعها رغبة منها في الاستقلالية، أو هرباً من دفع الضرائب، وقد كانت سنة التمرد هذه معروفة بحيث تكررت في نقش آخر مع تمرد / ا ل د م ص ي / في النقش / س ن ت م ر د م ح ر ب و س ن ت م ر د د م ص ي /[76]، واستخدمت كلمة سنة أيضاً للتأريخ لمرور الملوك بأماكن معينة أو نجاتهم من حوادث ألمت بهم ومن هذه النقوش:

/ س ن ت ن ج ي ق ص ر ه م د ن ت /[77] "سنة نجي قيصر المدينة"، / س ن ت ن ج ي ق ص ر ه م ذ /[78]، "سنة نجاة قيصر من الفرس" و / س ن ت م ل ك ر ب أ ل /[79] "سنة الملك أرب أيل"، ومنها / س ن ت م ر ه م ل ك ب ه ع ر ض /[80]، "سنة مر الملك من الوادي". وقد أرخ أيضاً بموت الملك في النقش: / س ن ت م ي ت ه م ل ك /[81].

(ب) التأريخ بالثورات وحالات التمرد.

يكثر ورود الفعل مرد / م ر د / في النقوش الصفوية بيد أن ما يهمنا في هذا المقام تلك النقوش التي تذكر هذا الفعل كمادة تأريخية مسبوقة بكلمة سنة.

مر فيما سبق ذكر النقش[82] الذي يشير إلى تمرد قبيلة محارب على السلطان، ذلك الذي يتحدث عن تمرد / ا ل د م ص ي / منفردة[83]، ثم ذلك التمرد الجماعي لقبيلتي محارب ودمصي على القيصر[84]، مما يوحي بوجود تحالف بين هاتين القبيلتين، اللتين تحالفا بدافع الرغبة بالتحرر والثورة على الروم.

ولقد تحدث أحد النقوش عن تمرد قام به الأنباط ضد الروم، ويلمح الفعل مرد إلى أن ذلك قد تم بعد سنة ١٠٦ ميلادية، سنة سقوط البتراء[85] وجملة النقش هي / ... س ن ت م ر د ن ب ط ع ل ا ل ر م /[86]، *"سنة تمرد الأنباط على الروم"، ونقش آخر* نجد تعبير / س ن ث م ر د ا ل ر م ع و ذ /[87] "سنة تمرد الروم على آل عويذ"، ولعل الفعل / م ر د / جاء هنا بمعنى هاجم، إلا إذا كانت قبيلة عويذ الضخمة قد آلت

إليها السيادة في جزء بسيط من المقاطعة العربية، لفترة زمنية، ثم ما لبثت روما وانتفضت عليها من جديد، إذ ما فتئت المقاطعة العربية التابعة لروما في عنفوانها.

(ج) التأريخ بالحروب الأهلية والقبلية.

لقد زخرت النقوش الصفوية بهذا النوع من النصوص التي تذكر الصراعات المختلفة الدوافع، بيد أن عدداً منها قد ارتبط بأذهان الناس إلى أن أصبحت مادة يؤرخون بها.

ولم تكن قبيلة عويذ متمردة على سلطان روما وحده، وإنما اتجهت إلى القبائل العربية الصفوية الأخرى بالأذى والصراعات وحتى الحروب، ومن هذه القبائل آل صبح في النقش /*س ن ت ح ر ب ت ال ع و ذ ال ص ب ح*/[٨٨]، ومن القبائل آل بعد /*س ن ت ح ر ب ت ع و ذ ال ب ع د*/[٨٩]، وقد قامت قبيلة عويذ بالإغارة والبغي على قبيلة نعم أيل /*س ن ت ب غ ي ال ع و ذ ن ع م ا ل*/[٩٠] "سنة بغت آل عويذ على قبيلة نعمال".

ولم تقتصر هذه الصراعات على أن تكون قبيلة عويذ محورها بل تعدت الصراعات ذلك إلى أن تسود بين قبائل صفوية أخرى، كالأذى الذي طال آل حمي من آل قمير الذي يظهر في النقش: /*س ن ت ب غ ي ال ق م ر ال ح م ي*/[٩١]، ويشير أحد النقوش إلى خلفية الصراع بين قبيلتين صفويتين هما قدم وهرم، حيث عملت القبيلة الأولى على إبعاد الثانية /*س ن ت و س ق ال ق د م ال ه ر م*/[٩٢] "سنة أبعدت قبيلة قدم قبيلة هرم"، ومن القبائل الصفوية المتصارعة التي اتخذ من صراعاتها أياماً، تلك الحرب بين قبيلة /*ا ق ص ه*/ وقبيلة مدنخ، وبدا ذلك في النقش: /*س ن ت ح ر ب ا ق ص ه م د ن خ*/[٩٣].

(د) التأريخ بالأيام والحروب مع الشعوب والأمم المتجاورة.

وأرّخ الصفويون بحروبهم مع الجماعات والشعوب المجاورة، وقد مثلت هذه الأيام

جماعات مختلفة، مثل: اليهود والثموديين والرومان وقد ابرز نقش صفوي، كتب بالخط الصفوي المربع، صراع العرب الصفويين مع اليهود في النقش: / ... *س ن ت ن ز ز ال ي ه و د* /[٩٤] وترجمته: "سنة القتال مع اليهود"، وهي إشارة على الأرجح إلى اليهود في الفترة المكابية، عندما قاوم الطراخونيون ضد هيرود الكبير.

وتُعَدُّ قبيلة جشم من القبائل الصفوية التي لم تنتشر انتشاراً واسعاً في المناطق التي وجدت فيها النقوش الصفوية، ولم يتعد ذلك منطقة الرويشد وتل الأشقف في الصحراء الأردنية الشمالية الشرقية[٩٥]، ورغم صغر المساحة التي انتشرت فيها هذه القبيلة، كما يبدو من انتشار النقوش الصفوية التي تذكرها، بيد أننا نجد نقشاً يشير إلى حرب أرخ بها أصحاب النقوش، قامت بين جشم والثموديين، كما في النقش التالي: /*ل ن ت ن ب ن آ د م* .... وورد *ث ل ث ت اش ه ر س ن ت ح ر ب ج ش م ال ث م د* /[٩٦]، وترجمته: "لنتن بن آدم ... وورد (الماء) ثلاثة أشهر سنة حرب جشم مع الثموديين"، وجاءت كلمة جشم في النقوش مرتبطة بكلمة سنة، ولكنها جاءت اسم علم أيضاً، ومن هذه النقوش: /*س ن ت م ي ت ج ش م ب ن س ر* /[٩٧] "سنة موت جشم بن سير"، و/*س ن ت ج ش م* /[٩٨]، "سنة جشم": ومنها /*س ن ت ج ش م و ح ن ا ل* /[٩٩] "سنة جشم وحنان ايل"، ولعل حنان ايل هنا القائد الثمودي الذي قاد الحرب ضد جشم، كما يشير إليه النقش "سنة حرب جشم مع الثموديين"[١٠٠]، التي يعود تاريخها على ما يبدو إلى ما بعد سقوط دولة الأنباط بقرنين من الزمان، وذلك عندما كانت المنطقة ضمن المقاطعة العربية الرومانية، ويشير كل من وينت وهاردنج إلى أنها حدثت حوالي ٣٠٥ ميلادية[١٠١]، ويلمح نقش آخر إلى أن الغلبة في هذه الحرب كانت للثموديين على الصفويين[١٠٢]، مما يوضح أن الصفوي لم يكن يؤرخ فقط للانتصارات، وإنما للأحداث القاسية التي خسروا فيها أيضاً. وفي نقش آخر لا ندري لماذا طرد الروم شامت بن أوس من قبيلة قعشمت، ولكننا نجد أحد أفراد قبيلة ضيف الكبيرة يؤرخ بهذه الحادثة في النقش التالي: /*ل م ز ن ب ن ي س م ال ذ ا ل*

ض ف و ص ر س ن ت ط ر د ا ل ر م ش م ت ب ن ا س ه ق ع ش ي ف ه ل ت ع و ر ل ذ ي ع و (ر) ه س ف ر /[١٠٣]، وترجمته: "لمازن بـن أوس ابن اسماعيل من قبيلة ضيف، وقام بالرحلة سنة طرد الروم شامت بن أوس القعشمتي، فيا اللات العمى لمن يخرب النقش". لا يستطيع المرء أن يجزم بأهمية هذه القبيلة، إذ لم توردها النقوش الصفوية سوى هذه المرة، وقد جاءت من دون السابقة /ذال/، وإنما بالسابقة /هاء/ أداة التعريف في العربية الشمالية، والأمر الطريف الآخر، هو ان يلجأ أحد أفراد قبيلة ضيف واسعة الانتشار، وكثيرة الورود في النقوش[١٠٤] بالتأريخ بحادثة لهذه القبيلة.

(ه) التأريخ بحروب الشعوب الأخرى المشهورة.

ليس غريبا ان يستخدم العرب الصفويون الحوادث التي جرت عند الشعوب المجاورة، مثل الفرس والروم والأنباط، مادة للتأريخ، فقد كان للعرب صلاتهم المختلفة بهؤلاء، والتي قامت على أسس تجارية أو عسكرية أو أحلافا وغير ذلك، فشكلت شؤون هؤلاء وأخبار ملوكهم مادة للتوريخ عند عرب الشمال، من ثموديين ولحيانيين وصفويين.

لقد كان لانتهاء حكم مملكة الأنباط العربية، التي امتدت لتشمل أجزاء واسعة من بلاد الشام والحجاز وسيناء، في سنة ١٠٦ ميلادية على يد الرومان، أثره الواضح في إعادة هيكلية التبعية السياسية والاقتصادية للمنطقة وشعوبها، فتشكلت احلاف جديدة، وتحولت طرق التجارة، ثم برزت زعامات غير تلك التي كانت سائدة، فكان أمرا طبيعيا أن تتخذ مثل هذه التحولات مادة تاريخية لا تنسى، وقد أشارت النقوش الصفوية إلى ذلك النقش التالي: / *... س ن ت ح ر ب ن ب ط* /[١٠٥]، "... سنة حرب الأنباط"، وهي على الأرجح تلك الحرب مع الرومان التي أنهت حكم ملوك الأنباط[١٠٦]. ومما يدعم الاعتقاد بأن هذه الحرب كانت مع الروم، تلك الإشارة التي حملها أحد النقوش[١٠٧]، ويتحدث عن حالة الثورة التي قام بها الأنباط على الرومان[١٠٨].

(و) تحمل النقوش الصفوية أخبارا عديدة، تتحدث عن حوادث الهرب والنجاة، التي أغلب ما تكون هربا أو نجاة من سلطة روما، فهي حوادث ترتبط بنواح سياسية أو أمنية ارتبطت بأذهان الناس، فخلفوها على النقوش، مؤرخين بها.

تنوعت حوادث النجاة والهرب، فتارة نرى القيطبر ينجو من أيدي الفرس[109]، وتارة أخرى يكون الناجون جماعة من الروم، أو من العرب الذين دانوا بالولاء لهم، فحملوا اسمهم[110].

وقد بدا أن قبيلة صفوية كبية تدعى /دأف/ تعرضت لخطر ما، فآثرت الهرب، فكان لها ذلك بعد لأي[111]، ومن خلال النقوش الصفوية يتبين لنا قوة هذه القبيلة، وسعة انتشارها[112]، علاوة على ذلك فإن المعنى الذي يعطيه الاسم /دأف/ يشير إلى وحدة القبيلة وسيرها بشكل متحد وجماعي[113]، فهروبها لم يكن، وفق هذه المعطيات، إلا من قوة كبيرة مثل: السلطة أو الروم. اللتين كثر هروب الأفراد بسببهما؛ فيذكر أحد النقوش هروب شخص يدعى ودان من الروم[114]، ولا ندري من هو دان هذا، فقد يكون رجل قبيلة مشهور أو قريب الصلة لكاتب النقش. وفي منطقة قبر ناصر أحد المواقع الرومانية، تم لأحد الصفويين، ويدعى جور الهرب والنجاة من قصر نقأة[115] الذي اتبع على ما نخال، بقلعة وسجن، يسجن فيها المتمردون والهاربون.

(ز) وتعد النقوش الصفوية التي تتحدث عن السلم والمصالحة قليلة ونادرة، فليس بين أيدينا ما تمكنا من الحصول عليه، من النقوش التي تتحدث عن هذا الموضوع، سوى نقش يتحدث عن المصالحة بين قبيلتين صفويتين كبيرتين، هما قبيلة بعد وقبيلة عويذ[116]، ونقش آخر يتحدث عن الصلح بذكر آل بعد فقط[117].

إذا كان ورود */ ا ل ب ع د /* في هذا النقش مرتبطا بقبيلة عويذ، وقد حل بينهما السلام، فقد مر ذكرهما وهما في حالة حرب وخصام[118]، أما قبيلة عويذ فلم تقتصر وقائعها على آل بعد، وإنما كان لها حروبا مع الروم[119]، والأنباط[120]، ومع آل

صبح[١٢١]، فلما جاء زمن الصلح مع قبيلة بعد، ذكر اسم هؤلاء قبل عويذ[١٢٢] لأنهم -أي آل بعد- هم الذين بادروا بالصلح، فجميع النقوش الصفوية التي تذكر حروب عويذ، توضح بأنهم هم البادئون بالحروب لذات شوكتهم.

(٣)

ح) التأريخ بحوادث فردية ضيقة، مثل: حوادث القتل والثأر، او تلك التي تقص أخبارا وحوادث يومية، ويمكن تصنيفها حسب موضوعاتها على النحو التالي: القتل[١٢٣]، النجاة[١٢٤]، مواجهة المخاطر والمغامرات، مثل السير في الوحل طوال الليل[١٢٥]، أو مهاجمة الذئاب مجموعة من الرجال[١٢٦]، أو السير وحيدا في الأرض المجدبة اليباب[١٢٧]، أو اجتياز السيل مع الإبل[١٢٨]، أو التأريخ بسنة المجاعة[١٢٩]، وهذا ينسجم مع استخدام العربي كلمة سنة للحول الذي فيه جدب وقحط، قال تعالى: "أصابتهم السنة"[١٣٠].

وقد أرخ الصفوي بحدث يومي عادي، فقد أرخ بسنة رعيه الماشية والإبل في مكان ما، وذلك لارتباطه العاطفي بماشيته وإبله وبالمكان الذي قام فيه بعملية الرعي[١٣١].

وتشير بعض النقوش إلى بدء الاهتمام بالمقابر وضمها في أماكن محددة، ويبدو ذلك من خلال تأريخ أحد الصفويين بمروره بمقابر قبيلة عويذ[١٣٢]، وفي نقش آخر يقوم كاتب النقش بالتأريخ بسنة بناء سور حول هذه المقبرة[١٣٣]، وقد كانت هذه الأفعال بمنزلة الأحداث الهامة والطريفة التي عششت في أذهان الصفويين، فكانت جديرة بأن يؤرخ بها.

المؤشرات الدينية في التواريخ ليست كثيرة، أهمها تلك التي ذكرت في نقشين صفويين، يذكر أن اسم الإله السامي المعروف بعل سمين "سيد السماء"[١٣٤]، وهما: / ... *س ن ت ب ع ل س م ي* /[١٣٥]، "... سنة بعل السماء"، وهذا التعبير إشارة إلى فعل معين ارتبط بسيد السماء في مواقيت معينة. أما النقش الثاني فيذكر التالي: /...

س ن ت ح ج ب ت ب ع ل س م ن /[١٣٦]، وترجمته: "... سنة حج إلى معبد بعل السماء"، وقد كان لسيد السماء معابد أخرى أقام بعضها الأنباط في السيع بجبل حوران سنة ٣٢ ق.م[١٣٧].

لقد عرف الصفويون الحج إلى أماكن عبادة معينة، كما يظهر لنا النقش، الذي حج صاحبه إلى معبد رب السماء، ولعل هذه الطقسية كانت تتم في أوقات معلومة، ويظهر نقش آخر ان الحاج الصفوي يغتسل ويصون عورته ويصوم إيذانا واستعدادا لهذه الشعائرية، وهذا النقش هو التالي: /*د ا ن ب ن ن ش ل و خ ر ص ب ا ه ل ج م ل ي ح ج* /[١٣٨]، "لدان بن ناشل، واغتسل، وصان عورته وصام ليحج".

(٥)

لقد أكدت النقوش الصفوية التي ارتبطت بالتأريخ بأيام مشهورة، صعوبة الحياة البدوية وقسوتها وخشونتها، فالأرض صحراوية، ما يصلح منها للزراعة قليل جدا، ومطرها شحيح متقطع، يفرض على الإنسان التنقل من مكان إلى آخر، طلبا للكلأ والماء، ولا شك فإن الصفوي قد واجه العراك والصراع مع الطبيعة للحصول على أساسيات حياته، وقد فرض ذلك عليه العيش حياة كر وفر، فهو يغير على المضارب طالبا الرزق على حساب غيره، حتى لا يهلك جوعا، وتارة أخرى ينافح دون أرضه وكرامته، مقاوما هجمات القبائل الصفوية الأخرى أو هجمات الثموديين والأنباط، ولا عجب أن تقتحم أراضيهم أقوام وافدة مثل الروم والفرس، فالظروف الطبيعية والحياتية القاسية، جعلت من العرب، ومنهم الصفويون ــ متنافرين متناحرين، فكانوا لقمة مستساغة لغيرهم.

إن حصر الأفعال التي رافقت كلمة سنة في النقوش الصفوية، يؤكد الحياة القلقة غير المستقرة التي عاشها الصفوي، فما بين حوالي خمسة وتسعين نقشا، مقرونة بكلمة /*س ن ت*/ نجد أن مفردات مثل /*ق ت ل*/، /*ه ر ب*/، /*ا ن ج ي*/، /*ط ر د*/،

/ ه ز م /، ومنها الأفعال أبعد وأسر وسجن وحارب وتمرد، ثم مات أو جاع، تشكل حوالي ٧٥% من مجموع المفردات، أما تلك المفردات التي توحي بحياة مستقرة طبيعية، مثل: حل وقدم وخيم ورعى أو حج، صلح وغيث، فتشكل حوالي ٢٠% من مجموع المفردات فقط، وتناولت ما نسبته ٥% من النقوش موضوعات متفرقة أخرى، مثل الإشارة إلى أرقام السنين أو ذكر حرارة الشمس والمرور من مكان ما.

(٦)

استخدمت العرب كلمتي سنة وعام للتفريق بين مدلولاتهما، فقد ذكرت كلمة سنة في القرآن الكريم مفرده أو جمعا تسع عشرة مرة[١٣٩]، أما كلمة عام فقد وردت سبع مرات فقط[١٤٠].

وقد جاءت كلمة سنة في القرآن الكريم للإشارة إلى الحول الذي فيه القحط والجدب والبلاء[١٤١]، أما عام فقد جاءت للإشارة إلى الحول الذي فيه الخصب والرخاء، يغاث فيه الناس بالمطر وينجون من الشدة[١٤٢]. وقد فرق العرب بين السنة والعام من الناحية الحسابية أيضا، فالعام لا يكون بدؤه إلا من الفصول الأربعة، والسنة يبدأ بها من أي يوم من أيامها، دون مراعاة أحد الفصول[١٤٣]، وقد "سمي الحول عاما لعوم الشمس في جميع أبراجها، والعوم السباحة، ولا يكون العام إلا من أربعة فصول، ويبدأ من أحد هذه الفصول، فإن كان بدؤه من أي يوم من أيام الحول فهو سنة وليس بعام، وهكذا استخدمته العرب في التفريق بين العام والسنة، كما تفرق به بين الخصب والجدب"[١٤٤].

ولم تبتعد ذهنية الصفوي في استخدامه كلمتي سنة وعام كثيرا على ما جاء في القرآن الكريم، فالسنة أشارت غالبا إلى حدث محدد معلوم، ارتبط بالوقائع والحروب وأيام الشدة، أما عام فقد وردت في عدد محدود من النقوش الصفوية للدلالة على العموميات دون الارتباط بحادثة خاصة، وإنما لتقدير الحول، وتدل النقوش التالية على ذلك:

- / ل ا س ن ب ن ق ص ي ت ه م ع م ر ع م ف ع م /[١٤٥]، وترجمته:

"لأوس بن قصية هذا المسكن عاما بعد عام"[146].

- / ل ع ن ز ت ب ن ج د و ت و ر ج ل ع د ع م و س ق ت ن ب ط ن ... /[147]، وترجمته: "لعنزة بن جاد... . وعاد من وقت إلى آخر عدة أعوام".

- / ل م ر ط ب ن ظ ل م ه ن د ر ع م ف ع م ... /[148]، وترجمته: "لمرط بن ظالم ... عاما بعد عام...".

- / ل س ع د ... و و ج م ع ل ص ع د ع م ف ع م /[149]، وترجمته: "لسعد ... . وحزن على صاعد عاما بعد عام".

- / ... ع م ف ع م ه ب ر ك ت /[150]، وترجمته: "... عاما بعد عام للتبرك".

ومن خلال هذه النقوش نجد أن الكلمة الاعتيادية في تقدير الحول هي العام، وليست السنة. ولم تجئ كلمة عام في النقوش الصفوية مرادفة لكلمة سنة إلا في النقش التالي: / ... ن ف ت ه ع م س ل و ل (ه) ه د م ي ت /[151]، وترجمته.. ونفاه عام السيل، وله هذا الرسم".

ثالثا

(١)

فصول السنة:

إذا كان الصفوي قد استخدم كلمتي / س ن ت / أو / ع م / للإشــارة إلــى الوقــائع والأيام أو الأحداث الجسام التي واجهت مجتمعه، فإن الألفاظ التي تشير إلى فصــول السنة المختلفة كانت مصحوبة بأفعال، تشير إلى التنقل الموســـمي والترحــال وفــق مواقيت محددة، ووفق منظومة معينة، وقد فرضت تلك الكلمات وهذه التي تشير إلــى فصول السنة، طبيعة الحياة عند الصفويين آنذاك، فحياته صراع مع البيئة القاسية عـبر الصحراء والحرة، قليلة الماء حارة الشمس، تفرض على صاحبها ركوب الفيافي، بحثا عن الماء والكلأ، فكان على الصفوي أن يتفاعل مع المكان ويعي الزمن، فعرف الربيع والشتاء والصيف، وفق منظومة التنقل الفصلي؛ وكانت مفرداته التي عبر فيــها عــن انتقاله الموسمي هــي: / د ث أ / و/ ق ي ظ / و/ ص ي ف / و/ش ت ي / و/ ه خ ر ف /.

وقبل الخوض في تحليل الأفعال المصاحبة لهذه المواقيت، لابد مـــن التصريـــح إلـــى النقوش العربية الجنوبية التي ذكرت فصول السنة على النحو التـــالي: / ذ و ص ر ب / "الخريف"، / ق ي ظ / "الصيف"، / د ث أ / / "الربيع"[١٥٢]، أما الصراب فهو موســم الشتاء المبكر[١٥٣]، وميلم هو حصاد الشتاء المتأخر[١٥٤].

(٢)

لقد أشارت المفردة / د ث أ / في النقوش الصفوية إلى فصل الربيع على صيغة الاسم والفعل، بمعنى "قضى الربيع"، وهي مفردة لها جذور في العربية الجنوبيـــة؛ / د ث أ /[١٥٥]، وفي العربية التقليدية تشير كلمة دثني إلى المطر الذي يأتي بعد اشـــتداد الحــر،

ونتاج الغنم في الصيف[156]، ويشابهها كلمة ثأد في العربية، وكلمة / ث أ د ء / في السريانية[157]، وفي العبرية بإبدال الثاء شيناً ديشا بمعنى "كلأ ومطر"، وفي عبرية التوراة ترد الكلمة بالثاء [158]، وأما في الأكادية فيقابلها كلمة dissu[159]، ومن المعاني ذات القربى التي تحملها اللغات السامية لهذه المفردة "كلأ، عشب، قضى الربيع، الربيع" والدثني أو الدفني في العربية المطر ينزل في أوائل الصيف قبل اشتداد الحر[160].

ومن الأفعال المصاحبة للفعل / د ث أ / تبرز أهمية الربيع بالنسبة للقبائل الصفوية، التي تعتمد أساساً على عملية للرعي، وتظهر أسماء المواقع التي يتخيرها الصفوي مربعاً لوفرة أعشابها ونباتاتها الرعوية الملائمة، ويبرز هذا كله من خلال عدد وافر من النقوش الصفوية، التي يمكن سوق أمثلة منها على النحو التالي:

١- نقوش تحتوي على الفعل /دثأ/ فقط: /ل خ ل ص ... ذ ا ل ك ل ب و د ث /[161]، "لخالص ... من قبيلة كلب، وقضى الربيع"، و / ... ح ل ب د ث أ /[162] "... وحل في مكان الربيع".

٢- نقوش تحتوي على الفعل ومكان غير محدد: /ل خ ل ف ... و د ث ا ه ع ر ض /[163]، "لخلف .. وقضى الربيع في المرتفع"، ومن المواقع العامة المصاحبة للفعل؛ الحرة[164]، والصحراء[165]، و/ ه م س ن ت /[166] وهي أماكن توافر المياه، / ه خ ن ل /[167] أي الوادي، و/ ه ر ح ب ت /[168] أي الرحبة.

٣- نقوش تحتوي على الفعل ومكان محدد: /ل ع ذ ر ... م ن ع ص م و د ث أ ب ح ج ر /[169]، "لعذر .. من عاصم، وقضى الربيع في الحجر". ومن المواقع الأخرى / ب ج ت /، وهو مرتفع في حوران[170].

٤- نقوش تحتوي على الفعل والمكان والزمان: / ... و د ث ا ع ل ب ج ت س ن ت غ ث /[171]، "وقضى الربيع سنة الغيث". ومنها / ... و د ث أ ه د ر س ن .

ت ه غ ي ر ت /[١٧٢]، " ... وقضى الربيع في الديار سنة الغارة"، ومنها أيضاً / .. و د ث ا ه و ر د س ن ت م ر د ا ل ر م ع و ز /[١٧٣]، "وقضى الربيع في مسيل الماء سنة ثورة قبيلة عويذ على الروم".

٥- نقوش تحتوي على الفعل والزمان: / ... و د ث ا س ن ت ح ر ب ه م ل ك ي ذ ك ر /[١٧٤]، "... وقضى الربيع سنة حرب الملك (مع) يذكر".

٦- نقوش يذكر الفعل دثاً مصحوباً بأفعال تشير إلى عملية الرعي أو أحوال أخرى: / ... و د ث ا ب ا ش د ل و ج ل س ف ر د ... /[١٧٥]، " ... وقضى الربيع بأشدل وجلس وحيداً"، ومنها / ... و ر ع ي و د ث ا ف ا س م ... /[١٧٦]، "... ورعى وأربع وسام الإبل..."، ومنها أيضاً / ... و د ث ا و ك م ا و و ج م ع ل س ر و ع ل ا س خ ر ب ن ع م ر /[١٧٧]، "... وقضى الربيع وجمع الكمأة، وحزن على سور وعلى أسخر بن عمر"، ومن النقوش الأخرى ضمن هذه المجموعة: / ... و د ث ا و خ ر ص ش ن ا ... /[١٧٨]، " ... وأربع وراقب الأعداء..."، و/ ... و د ث ا ب ه ا ب ل ... /[١٧٩]، "... وقضى الربيع بالابل...".

٧- وقد تشير بعض النقوش إلى الربيع مصدراً، سواء أكان الصفوي في حالة انتظار لموسم الربيع، / ... و ت ظ ر د ث ا ... /[١٨٠]، "... وانتظر الربيع ..."، أو عند حلوله المربع / و ح ل ب د ث ا /[١٨١].

ومما يدل على وعي الصفوي بعملية التنقل الموسمي، أحد النقوش التي تشير إلى أن صاحبه قد أربع في مكان وشتى في آخر، / ... و د ث ا و ق ي و ش ت ي ه ب ت ع و ذ /[١٨٢]، "... وقضى الربيع في وقي وشتى في بيت (ديار) عويذ".

(٣)

لقد أطلق العرب على الزمان بدءاً من أواخر الربيع إلى ابتداء الخريف اسم فصل

الصيف، ويطلق على نصف السنة الذي يكون فيه الدفء والحر، ويقل المطر، فقد كانت العرب تقسم العام إلى قسمين؛ الصيف والشتاء، ويجمع كل منهما إليه طرفاً من الربيع والخريف[١٨٣].

واستخدم الصفويون كلمة يقظ للإشارة إلى فصل الصيف أيضاً، وكان ورودها في النقوش أضعاف كلمة صيف، ويسمي العرب -حتى يومنا هذا- الصيف قيظاً[١٨٤]، حتى أننا لنجدهم يسمون شهور الصيف؛ حزيران وتموز وآب، /أول قيظ، واسط قيظ، واتلى قيظ/[١٨٥]. وقد وردت كلمة صيف في العربية دون اللغات السامية الأخرى، بينما نجد /ق ظ/ في الأوغاريتية[١٨٦]، و qayis في العبرية[١٨٧]، و qayta في السريانية[١٨٨]، وقيظ في العربية[١٨٩].

فيما يلي سأورد النقوش الصفوية التي أشارت إلى كلمتي / ص ي ف / و /ق ي ظ/:

١-نقش يحتوي على الفعل صيف مسبوقاً بمكان عام:

/ ل م ع ض ب ن م ح ي ن .. و ر ع ي م د ب ر ف ص ي ف/[١٩٠]

،"لمعيض بن محين ... ورعى في الصحراء وصيف".

٢-نقش يحتوي على الفعل مسبوقا بفعل آخر:

/ ... و ش ت ي ي ذ ك ر ... و ع و د ص ف /[١٩١]، "... وشتى في يذكر ... وعاد صيفا".

وتعود أهمية هذا النقش إلى احتوائه على فعلين، شتى وصيف، معا، مما يوحي بنظام التنقل الموسمي عند الصفويين.

٣-ويؤكد النقش الثالث على هذه الفكرة، فقد سبق الفعل / ص ي ف / اسم المكان / ه م ش ت ي / "المشتى"، وذلك في النقش التالي: / ... و ر ع ي م د ب ر ه م ش ت ي ف ص ي ف ا ج م ل /[١٩٢]، "... ورعي في الصحراء في

المشتى وصيف في أجمل".

أما الفعل قيظ، فقد ورد في عدد أوفر من النقوش الصفوية، وقد كان مصحوبا بأفعال تشير إلى الخوف والقلق وعدم الاستقرار، ولعل ذلك بسبب طبيعة فصل القيظ الصحراوي، حيث يقل الماء والكلأ، فيكون المرء عرضة لهجمات وإغارات القبائل الأخرى، ومن النقوش التي تشير إلى هذا الخوف والقلق: / ... *و ق ي ظ ع ل ث ب ر ن ف ت خ و ف* .../[193]، "وقيظ في ثبرن وتخوف ..."، / ... *و ت خ و ف* ... /[194] / ... *و ق ي ظ ع ل ه ن م ر ت و ق ن ط ه ش ن ا* ... /[195]، "... وقيظ في النمارة وخاف من الأعداء". وقد يكون مصدر هذا القلق والتخوف خشية على ماشيته وإبله من ان تنفق جوعا وعطشا، ففي أحد النقوش إشارة إلى الريح السموم التي هبت سنة قيظ كاتب النقش في بركة: / ... *و ق ي ظ ب ر ك ت ن و ي س ن ت ن ر س م م* .../[196]، "... وقيظ في بركة سنة الريح السموم".

وتذكر النقوش الصفوية القيظ على أنه ميقات دون أن تتبع بمكان أو فعل؛ مثل / ... *و ق ي ظ* /[197]، / ... *ف ق ظ* ... /[198]، بينما تبع هذا الفعل اسم مكان في نقوش أخرى كما مر سابقا، ومنها النقش: / ... *و ق ي ظ ب ر ك ت*.../[199]، أو متبوعا بمكان وزمان أيضا: /... *و ق ي ظ ع ل ب ت ر س ن ت ح ر ب ت ع و ذ ا ل ب ع د*.../[200]، وترجمته: "... وقضى الصيف في بتر سنة حاربت عويذ قبيلة بعد...".

إن المتتبع للأفعال التي ترد مصاحبة للفعل قيظ في النقوش الصفوية، يتبين الدوافع التي دفعت بالصفوي إلى قضاء الصيف في مكان ما، وأهمها الرعي، ومنها جمع الطعام والملح[201].

أما عن ورود الكلمة اسم مكان، فقد برز في النقشين التاليين: /*ل ع ق ر ب ب ن ي ع ل ل م ق ظ*.../[202]، "... هذا المقاظ لعقرب بن يعلل..."، /*ل ر ه ب ن ه م ق ظ*..../[203]، لرهبان هذا المقاظ...".

(٤)

أما المفردة الرابعة الدالة على الموسم أو التنقل الموسمي فهي /ش ت ي/ "شتى"، و/م ش ت ي/ "مشتى"، وشتى في العبرية ستاف، وفي السريانية [٢٠٤].

لقد أحس الصفوي بالزمن انطلاقا من فهمه الوقت، ومرور الليل والنهار والأيام، ولم يبتعد كثيرا" في هذا الفهم عن عد الزمن الوقت أو دوران الفلك[٢٠٥]، وقد ظهر ذلك في المفردات؛ سنة وعام، دثا، شتى، قيظ، شهر، ليل، صبح، ويظهر الإحساس بالزمن المطلق عند الصفويين من خلال النقش التالي الذي يحتوي على كلمة "إلى الأبد": /ل غ ل ب ب ن ن ف ر و و ل ه ع ل ح ب ب ه ل ا ب د /، "لغالب بن نفر، ووله على حبيبه للأبد"، ومن خلال استخدامه للمفردة /ا ل ه ع ه د/ بمعنى "هذا العهد"، في النقش التالي: /ل ع م ب ن ح ن ب ن ح ن ن... و م ط ي ه خ ر ص م ل ك ت ا ل ه ع ه د ف ه ل ت و ر ض ي س ل م /، وترجمته: " لعم بن حنين... وقد قام برحلة على راحلته، وكان بانتظار مالكه حتى هذا العهد (الوقت)، فيا اللات ويا رضا السلامة".[٢٠٦].

أما النقوش الصفوية التي تحمل كلمة /ش ت ي/ فيمكن درجها على النحو التالي:

١- نقوش تحتوي على الكلمة /ش ت ي/ متبوعة باسم مكان عام: /...و ش ت ي (ه) و ر (د)...[٢٠٧]/، "... وقضى الشتاء في المورد..."، /...و ش ت و ه د ر...[٢٠٨]/، "... وقضى الشتاء في الديار ...".

٢- نقوش تحتوي على المفردة متبوعة باسم مكان محدد: /...و ش ت ي ب ن ع ل ي...[٢٠٩]/، "... وقضى الشتاء في ابن علي..."، و / ... و ش ت ي ه ش ر م...[٢١٠]/، "... وشتى في الشرم..."، و / ... و ش ت ي ع ر ا ل...[٢١١]/، "... وشتى في عرأل...".

٣- نقوش تحتوي على المفردة متبوعة بنـــوع القطيـــع: / ... و ش ت ي ب ه ا ب ل.../[٢١٢]، "... وشـــتى بـــــالابل..."، و / ... و ش ت ي ب ه ض ا ن.../[٢١٣]، "... وشتى بالضـــأن..."، و / ... و ش ت ي ه د ر و ر ع ي ه م ع ز ي/[٢١٤]، "... وشتى في الديار ورعى الماعز ".

٤- وفي النقوش الصفوية التي تحمل هــذا الفعل إشارات إلى أبعاد دينية، وإلى مراقبة السماء انتظارا للغيث، ومن هذه النقـوش: / ل ا ا س د ب ن ر ب ا ل... س ن ت (ح ر ب) ن ب ط و ي س ل م ي و ب ر ح ح ل ق ت ش ت ي ه د ر و ت ظ ر ه س م ي /[٢١٥]، "... لأسد بن رب ايل... سنة حرب النبط ويسلي وغادر وشتى في الديار وراقب السماء".

أم النقش التالي فيشير إلى أن بدرا بن أصلح قد شتى في الديار وقدم أضحية للآلهـــة: /... و ش ت ي ه د ر و ذ ب ح ف ه ل ت س ل م/ [٢١٦]، "... وشتى في الديار، وذبح فيا اللات سلاما.

٥. وقد جاء ذكر الكلمة على غير صيغة النقوش السابقة، وذلك اسم مكـــان: /... و م ش ت ه.../[٢١٧]، "... والمشتى..."، وفي نقش آخر نرى أن صاحب النقش قد شتى في الصحراء ليرعى، ثم صيف في مكان آخر وهو أجمـل: /... و ر ع ي م د ب ر ه م ش ت ي ف ص ي ف ا ج م ل.../[٢١٨].

(٥)

ويكتمل الحول عند الصفويين في النقش التالي الذي يذكر فصل الخريـــف: / ل د ا ف ب ن س خ ر ... و (ب ع د ه) ه خ ر ف ف ه ل ت س ل م و ر ع ي ه ض ا ن/[٢١٩]، وترجمته: لدأف بن سخر... وأبعد (وارتحل) في فصل الخريـــف، فيـا اللات السلامة، ورعى الضأن". وكلمة خريف ترد في عدد من اللغات السامية بالمعنى نفسه؛ فهي في العربية الجنوبية /خ ر ف/، وفي العبرية /حوريف/، وفـــي الأكاديـــة /خاربو/[٢٢٠].

رابعا

(١)

لقد اختار العرب الشماليون مثل غيرهم من شعوب الشرق الأدنى الشهر القمري، على أنه وحدة لقياس الزمن، كما سيتضح من خلال النصوص النقشية.

سمي إله القمر عند الشعوب السامية بأحد الأسماء الثلاثة: ورخ، وسين، وشـــهر[٢٢١]، كما تنتشر في الجزيرة العربية قبل الإسلام الآلهة الشمس، وورخ، وقمـــر، وســين، وشهر أكثر من غيرها[٢٢٢]، ونجد القمر في جنوب الجزيرة يسمى حتى اليوم شـــهر[٢٢٣]، وقد وصف إله القمر، الذي يسمى في النقوش المعينية ودا بود شهرن، بمعنـــى الإلـــه المتألق[٢٢٤]، وتتناغم هذه المترادفات والمعاني مع البعد المادي للتقويم العربي الشـــمالي والعربي الجنوبي القمري[٢٢٥].

أما المفردة شهر فقد وردت في اللغات السامية بمعنى القمر أو أول الشهر، وهي فـــي العربية الجنوبية شهر وشهرم[٢٢٦]، وفي الأثيوبية شاهر [٢٢٧]، وفي العبرية

[٢٢٨]، وفي السريانية ويطلق في العربية الشهر على الهلال والقمر، قال تعالى "فمن شهد منكم الشهر فليصمه"[٢٢٩].

يعد الشهر الوحدة الزمنية الثانية، بين اليوم والسنة، وقد عبر الصفويـــون عـــن هـــذه الوحدة باسمي شهر وحدث، وكان ذلك في نقوش قليلة، لايتجاوز عددها أصابع اليـــد الواحدة، وهذه النقوش هي:

ل م ع س ب ن ا ج ي ش ب ن ر ف ض ت و ج ق ه ا غ ث ل ث ل ت ا ش ه ر ف ه ل ت س ل م/[٢٣٠]، "لمعس بن اخياس... ومسه الشيطان ثلاثة أشـــهر فيا اللات السلامة".

والنقش الثاني يذكر الصيغة التالية: "ثلاثة أشهر في السنة التي حـــاربت بـــها جشـــم

الثموديين"[٢٣١].

هاتان الصيغتان اللتان تذكران كلمة شهر، لاتشيران إلى تقويم أو تأريخ معينين، وإنما أشارتا إلى وحدة زمنية قدرت حركتها الفاعلة بثلاثة أشهر، غير أن نقشا صفويا آخر يذكر التعبير: /.... ح د ث ا م ن س ن ت ه/[٢٣٢]، "الشهر الأول من السنة الخامسة"، التي يعيدها ليتمان إلى السنة ١١٠م حسب تقويم بصرى، حين كانت عاصمة المقاطعة العربية، وقتما كانت ولاية رومانية[٢٣٣].

وقد وردت كلمة /ح د ث/ في هذا النقش بمعنى شهر، ويتواءم هذا مع معاني الكلمة في اللغات السامية الأخرى، التي تفيد المعاني؛ (جديد، أول الشيء) كما تعني القمر عند ظهوره في أول الشهر، أول الشهر، وهي في العبرية حودش، وفي الأوغاريتية /ح د ث/، وفي الآرامية حدوتا ، والأثيوبية حدس ، والأكادية essu[٢٣٤]، ومن المعاني المستفادة في العربية لهذه المفردة، تلك الصيغ التي تشير إلى المواقيت والزمن، مثل الحدث والأحداث، وهي أمطار أول السنة، ومنها الحدثان وهما الليل والنهار[٢٣٥].

وتعود أهمية هذا النقش إلى أنه يؤكد بوضوح استخدام التقويم القمري أسوة بالشعوب السامية الأخرى، ويؤكد ما ذهبنا إليه من أن الفعل /ت ظ ر/ يعني فيما يعنيه مراقبة السنة القمرية الجديدة[٢٣٦].

(٢)

لم تحتو النقوش الصفوية أسماء شهور وافرة، إذ لم تسق لنا سوى اسمين هما شباط وأيار.

وشباط هو الشهر البابلي الحادي عشر، وقد جاء في الأكدية باسم شباطو sabatu[٢٣٧]، وفي العبرية شبوط [٢٣٨]، وفي السريانية شفاط [٢٣٩]، ولم تغفل النقوش النبطية ذكر هذا

الشهر، فقد جاء بحروفه الساكنة الثلاثة /ش ب ط/[240]. أما في الصفوية فلم يتعد ذكــر هذا الشهر المرة الواحدة، وفيه إشارة إلى قرار ومكوث عماد بن مالك في المكان فــي شهر شــباط، /ل ع م د ب ن م ل ك ب ن ع م د ب ن م س ك ب ن ع م د ب ن م ل ك...ق ر ب س ب ط ف ه ل ت س ل م/[241]، ولعل الطريــف فــي الأمر إن تستبدل الشين في /ش ب ط/ سينا /س بط/ في الصفوية، رغم ورود الكلمة بالشين في العربية واللغات السامية الأخرى[242].

أما شهر أيار /أ ي ر/، فقد جاء في الصفوية مرة واحدة، وهو فــي التقويــم البــابلي والعبري الشهر الثاني من شهور السنة، وقد جاء في الأكادية ايارم[243]، وفي العبريــة أيار ، والسريانية أيار[244]، وفي الصفوية كما في النقش التالي: /... ف ا ي ر ب ر ا ل ج م ل.../، وترجمته: "...وقضى شهر أيار مع سبعين من الابل..."[245].

خامسا

(١)

يعد اليوم وحدة الزمن الأولى في التقويم، وقد وردت في القرآن الكريم بصيغ ومعان شتى ثلاث وسبعون وأربعمئة مرة، مفردة ومثناة ومجموعة، وبمعان منها يوم القيامة، ووحدة الزمن الأولى[٢٤٦]، وقد قسم الفلكيون اليوم حسب الأقدار إلى ثلاثة أقسام هي:

"١. اليوم الشمسي، وهو المدة بين الظهر و الظهر الذي يليه، او بين نصف الليل إلى نصف الليل التالي.

٢. اليوم القمري: وهو اليوم الذي يكون بعد عبور القمر في الهاجرة مرتين وطوله ٢٤ ساعة و ٣٣ ثانية، أو بين غروب الشمس إلى غروب الشمس التالي.

٣. اليوم النجومي: وهو اليوم الذي تدور فيه النجوم حول القطب، ويحسب من الظهر النجومي، وهو وقت عبور الحمل إلى الهاجرة[٢٤٧]. ومن خلال التعريفات السابقة لليوم، يتضح لنا توافق المفاهيم في جعل الليل والنهار شقي اليوم، ولما لم تذكر النقوش الصفوية كلمة اليوم بصراحة، فإنها أشارت بوضوح إلى الليل بكلمتي /*ل ي ل*/ و /*ب ي ت*/، والنهار بكلمة /*ص ب ح*/.

(٢)

ليل كلمة سامية مشتركة، وردت في نقش صفوي بحذف حرف اللين /ل ل/، ويشير هذا النقش إلى أن الكاتب قد راقب الحدود على طول قنوات المياه في الليل: /*ذ ر ب ن ع ت ق... و ر ع ي ه ش ف ر ع ل ق ن و ت غ ث ي ع ل ل ب ر ك ت ف ن ش*/[٢٤٨]، وترجمته: "ذر بن عتيق... وحرس الحدود على طول القنوات التي امتلأت بالغيث في ليلة مباركة، حتى (زاد) وفاض".

ولعل ذر بن وجماعته كانوا يراقبون السماء انتظارا للغيث، بعد طول انحباس، فكان

نزول الغيث في هذه الليلة المباركة، التي امتلأت بها القنوات وفاضت، ذكرى تستحق أن يؤرخ بها وترقم على الحجر.

أما الكلمة الثانية التي تشير إلى الليل على أنه وحدة زمنية، هو الفعل بات /ب ي ت/، ويعني في العربية الشمالية قضى الليل، وهو بمعنى يتوافق مع ما تعنيه المفردة في العربية واللغات السامية الأخرى، فالكلمة في الآرامية /ب و ت/ ، والأثيوبية beta، والاكادية باتو[٢٤٩]، وفي القرآن الكريم تجئ الصيغ بياتا، وبيت وهي تعني "الإيقاع بالليل"[٢٥٠]، وفي الشعر قال جرير[٢٥١]:

اعد لبيوت الهموم إذا سرت   جمالية حرفا وميسا مفردا

أما الفعل بيت في النقوش الصفوية فقد ورد حوالي ثماني مرات على النحو التالي:

١. منفردا /و ب ي ت/[٢٥٢].

٢. ورد الفعل متبوعا بمكان المبيت : /و ب ي ت ه و ر د و خ ي ر س ل م/[٢٥٣]، " وبات قرب مورد الماء، وتمنى السلامة". ومنها /و ب ي ت ه د ر / وبات في الديار.

٣. ورد الفعل متبوعا باسم مكان وسبب المبيت: /ب ي ت ب ن د د ر ح ب ت ر ي ع س ر و ص ي ر/[١]، "وبات على تل في الرحبة، ورعى وسار ووصل".

(٣)

أشارت النقوش إلى النهار بجزئه الأول وهو الصباح، وقد جاء ذلك في نقش صفوي واحد[٢٥٤]، على أنه وحدة زمن، أما كاسم علم فقد ورد مرات عديدة بمعنى "حمرة الصباح، جميل"[٢٥٥]، أما ذلك النقش الذي يشير إلى النهار فهو: /ل ع م ر ن ب ن و

---

[١] - SAI nr. 595

ف ق و ص ب ح ت د م ر ف ق ت ل ت ه م ل ك ب ن ا ف ت ن ي ا ب ن ح ر ض و ر ض ي س ل م/ [٢٥٦]، وترجمته: "لعمران بن وافق، وقد تدمر صباحا، وقتل الملك ابن ا ن ف ي ت... فيا رضا السلامة"، ولعل في هذا النقش إشارة إلى مسألة التيمن والبشر في مصابحة القوم، والتشاؤم من مماساتهم، وهي من العادات العربية المتبعة، ويقال في الأمثال: "صابحوا الملوك ولا تماسوهم"[٢٥٧].

سادساً

نتيجة وخلاصة:

اعتنى العرب الشماليون بالتوقيت، وقد ظهرت في عشرات النقوش الصفوية مفردات تجري مجرى التأريخ والمواقيت، وهي: الأبد، السنة، العام، الصيف، القيظ، دثا (الربيع)، الشتاء، الشهر، الحدث، الليل، بات، والصباح.

ورسمت لنا هذه النقوش صورة هذه المفردات أمّا أسماء مثل: /ا ب د/ "الأبد"، /س ن ت/ "السنة"، /ع م/ "العام، /ه خ ر ف/ "الخريف"، /ش ه ر/ "الشهر، /ح د ث "الحدث"، أو فعلا، مثل: /ص ي ف/ "قضىالصيف"، /د ث ا/ "قضى الربيع"، /ش ت ي/ "شتى"، /ب ي ت/ "بات".

ويستنتج من استقراء مجموع النقوش ذات الصلة، اقتران دور وظيفي بكل مفردة، يعكس طبيعة المجتمع العربي الصفوي الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية، فالنقوش التي وسمت بكلمة سنة أو عام تعكس طبيعة الصراعات والنزاعات داخل المجتمع الصفوي أو صراعهم مع الشعوب والأمم المجاورة، مثل: الثموديين والأنباط والرومان. أما موضوعات النقوش المتضمنة كلمة "سنة فتستبيح ذاكرة العربي الصفوي الذي جعل من حروبه وصراعاته أياما، كأيام العرب، تراوحت بين الجدية والهزل، وسردت أخبارا مقتضبة عن الشعوب والملوك والقبائل المختلفة التي زامنت الصفويين وجاورتهم. وقد أكدت هذه النقوش صعوبة الحياة وقسوتها، وعدم قدرة الصفوي على

الاستقرار، سواء عند حاجته إلى التنقل من مكان إلى آخر، طلبا للكلأ والماء، أو تحسبه وتخوفه من هجمات القبائل والشعوب المجاورة، وقد شكلت المفردات المصاحبة لكلمة سنة، وذات المدلولات الدالة على حياة القلق وعدم الاستقرار، حوالي ٧٥% من مجموع النقوش ذات الصلة بالبحث.

أما الموضوع الثاني الذي تعالجه النقوش الصفوية، التي تتعلق بالزمن، هو التنقل الموسمي، والترحال وفق منظومة ومواقيت محددة، وأفعال هذه الفئة تعكس قدرة الصفوي على التفاعل مع البيئة، والوعي بالمكان والزمان، وقد كانت المفردات التي عبر فيها الصفوي عن انتقاله الموسمي هذا، هي دثا، وقيظ، وصيف، وشتى.

تشير النقوش الصفوية إلى اختيار الصفوي الشهر القمري وحدة لقياس الزمن، فالتوقيت عنده يقوم على الليالي دون الأيام، وقد استخدم العرب الصفويين كلمتي شهر وحدث للدلالة على الوحدة الزمنية الثانية بين اليوم والسنة، ولم تذكر النقوش الصفوية سوى شهري شباط وأيار من بين الشهور الاثني عشر.

أما اليوم فلم يرد في أسفار النقوش الصفوية صراحة، وإنما ذكرت وحدتاه الليل من خلال كلمتي /ل ل/ و /ب ي ت/، والنهار من خلال كلمة /ص ب ح/.

وبعد، فالصفويين عرب، اهتموا بالتوقيت، شأنهم شأن من سبقهم من شعوب الشرق الأدنى القديم، وشأن من تبعهم من العرب المسلمين، الذين أنزل الله تعالى عليهم، في سورة البقرة، قوله: "يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج"، صدق الله العظيم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الآلوسي، حسام

الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠.

الارياني، مظهر علي

في تاريخ اليمن، القاهرة، ١٩٧٣.

اسماعيل، عز الدين

المكونات الأولى للثقافة العربية، مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٧٢.

أنيس، ابراهيم وآخرون

المعجم الوسيط، جزءان، دار الفكر، بدون تاريخ.

التكريتي، عبد الرحمن

جمهرة الأمثال البغدادية، ج٣، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١.

الجمل، شوقي

علم التاريخ، نشأته وتطوره ووضعه بين العلوم الأخرى ومناهج البحث فيه، ط١، المكتبة الأموية، بيروت، ١٩٨٣.

جونز، أ.م.

مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ترجمة إحسان عباس، دار الشروق للنشر

والتوزيع، عمان، ١٩٨٦.

الحموي، شهاب الدين ياقوت

معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤.

خليفة، حاجي

كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، ج١، مطبعة الحكومة، اسـتانبول، ١٩٤١-٠٤٣

ديسو، رينيه

العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩

رو، جورج

العراق القديم، ترجمة وتعليق حسين علوان حسين، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

روسان، محمود

القبائل الثمودية والصفوية، عمادة شؤون المكتبات-جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٧.

ريان، رجائي

مدخل لدراسة التاريخ، دار ابن رشد، عمان، ١٩٨٦.

زايد، محمود

"الدكتور محمود الغول وتاريخ اليمن قبل الإسلام"، دراسات عربية في ذكرى محمود

الغول، تحرير معاوية ابراهيم، منشورات معـــهد الآثـــار والأنثروبولوجيـــا/ جامعـــة اليرموك، (١٠٦-١١١)، ١٩٨٩.

الزبيدي، محمد مرتضى

تاج العروس، ج٢، تحقيق عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٣.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله

أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩.

الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين

شرح المعلقات السبع، دار صادر، بيروت.

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن

الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دمشق، ١٣٤٩ هجرية.

عبد الباقي، محمد فؤاد

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧.

عثمان، حسن

منهج البحث التاريخي، ط٤، دار المعارف، ١٩٨٦.

العجرمي، منى

حياة الرعي عند الصفويين من خلال نقوشهم، (رسالة ماجستير غير منشورة- جامعـــة اليرموك- الأردن)، ١٩٩٢.

أبو عساف، علي

كتابات عربية صفوية جديدة في المتحف الوطني بدمشق، حولية دائرة الآثار العربية السورية، ٢٣: ٢٠١-٢١٤، (١٩٧٣).

فروخ، عمر

تاريخ الجاهلية، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤.

الفيروز أبادي، مجد الدين أبو الطاهر محمد

القاموس المحيط، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله

الأنواء، حيدر أباد، ١٩٥٦.

كمال، ربحي

الابدال في ضوء اللغات السلمية، دراسة مقارنة، جامعة بيروت العربية، ١٩٨٠.

ليو اوبنهايم

بلاد ما بين النهرين، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١.

المصري، عبد الرؤوف

معجم القرآن، ط٢، دار السرور، بيروت، ١٩٤٨.

مطر، عبد العزيز

المعجم العربي الأساسي إضاءة ونقد، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد ١٣: ٩٥ – ٩٦، (١٩٩٠).

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد

لسان العرب، المجلد التاسع، دار صادر، بيروت، من دون تاريخ.

موسكاتي، سباتينو

الحضارات السامية القديمة، ترجمه وزاد عليه سيد يعقوب بكرس، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٧.

ناجي، عادل

كتابات صفوية من صحراء الرطبة، سومر، ١٨: ١٦٥-١٧٢، (١٩٦٢).

نيلسن، ديتلف، فرتز هومل

التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد ومحمد زكي حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨.

المراجع الأجنبية:

Aistleitner, Joseph

Woerterbuch der ugaritischen Sprache, Berlin, 1974.

Beeston, A. F. & Others

Sabaic Dictionary, (English-French-Arabic), Louvain-Laneuve, 1982.

Bowersock, G. W.

A Report on Arabia Provincia, *Journal of Roman Studies*, (1971), LXI.

Brockelmann, Carl

Lexicon Syriacum, 2. Aufl. Halle (Nachdruck, Hildesheim), 1928. (LS).

Cantineau, J.

Le Nabate'en, II vols. (Paris 1930-2), Osnabrueck, 1978.

Cassel, David

Hebraeisch-Deutsches Woerterbuch, Berlin, 1903.

CIS

Corpus Inscriptionum Semiticarum.

Clark, V.

A Study of New Safaitic Inscriptions from Jordan, University of Melbourne, A Thesis Presented for the Degree of Doktor of Philosophy, 1979.

Costaz, S. J.

Syriac-English Dictionary, Beyrouth, 1986.

Dalman, Gustaf

Arbeit Und Sitte in Palaestina, 7. Bde, Guetersloh, 1928-42.

Donner, H., Wolfgang Roellig

Kanaanaeische und aramaeische Inschriften, mit einem Beitrage von Otto Roessler, 3 Bde, Wiesbaden, 1962-64. (KAI).

Gesenius, Wilhelm

Hebraeisches und aramaeisches Handwoerterbuch ueber das Alte Testament, Bearbeitet von Frans Buhl, 17. Aufl. Berlin, 1962

Grimme, H

Texte und Untersuchungen zur Safaitisch-Arabischen Religion, mit einer Einfuhrung in die Safaitisch Epigraphik, Paderbon, Schoningh, 1929.

Grohmann, A.

Arabien, Muenchen, 1963.

Harding, Lankester

The Safaitic Tribes, *al-Abhath*, XXII, 1969.

The Cairns of Hani; *ADAJ*, (1953), II: 7-57. (HCH).

New Safaitic Texts, *ADAJ*, (1951), I: 24-29. (NST).

Thamud und Safa; Studien zur altnordarabischen inschriften Kunde, Abhandlungen fuer die Kunde des Morgen Landes XXV I, Leipzig, 1940.

(TS).

Harris, Zihhig

A Grammar of the Phoenician Language, New Haven, 1936.

Jamme, A.

Safaitic Inscriptions from the Country of carcar and Ra's al-cananiyah, *Altheim und R. Stieh Christentum am Roten Meer,* (1971), I, Berlin, 41-107.

Knauf, E. A.

Assur, Suah der stimmlose Sibilant des Assyrischen, BN, (1989), 49: 13-16.

El-Saddai, BN, (1981), 16:20-26.

Koenig, Eduard

Hebraeisches und aramaeisches Woerterbuch, Leipzig, 1910.

Leslau, Wolf

Concise Dictionary of Gecez, Wiesbaden, 1989.

Levinson, Jay Hry

The Nabataean Aramaic Inscriptions, (Diss-Ph.D), New York University, 1974.

Littmann, Enno

Safaitic Inscriptions, Leiden, 1943. (SAI).

Macdonald, M. C.

Safaitic Inscriptions in the Amman Museum and other Collections, ADAJ, (1979), XXIII:101-119. (SAIM).

More Safaitic Inscriptions from Jordan, ADAJ, (1976), XXI:119-133. (MH).

Mordtmann, J. H.

Zur Suedarabischen Altertumskunde, ZDMG, (1982), 46: 94-100.

Nielsen, D

Die Athiopischen Gotter, ZDMG, 66, Leipzig, 1912.

Oxtoby, W.G.

Some Inscriptions of the Safaitic Bedouins, American Oriental Series, vol. 50, New Haven, 1968. (ISB).

Penrice, John

Dictionary and Glossary of the Koran, Beirut, 1873.

Ricks, Stephen

Lexicon of inscriptional Qatabanian, Roma, 1989.

Smith, Payne

A Compendious Syriac Dictionary, Oxford, 1985.

Von Soden, W.

Akkadisches Handwoerterbuch, unter der Benutzung des lexikalischen Nachlassen von Bruno Meissner, 3 Bde. Wiesbaden, 1959-1981. (AHW).

Tomback, Richards .

A Comparative Semitic Lexicon of the Phoenician and Punic Languages, (Society of Biblical Litreture Dissertation Series, 32), Montana, 1978.

Winnett, F. V.

An Arabiann Miscellany, *AION*, vol. 31, Nuova Serie XXI: 452-456. (WAM).

Safaitic Inscriptions from Jordan, Toronto, 1957. (SIJ).

Winnett, F. V. and Lankester Harding

*Inscriptions from fifty Safaitic Cairns,*Toronto, 1976. (WH).

[١] حسن عثمان، ص١١ ،رجائي ريان، ص٣٢، شوقي الجمل، ص٨
[٢] السخاوي، ص٧ .
[٣] عبد العزيز مطر، ص٨٦ .
[٤] محمود زايد، ص١١٠ .
[٥] جورج رو، ص٤٩-٥٠ .
[٦] ليو ابنهايم، ص٤٠٤ .
[٧] حاجي خليفة، ج١ ص٢٠٤ .
[٨] الزوزني، ص١٧ .
[٩] عز الدين اسماعيل، ص١٥٩ .
[١٠] عمر فروخ، ص٨٢ .
[١١] سورة يونس (١٠:٥-٦).
[١٢] عز الدين اسماعيل، ص١٥٨-١٥٩ .
[١٣] SIJ nr. 715
[١٤] WH nr. 61, SIJ nr. 73, CIS nr. 4251
[١٥] SIJ, p. 18
[١٦] SIJ nr. 73
[١٧] SIJ nr. 124
[١٨] SIJ, p. 27
[١٩] WH nr. 2829
[٢٠] WH nr. 3094
[٢١] SAL nr. 94
[٢٢] Vogüe nr. 360 نقلاً عن TS, P. 12
[٢٣] SAL nr. 1064
[٢٤] SAL nr. 1198
[٢٥] SAL nr. 162

---

[٢٦] TS p. 124

[٢٧] ديسو، ص١٠٤ .

[٢٨] SIJ nr.688

[٢٩] احسان عباس، ص٨٤ و SIJ, P.95

[٣٠] SAL nr. 78

[٣١] SIJ, p. 19

[٣٢] السابق، ص١٢ .

[٣٣] ISB nr. 57

[٣٤] السابق، ص٤٧ .

[٣٥] SIJ nr. 296

[٣٦] SIJ, p. 51

[٣٧] TS nr. 21

[٣٨] السابق.

[٣٩] WH nr. 2113

[٤٠] TS, p. 123

[٤١] SAL nr.4

[٤٢] TS, pp. 124-5, SAL, p.2

[٤٣] SAL nr. 88

[٤٤] السابق، ص٢١ .

[٤٥] TS nr. 20

[٤٦] ts, p. 125

[٤٧] Cantineau, vol. II, p. 49

[٤٨] TS nr. 126

[٤٩] ISB, p. 47

[٥٠] SIJ nr . 12

[٥١] SIJ nr.688

[٥٢] TS nr. 21

[٥٣] WH nr. 211, SAL nr. 4

[٥٤] SAL nr. 94

[٥٥] Voguee 360 نقلاً عن TS, p. 122

[٥٦] SAL nr. 1064

[٥٧] السابق، نقش رقم ١١٩٨ .

[٥٨] TS nr 126

[٥٩] السابق، نقش رقم ١٢٤ .

[٦٠] ديسو، ص١٠٤ .

[٦١] SIJ, p. 21

[٦٢] TS nr 126

[٦٣] عمر فروخ، ص٨١ .

[٦٤] SAL nr. 424

[٦٥] ديسو، ص١٠٣ .

[٦٦] SAL nr. 540

[٦٧] SAL nr 140

[٦٨] ديسو، ص١٠٣ .

[٦٩] SAL nr.644

[٧٠] راجع الروسان، ص٣٣٩-٣٤٠، HARDING, 1969

[٧١] sal, P. 165

[٧٢] SIJ nr. 705

[٧٣] السابق.

[٧٤] WH nr. 1700a

[٧٥] SIJ nr. 281

[٧٦] السابق، نقش رقم ٢٨٧ .

[٧٧] WH nr. 1698

[٧٨] SIJ nr.88

[٧٩] ISB nr. 57

[٨٠] SAL nr. 326

[٨١] WH nr. 387, SIJ nr.911

[٨٢] SIJ nr. 281

[٨٣] السابق، نقش رقم ٤٩ .

[٨٤] السابق، نقش رقم ٨٢٣ .

[٨٥] Bowersock 228 نقلاً عن WH nr. 407

[٨٦] السابق، النقش رقم ٢٨٥١ .

[٨٧] Grimmer nr. 179

[٨٨] SIJ nr. 59

[٨٩] CIS nr. 2577

[٩٠] السابق، نقش رقم ٣٢٠ .

[٩١] SAL nr. 254, 255

[٩٢] السابق، نقش رقم ٤٣٥ .

[٩٣] Grimme nr. V. 36

[٩٤] SIJ nr. 688

[٩٥] WH nr. 3792a,c, CLARK nr. 421

[٩٦] WH nr. 2792a

[٩٧] CIS nr. 4757

[٩٨] WH nr. 1272

[٩٩] SAL nr. 288

[١٠٠] WH, p. 520

[101] السابق، ص٥٢١ .

[102] السابق، نقش رقم ٢٧٩٢س.

[103] Grimme nr. DM.547

[104] WH nr. 9,16,20,1025, SAL nr. 36,687, SIJ nr. 823, 824, CIS nr. 2843, 5012

[105] WH nr. 2113

[106] TS, p.123

[107] WH nr. 2815

[108] انظر الفقرة رقم ٤ب في السياق.

[109] مر شرح هذا النقش، الذي يحمل الرقم SIJ 88 سابقا.

[110] SAL nr. 675

[111] السابق، نقش رقم ٣٦٠ .

[112] WH nr. 19, CIS nr. 272, 1952, 4388

[113] ابن منظور، ج١ ص٩٩٢ .

[114] SAL nr. 406

[115] السابق، نقش رقم ٦٥٣ .

[116] CIS nr. 4394

[117] السابق، نقش رقم ٤٤٤٦ .

[118] السابق، نقش رقم ٢٥٧٧ .

[119] السابق، نقش رقم ١٢٩٢ .

[120] SAL nr.4

[121] NST nr.3

[122] CIS nr. 4394

[123] WH nr. 1189, 2949b, SAL nr.297

[124] WH nr. 15-18, 575

[125] SAL nr. 288

[126] السابق، نقش رقم ٢٣٧-٢٣٨ .

[127] السابق، نقش رقم ٣٩٣ .

[128] السابق، نقش رقم ١٢٩١ .

[129] السابق، نقش رقم ٣٩٦ .

[130] عبد الرؤوف المصري، ج١ ص٢٧٩ .

[131] SAL nr. 331, 343, TS nr.22

[132] SAL nr. 361

[133] السابق، نقش رقم ٣٤٢ .

[134] موسكاتي، ص٣٥٠ .

[135] WH nr. 2491

[136] SAL nr. 350

[137] موسكاتي، ص٣٥٠ .

[138] WH nr. 3053

[139] محمد عبد الباقي، ص ٣٦٦-٣٦٧ .

[140] السابق ص٤٩٤ .

[141] القرآن الكريم: سورة البقرة، ٩٦، سورة المائدة، ٢٦، سورة الحج، ٤٧، سورة السجدة، ٥، سورة المعارج، ٤ .

[142] عبد الرؤوف المصري، ج٢، ص٢٩ .

[143] السابق، ج١، ص٢٧٩ .

[144] السابق، ج٢ ، ص٢٩ .

[145] ISB nr. 2

[146] SIJ nr. 72

[147] Clark nr. 958

[148] السابق، النقش رقم ٥٧٨ .

[149] ISB nr. 166

[١٥٠] WH nr. 1193

[١٥١] SIJ nr. 17

[١٥٢] Mordtmann, pp. 94-100

[١٥٣] الارياني، ص١٣٦ .

[١٥٤] Beeston, p. 20

[١٥٥] السابق، ص٣٦ .

[١٥٦] الفيروز أبادي، مادة: دثأ، ربحي كمال، ص١٦١ .

[١٥٧] LS, p. 816, Smith, p. 604

[١٥٨] Gesenius, p. 170

[١٥٩] AHM, p. 179

[١٦٠] ابن قتيبة، ص١١٤ .

[١٦١] NST nr. 65

[١٦٢] CIS nr.2573

[١٦٣] SAL nr. 374

[١٦٤] ISB nr. 113

[١٦٥] CLARK nr. 107

[١٦٦] WH nr. 181, SIJ nr. 289

[١٦٧] CIS nr. 2573

[١٦٨] السابق، نقش رقم ١٢٧٩ .

[١٦٩] HCH nr. 193

[١٧٠] العجرمي، ص١٤٢، الحموي، ج١ ص ص ٣٣٩-٣٤٠ ,

[١٧١] NST nr. 123

[١٧٢] CIS nr. 1068

[١٧٣] السابق، نقش رقم ١٢٩٢ .

[١٧٤] SIJ nr. 705

---

[١٧٥] WAM nr. 5

[١٧٦] NST nr. 114

[١٧٧] WH nr. 1232

[١٧٨] CIS nr. 994

[١٧٩] WH 325

[١٨٠] السابق، نقش رقم ٤٠٢ .

[١٨١] cis NR. 1137

[١٨٢] SIJ nr. 1008

[١٨٣] Dalman vol. 1:pp. 35-45 وابن منظور، ج٩ ص٢٠٠ .

[١٨٤] Dalman vol. 1:p. 35

[١٨٥] السابق، ج١ ص٢١ .

[١٨٦] Aistleitner, p. 280

[١٨٧] Gesenius, p. 712

[١٨٨] Costaz, p. 318

[١٨٩] الزبيدي، ج٢٠ ص٢٦٢ .

[١٩٠] HW nr. 2327

[١٩١] JIS nr. 104

[١٩٢] WH nr. 3500

[١٩٣] HCH nr. 107

[١٩٤] WH nr. 622

[١٩٥] SAL nr. 330

[١٩٦] WH nr. 298

[١٩٧] Macdonald, p. 193

[١٩٨] WH nr. 2399

[١٩٩] - السابق، النقش رقم ٢٨٩

٢٠٠ - CIS nr. 2577

٢٠١ - HCH nr. 76, 107.

٢٠٢ - WH nr. 3650.

٢٠٣ - السابق، النقش رقم ٣٧٨٧

٢٠٤ - ربحي كمال، ص ٢٤٩.

٢٠٥ - الآلوسي، ص ١٩.

٢٠٦ - WH nr. 2051.

٢٠٧ - SIJ nr.281.

٢٠٨ - Clark nr. 324.

٢٠٩ - SIJ nr. 225.

٢١٠ - علي أبو عساف، ص ٤.

٢١١ - عادل تاجي، ص ١.

٢١٢ - MH nr. 61.

٢١٣ - SAIM nr. 12.

٢١٤ - Jamme, p. 26.

٢١٥ - CIS nr. 2820.

٢١٦ - SAI nr. 649.

٢١٧ - CIS nr. 580.

٢١٨ - WH nr. 3500.

٢١٩ - SAI nr. 355.

٢٢٠ - Ricks, p. 75

٢٢١ - ديتلف نيلسن، ص ٢٠٧.

٢٢٢ - السابق، ص ١٨٨.

٢٢٣ - فؤاد حسنين حاشية كتاب التاريخ العربي القديم، رقم ٣ ص ٢٠٧.

٢٢٤ - Grohmann, p. 244

[225] - Nielsen, p. 592

[226] - Ricks, p. 165

[227] - Leslau, p. 46

[228] - Gesenius, p. 537, 780, Koeing, p. 459-460, Cassel, p. 317 وربحي كمال، ص ١٨٧.

[229] - سورة البقرة، ١٨٥.

[230] - WH nr. 2302

[231] - السابق، النقش رقم ٣٧٩٢.

[232] - Voguee نقلا عن TS, p. 124

[233] - TS, p. 124

[234] - Aistleitner, p. 100, Tomback, p. 99, KAI II:54, Gesenius, p. 216, LS, p. 217, Harris, p. 100, Ricks, p. 61

[235] - ابراهيم أنيس، ص ١٦٠.

[236] - انظر أعلاه.

[237] - AHW, p. 1119

[238] - Gesenius, p. 802

[239] - LS, p. 752

[240] - Levinson, p. 19, CIS nr. 199, 91

[241] - Grimme nr. 246

[242] - Knauf, 1989, p. 13-16, 1981, p. 21

[243] - AHW, p. 25

[244] - LS, p. 16, Costaz, p. 8

[245] - D.234 نقلا عن Grimme, p. 102

[246] - محمد عبد الباقي، مادة يوم.

[247] - عبد الرؤوف المصري، ص ٢٨٩.

[248] - WH nr. 1199.

[٢٤٩] - Gesenius, p. 95, Leslau, p. 103.

[٢٥٠] - سورة الأعراف، ٣، سورة يونس، ٥٠، سورة النساء، ٨٠، Penrice, p. 21، عبد الرؤوف المصري، ص ١١٧.

[٢٥١] - الزمخشري، ص ٣٤.

[٢٥٢] - SIJ nr. 595, Grimme nr. 285

[٢٥٣] - Grimme nr. 322.

[٢٥٤] - Grimme nr. 347

[٢٥٥] - WH nr. 2833a

[٢٥٦] - SAI nr. 1, 57, 80

- عبد الرحمن التكريتي، ص ٢٥٩.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٩٣/١٠/٣١.

الزراعة السورية

مقوماتها ومشكلاتها

د. محمد صافيتا
قسم الجغرافيا ـ جامعة دمشق

ملخص

عرفت سورية الزراعة منذ أكثر من عشرة آلاف سنة في كل من سهولها ووديان أنهارها وحول ينابيعها، واليوم تمتد إلى معظم أراضيها. يساعد على نموها وتطورها مجموعة من المقومات، ويحد من تطورها بعض المشكلات أحياناً.

يمكننا أن نجمل هذه المقومات في مجموعتين من العوامل هما: العوامل الطبيعية والعوامل البشرية، فمن العوامل الطبيعية نجد الموقع ومظاهر السطح والمناخ والمياه ثم التربة، هذه العوامل يختلف تأثيرها من بيئة جغرافية لأخرى. وتتصف تضاريس سورية بتنوعها، حيث نشاهد العديد من السهول والأراضي الهضبية والمناطق الجبلية، والزراعة في السهول أيسر مما هي عليه في المناطق الهضبية والجبلية، كما أن مناخ سورية ينتمي بحكم الموقع لمناخ البحر الأبيض المتوسط الذي يتميز بفصلين طويلين هما الشتاء والصيف وفصلين انتقاليين قصيرين هما الربيع والخريف، فالشتاء الماطر والصيف الحار والجاف لهما تأثيرهما في الزراعة، أما المياه في سورية فإن كميتها قليلة ويختلف توزعها بين منطقة وأخرى ولا تزيد كميتها عن ٢٤ مليار متر مكعب معظمها (٦٩ ٪

منها) يتواجد في مساحة لا تزيد عن١١،٦ ٪ من المساحة العامة للقطر وفيما يخص الترب السورية فإنها تتراوح ما بين التربة الحمراء والحمراء البنية ثم اللحقية والصفراء والترب الصحراوية والجبسية والملحية (الغدقة أو المستنقعية) وهذه الأنواع الثلاثة الأخيرة ضعيفة الخصوبة وبعضها لا يصلح للزراعة.

أما العوامل البشرية فإن درجة تأثيرها في الزراعة لا تقل عن العوامل الطبيعية وتتجلى في كل من السكان ورأس المال والسوق والتقدم العلمي والتكنولوجي ثم وسائط النقل والمواصلات وسياسة الدولة الزراعية. هذه العوامل تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر، فتوافر اليد العاملة الزراعية وتواجد رأس المال والسوق وتلبية مستلزمات الزراعة تشجع على تطورها وازدهارها، أما تدني الأسعار ونقص الآلات وارتفاع التكاليف فإنها تحد من نموها في كثير من الأحيان.

وبالرغم من توافر الظروف الطبيعية والبشرية فإن الزراعة السورية ما زالت تعاني من بعض المشكلات التي تقف في طريق تطورها، من هذه المشكلات: تملح التربة الزراعية والتصحر وزحف الأبنية على الأراضي الزراعية ثم تفتت الحيازة ومشكلة التسويق ونقص الآلات الزراعية وغيرها.

هذه المشكلات ليست سهلة إلا أن إمكانية التغلب عليها ليس مستحيلا، ومعالجة هذه المشكلات يكمن في معالجة أسبابها قبل أن تتضخم ونعجز عن إيجاد الحلول لها.

ختاما إن أهمية الزراعة والإنتاج الزراعي وموقع هذا الجانب الإنتاجي في اقتصادنا القومي تجعلنا نوليه ما يستحقه من الجهد والاهتمام، نؤمن مستلزماته ونعمل لتلافي مشكلاته لكي نحقق ما نسعى وتسعى جميع شعوب العالم لتحقيقه ألا وهو الأمن الغذائي.

المقدمة:

تعد البقعة التي تشغلها الجمهورية العربية السورية أحد أقدم المواقع الجغرافية التي عرفت الزراعة في العالم، ففي أراضيها نشأت ومنها انتشرت إلى بقية أنحاء المعمورة منذ أكثر من عشرة آلاف عام مضت [1]. قامت هذه المهنة ومنذ أقدم العصور في كل من سهول دجلة والفرات، وفي وادي العاصي، على ضفاف بردى وحوضة دمشق، وحول نهري الكبير الشمالي والجنوبي، وفي سهول حوران وجبل العرب وسهول حمص وحماة وحلب والسهول الساحلية، وعلى سفوح جبالها وفي وديانها وحول ينابيعها وأنهارها نشأت أقدم الحضارات وقدمت للإنسانية أعظم المنجزات[2].

هدف البحث:

تمتد الزراعة في أيامنا هذه إلى معظم الأراضي السورية، يسهم في نموها وازدهارها مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية، ويحد من تطورها وانتشارها أحياناً بعض المشكلات.

سنحاول في هذا البحث أن نستجلي هذه العوامل ونلقي الضوء على تلك المشكلات نبين أسبابها وما الحلول المقترحة لمعالجتها. فما هذه العوامل؟ وما تلك المشكلات؟

أولاً: العوامل المؤثرة في الزراعة السورية:

تتأثر الزراعة السورية بمجموعتين من العوامل هما:

١ً ــ العوامل الطبيعية. **٢ً ــ العوامل البشرية.**

١ً ــ العوامل الطبيعية: تتمثل في كل من الموقع ومظاهر السطح ثم المناخ والمياه والتربة:

١ــ الموقع ومظاهر السطح:

إن موقع الجمهورية العربية السورية بين خطي عــرض ١٩َ,٣٢ْو ٢٠َ,٣٧ْ شــمال خط الاستواء الانتقالي جعلها تخضع لمؤثرات جوية مختلفة فهي تتأثر بالكتل الهوائيــة الباردة والمعتدلة الشمالية، القارية منها والبحرية في النصف البارد من السنة، وبــالكتل الهوائية المدارية والمتوسطية في النصف الحار من السنة. كما أن موقع سورية علــى الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط خلق ظروفاً مناخية في الأجزاء الغربية تتمــيز عن الظروف المناخية السائدة في الأجزاء الشرقية والداخلية الأبعد، فالمناطق الغربيــة تتميز برطوبتها الأكبر وقاريتها الأقل وبالمدى الحراري البسيط وبندرة تدني الحــرارة إلى ما دون الصفر درجة مئوية، لذا نجد بأن زراعة الحمضيات حكراً على المنــاطق الساحلية وهي منطقة للخضراوات مبكرة النضج.

لقد تسبب وجود السلاسل الجبلية ــ ممثلة في السلاسل الساحلية والقلمــون وسلســلة جبال لبنان الشرقية وجبل الشيخ (مصور رقم ١) ــ إلى تباين واضح في قيم التــهطال والرطوبة عامة وأثر كذلك في الظروف الحرارية، وعليه ومع الابتعاد عــن البحــر الأبيض المتوسط نجد في النصف الشمالي من سورية قطاعية تهطالية طولية هي:

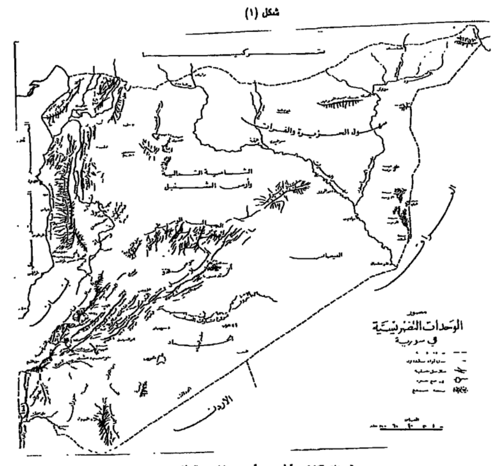
أ ــ المنطقة الساحلية، أمطارها تتراوح بين ٦٠٠ــ ١٤٠٠ مم سنوياً.

ب ــ المنطقة الانتقالية، أمطارها تتراوح ما بين ٤٥٠ ــ ٦٠٠مم سنوياً.

جـ ــ المنطقة الهامشية (شبه الصحراوية)، أمطارها تتراوح ما بين ٢٥٠ــ ٤٥٠مــم سنوياً.

دــ المنطقة الصحراوية، أمطارها أقل من ٢٥٠ مم سنوياً.

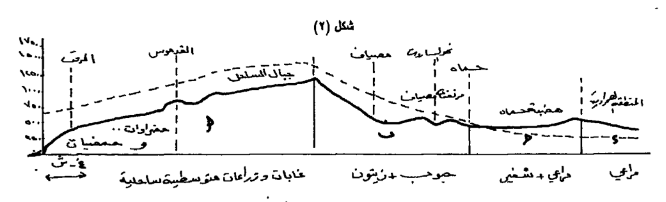
شكل (١)



الوحدات التضاريسية في سورية ـ عن عادل عبد السلام ـ

والمقطع الطولي التالي (من الغرب إلى الشرق) على خط عرض مدينة مصياف يوضح قيم التهطال السنوية والزراعات السائدة في كل منطقة من هذه المناطق.

شكل (٢)



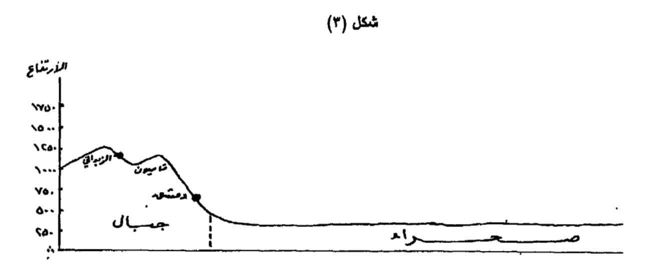
مقطع تمثيلي على خط عرض مدينة مصياف. الارتفاع بالأمتار، قيم التهطال بالميليمترات.

إن هذه القطاعية التهطالية هي التي أدت إلى ظهور مفهوم الهلال الخصيب الذي يبيـن بوضوح تأثير التضاريس بدءاً من عين ديوار وحتى جبل الشيخ.

أما بالنسبة للقلمون وسلسلة جبال لبنان الشرقية وجبل الشيخ فالأمر يختلـف حيـث لا نرى النطاقية السابقة بل نجد أن الصحراء تجاور الجبال مباشرة كما هو مبيـن فـي المقطع الطولي التالي على خط عرض الزبداني ــ دمشق.

شكل رقم (٣)

شكل (٣)



مقطع طولي (شرق – غرب) على خط عرض الزبداني – دمشق

٢ـــ المناخ:

يعد المناخ بعناصره المختلفة من أشعة وحرارة ورطوبة...وغيرها ذا تأثير كبير في الزراعة، ومن المعلوم أن الجمهورية العربية السورية تنتمي للمناخ العالمي السائد في المنطقة وهو مناخ البحر الأبيض المتوسط أو ما يعرف بالمناخ المتوسطي الرومي الذي يتصف بفصلين طويلين هما الصيف والشتاء وفصلين انتقاليين قصيرين نسبياً هما الربيع والخريف(٣). ومعظم أمطاره تهطل في فصل الشتاء بينما الصيف جاف إلا أننا إذا أمعنا النظر في مناخ سورية نجد أن هناك اختلافاً كبيراً في المناخ بين الأجزاء الغربية الساحلية المجاورة لساحل البحر الأبيض المتوسط والمناطق الجبلية المرتفعة والهضاب الداخلية ثم بينها وبين الأجزاء الشرقية السهلية.

وعلى هذا الأساس وتبعاً لتصانيف علماء المناخ ومنهم كوبن وثورنثويت وآمبيرجية، وهذا الأخير قد اعتمد في تصنيفه للمناخ على درجة الحرارة وكمية الأمطار، ولقد اعتمدناه هنا نظراً لتقاربه مع تصنيف مناطق الاستقرار الزراعي في سورية، فقد قسمت المناخات السورية إلى خمس مناطق مناخية ثانوية جميعها مشتقة من مناخ البحر الأبيض المتوسط وهذه المناطق المناخية هي (٤):حسب مايلي وكما هو موضح في الجدول رقم (١) والشكل رقم(٤)

١ـــ منطقة المناخ المتوسطي الرطبة، وتقسم إلى دافئة ومعتدلة.

٢ـــ منطقة المناخ المتوسطي شبه الرطبة، وتقسم إلى حارة، دافئة، معتدلة، باردة.

٣ـــ منطقة المناخ المتوسطي شبه الجافة، وتقسم إلى حارة، دافئة، معتدلة، باردة.

٤ـــ منطقة المناخ المتوسطي الجافة، وتقسم إلى معتدلة وباردة.

والجدول التالي يبين خصوصية كل منطقة مناخياً وزراعياً بالإضافة إلى مناطق الاستقرار الزراعي:

الجدول رقم (١)

المناطق المناخية، توزعها الجغرافي وأهم الزراعات فيها ومناطق الاستقرار الزراعي التي تتوافق معها

المناطق المناخية السورية		١ ــ منطقة المناخ المتوسطي الرطبة	٢ ــ منطقة المناخ المتوسطي شبه الرطبة
تقسيماتها		أ ــ دافئة ب ــ معتدلة	أ ــ حارة ب ــ دافئة ج ــ معتدلة د ــ باردة
معدل أمطارها		لا تقل عن ٩٠٠ملم وتصل حتى ١٤٠٠ملم سنوياً	لا تقل عن ٤٥٠ ملم وتصل حتى ٩٠٠ملم في بعض الأماكن
متوسط درجة الحرارة	صيفاً	من ١٩,٥ إلى ٢٤,٣م°	من ٢٢,٠ إلى ٢٥,٧م°
	شتاء	من ٤,٩ إلى ١٠,٧م°	من ٦,٨ إلى ١٣,٥م°
توزعها الخغرافي		منطقة الجبال الساحلية والأجزاء المرتفعة من جبل الكراد وجبل الحرمون	قسم من الساحل السوري يحيط بالمنطقة الرطبة والقسم الأكبر من سهل الغاب وسهول حمص الغربية وهضبة الجولان والجزء المرتفع من جبل العرب والأجزاء الأقل ارتفاعا من المنطقة الأولى من جبل الأكراد.
أهم الزراعات فيها		خضروات + حمضيات + أشجار مثمرة وزيتون في المنطقة الساحلية وأشجار مثمرة وزيتون في جبل الأكراد والتفاحيات والأشجار المثمرة في الحرمون (الزراعة البعلية فيها مضمونة	الخضروات والأشجار المثمرة والزيتون في القسم الساحلي والزيتون في منطقة جبل الأكراد والتفاحيات والعنب في منطقة جبل العرب (يمكن ضمان موسمين بعليين من أصل ثلاثة كل ثلاث سنوات).
مناطق الاستقرار الزراعي		الأولى القسم أ أمطارها من ٦٠٠مم سنويا ولا تقل عن ٣٥٠مم سنويا في كافة أرجاء المنطقة.	القسم ب من منطقة الاستقرار الزراعي الأولى وقسم من منطقة الاستقرار الزراعي الثانية أمطارها بين ٢٥٠ ــ ٣٥٠مم سنويا.

تتمة الجدول رقم (١)

المناطق المناخية السورية		٣ ـــ منطقة المناخ المتوسطي شبه الجافة*	٤ ـــ منطقة المناخ المتوسطي الجافة
تقسيماتها		أ ـــ حارة ب ـــ دافئة ج ـــ معتدلة د ـــ باردة	أ ـــ معتدلة ب ـــ باردة
معدل أمطارها		تتراوح بين ٣٥٠ ـــ ٥٠٠مم	لا تزيد عن ٣٥٠مم وتقل عن ٢٥٠مم في أغلب السنوات
متوسط درجة الحرارة	صيفاً	من ٢٤,٤ إلى ٣٠,٨م°	من ٢٤,٥م° إلى ٢٩,٦م°
	شتاءً	من ٦,٨ إلى ٨,١م°	من ٦,٦م° إلى ٩,٣م°
توزعها الجغرافي		سهول حمص وحماة وحلب والجزيرة العليا والأجزاء السفحية من جبال لبنان الشرقية والجزء الأقل ارتفاع مما هو عليه في المنطقة الثانية من جبل العرب والأجزاء الغربية من سلسلة الجبال التدمرية وجبل عبد العزيز.	المناطق المنخفضة من محافظة حماة ومناطق حوران المنخفضة والمناطق الشمالية متوسطة الارتفاع ومنطقة دمشق والأجزاء الشرقية من محافظة حمص (تغطي ٤٠٪ من مساحة سورية)
أهم الزراعات فيها		المحاصيل الشتوية (قمح، شعير، بقوليات بعض أنواع الأشجار المثمرة كالفستق الحلبي والتين واللوز والعنب.	كميات الأمطار في هذه المنطقة غير كافية لقيام الزراعة البعلية باستثناء مناطق محدودة جدا تجاور المنطقة السابقة تزرع بالشعير والبقوليات تصلح لقيام حياة رعوية للأغنام.
مناطق الاستقرار الزراعي		قسم من منطقة الاستقرار الزراعي الثانية وكل أجزاء منطقة الاستقرار الزراعي الثالثة أمطارها تزيد عن ٢٥٠ مم سنويا	تغطي كل أجزاء منطقة الاستقرار الزراعي الرابعة أمطارها بين ٢٠٠ ـــ ٢٥٠ مم سنويا.

*تغطي المناطق المناخية الثلاث الأولى ما مقداره ٢٠% فقط من مساحة الجمهورية السورية (الشكل ٤)

تتمة الجدول رقم (١)

المناطق المناخية السورية		٥ ـ منطقة المناخ المتوسطي الجافة جداً
تقسيماتها		أ ـ معتدلة ب ـ باردة
معدل أمطارها		أقل من ٢٠٠مم سنوياً
متوسط درجة الحرارة	صيفاً	من ٢٧,٥م° إلى ٣١,٣م°
	شتاءً	من ٧,٥ م° إلى ٨,٩م°
توزعها الجغرافي		تغطي المناطق الشرقية والجنوبية الشرقية من أراضي القطر العربي السوري بمساحة قدرها ٥٤٠ من مساحة القطر.
أهم الزراعات فيها		لا تقوم في هذه المنطقة أية زراعة، معظم نباتاتها حولية تظهر في فصل الأمطار وتختفي في بقية الفصول، ينتقل فيها سكان البادية من مكان لآخر وراء قطعانهم طلباً للماء والكلأ.
مناطق الاستقرار الزراعي		تتوافق مع منطقة الاستقرار الزراعي الخامسة، نادرة السكان أمطارها أقل من ٢٠٠مم سنويا.

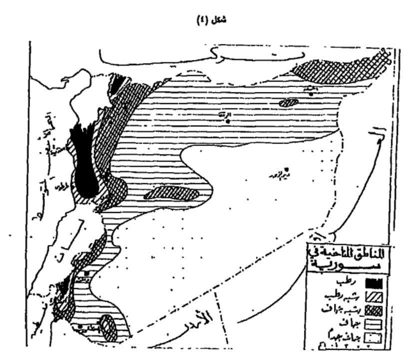
من خلال الجدول السابق نجد بأن لكل منطقة من المناطق المناخية السورية خصوصية متميزة سواء من حيث المناخ وعناصره المتعددة أم من حيث قيم التهطال السنوية والتوزع الجغرافي والمساحة التي تغطيها كل منطقة من هذه المناطق، كما أنها لا تتوافق مع التقسيمات المطرية التي قسمت سورية بموجبها إلى خمس مناطق استقرار زراعي، إذ نجد أن هناك تداخلاً بين مناطق الاستقرار الزراعي والمناطق المناخية السورية ونرى بأن تقسيم الأراضي السورية إلى مناطق استقرار زراعي على أساس خطوط الأمطار لا يعبر عن الواقع الزراعي في سورية. وهذا التقسيم لا يحظى بتأييد من الفلاحين لأن الخطوط المطرية تقسم أراضي القرية الواحدة في أحيان كثيرة إلى قسمين ويكون كل قسم منها في منطقة استقرار تختلف عن الأخرى، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية، فإن لكل منطقة استقرار زراعي معاملة خاصة من حيث مساحة الحيازة الزراعية أو من حيث استلاف القروض العينية والنقدية من

المصرف الزراعي. يضاف لذلك فإن التقسيمات بموجب خطوط الأمطار قديمة ولم تراع ما حصل في السنوات الأخيرة من تطورات سواء من حيث مشاريع الري أم استصلاح الأراضي أم من حيث مشاريع التشجير وإقامة السدود والبحيرات الاصطناعية أم اتساع الرقعة الزراعية المروية، لأن جميع هذه العوامل المشار إليها تؤثر في نسب الأمطار وتوزعها.

من ناحية ثانية تدافع الجهات المختصة عن تقسيم الأراضي السورية إلى مناطق استقرار حسب الخطوط المطرية بأنه جاء نتيجة لدراسات وبحوث علمية، وأن تعديل مواقع الخطوط المطرية يتطلب تعديل قوانين الإصلاح الزراعي لأن هذه القوانين استندت في توزيعها للأراضي على هذه التقسيمات في تحديد سقوف الملكية (٥).

وفي كل الأحوال نرى أنه من الضرورة بمكان إيجاد تقسيم جديد لأراضي الجمهورية العربية السورية بدلاً من التقسيمات المطرية، ويجب أن يأخذ هذا التقسيم مجموعة من العوامل الطبيعية المتعددة وليس فقط خطوط الأمطار.

شكل رقم (٤)



المناطق المناخية في سورية طبقاً للأمبروجيه/عن علي موسى مع بعض التعديل/

٣ـ المياه:

تلعب المياه دورا أساسيا وفعالا في مجال الزراعة، وأهمية المياه في حياة الإنسان والنبات والحيوان كبيرة، بل هو أساس وجود جميع الكائنات الحية إذ لا حياة من دون ماء، لقد عرف المزارعون السوريون أهمية الماء ودوره في حياة مزروعاتهم بما يقوم به من تنشيط للنمو وزيادة في إنتاج المحاصيل، ويمكن تأمين المياه من مصادر مختلفة تتمثل في:

أ ــ التهطال المباشر، وعليه تقوم الزراعة البعلية.

ب ــ الأنهار والبحيرات الطبيعية والصنعية والينابيع.

ج ــ المياه الجوفية التي ترفع مياهها بوساطة المضخات.

و فيما يتعلق بحجم الموارد المائية السورية السطحية منها والجوفية فإنها تقدر بحدود ٢٣٨٤٩ مليون متر مكعب موزعة على الأحواض المائية السبعة التالية وهي: الفرات ١٤١٠٠م م³ ــ دجلة والخابور ٢٣٨٨م م³ ــ العاصي ٣١٦٦م م³ــ الساحل ٢٤٩٠م م³ــ اليرموك ٥٢٦م م³ــ حوض بردى والأعوج ٨٥٠م م³ ــ البادية ٣٢٩م م³. يلاحظ أن ما نسبته بحدود ٦٩,٥٪ من المياه السورية تأتي من حوضي الفرات ودجلة والخابور ــ والفرات ودجلة ينبعان من أراض غير سورية ــ تبلغ مساحة حوضيهما معا ١١,٦٣٪ من المساحة السورية ونسبة عدد سكان الحوضين معا ٧,٤٨٪ من مجموع السكان السوريين[٦]. أي أن هناك خللا واضحا في نسبة توزع المياه بالنسبة للمساحة والسكان في أراضي الجمهورية العربية السورية حيث أن ٩٢,٦٢٪ من سكان الجمهورية العربية السورية ينالون ٣٠,٥٪ من المياه السورية ولمختلف الاستعمالات التي ستزداد الحاجة إليها يوما بعد يوم نتيجة لتزايد أعداد السكان من ناحية وللطلب المتزايد على المياه للأغراض المختلفة الزراعية منها والصناعية من ناحية ثانية، وبموجب التقرير القطري السوري لعام ١٩٨٦ الذي يقدر استعمالات المياه للأغراض المختلفة (منزلية ــ زراعية ــ صناعية) فإن الجمهورية

السورية ستستهلك ما قدره ٧٦٪ من إجمالي واردات المياه من الأنهار جميعاً بما في ذلك نهر الفرات كما يوضح الجدول التالي. الذي يوضح الاستعمالات الحالية والمتوقعة للمياه في سورية مرة لأن الزيادة السكانية زيادة طبيعية ومرة أخرى لأن الزيادة معدلة [٧]

جدول (٢)

الاستعمالات الحالية والمتوقعة للمياه في سورية مقدرة بالمليار متر المكعب في السنة /عن أكساد/

السنة	الاستعمالات الحالية والاسقاطات المستقبلية باعتبار نسبة تزايد السكان طبيعية				الاستعمالات الحالية والاسقاطات المستقبلية باعتبار نسبة تزايد السكان المعدلة			
	منزلية	صناعية	زراعية	المجموع	منزلية	صناعية	زراعية	المجموع
١٩٨٥	٠,٣٩١	٠,٠٦٢	٥,٨٩٠	٦,٣٤٣	٠,٤٦٦	٠,١١٧	٥,٨٩٠	٦,٤٧٢
٢٠٠٠	٠,٩٨٢	٠,٦٠٠	١٢,١٠٠	١٣,٦٨٢	٠,٨٦٥	٠,٣٥٥	٧,٣٧٠	٨,٥٩٠
٢٠١٠	١,٦١٧	٠,٨٥٠	–	–	١,٢٩٣	٠,٧١١	–	–
٢٠٣٠	٣,٠٤٤	١,٤٧١	–	–	٢,٣٣٠	١,٧٤٨	٧,٩٢٢	١٢,٠٠٠

من خلال الجدول السابق نجد أن الحاجة للمياه تزداد باستمرار ولمختلف الاستعمالات (منزلية ــ صناعية ــ زراعية) وقد أدركت حكومة الجمهورية العربية السورية، بخاصة بعد عام ١٩٧٠م أهمية المسألة المائية، فقامت بإجراء العديد من الدراسات المائية وأنشأت عدداً من السدود على مجاري الأنهار وفي الوديان لتأمين متطلبات الزراعة والسكان للمياه حيث بلغ عدد السدود المنفذة حتى عام ١٩٩٥ ما مجموعه ١٣٧ سداً وهناك عدد آخر من السدود قيد الإنجاز كسد الخابور وسد ٧ نيسان وسد تشرين وسد باسل الأسد لتخزين ما مجموعه ٤٥٥٢م م^{٣} من المياه. ولهذا يمكننا القول: إن الجمهورية العربية السورية من أولى الدول العربية التي استطاعت أن تحقق ما يسمى بالأمن المائي على المدى المنظور ولمختلف الاستعمالات المنزلية والصناعية والزراعية [٨]، وإذا ما أردنا الحفاظ على أمننا المائي ومراعاة الحاجة المستمرة والدائمة للمياه فلا بد من متابعة استكمال الدراسات المائية والسعي الدائم لتأمين متطلبات السكان والاقتصاد للمياه في المستقبل ولا بد لنا في كل الأحوال من ترشيد وعقلنة استخدام الموارد المائية المتاحة وضرورة عقد اتفاقات دولية لاقتسام المياه المشتركة مع الدول المجاورة لتحديد حصة كل منها من مياه نهري دجلة والفرات.

لقد كانت مساحة الأراضي المروية في سورية لا تتعدى ١١,٣٪ من مجموع مساحة الأراضي القابلة للزراعة في عام ١٩٩٠م. ارتفعت هذه النسبة إلى أكثر من ١٨,١٪ من مجموع الأراضي القابلة للزراعة في سورية عام ١٩٩٤م.

كما هو مبين في الجدول التالي:

الجدول رقم (٣)

توزع الأراضي القابلة للزراعة في سورية حسب الاستعمال ١٩٩٠ ـ ١٩٩٤

(المساحة ألف هكتار) (مساحة القطر العربي السوري ١٨٥١٨ألف هكتار)

السنوات	الأراضي القابلة للزراعة	الأراضي المستثمرة	الأراضي المروية	نسبتها	الأراضي البعلية	نسبتها	أراضي سبات للراحة وغير مستثمرة	نسبتها	نسبة المجموع لأراضي القطر ٪
١٩٩٠	٦١٤٩	٥٤٦٦	٦٩٣	١١,٣	٤٧٧٣	٧٧,٦	٦٨٣	١١,١	٣٣,٢
١٩٩١	٦٠٧٩	٤٨٥٣	٧٨٨	١٣,٠	٤٠٦٥	٦٦,٩	١٢٢٦	٢٠,١	٣٢,٨
١٩٩٢	٦٠٤٥	٥١٢١	٩٠٦	١٥,٠	٤٢١٥	٦٩,٧	٩٢٤	١٥,٣	٣٢,٦
١٩٩٣	٥٩٣٩	٤٩٣٩	١٠١٣	١٧,١	٣٩٢٦	٦٦,١	١٠٠٠	١٦,٨	٣٢,١
١٩٩٤	٥٩٧١	٤٨٥٢	١٠٨٢	١٨,١	٣٧٧٠	٦٣,١	١١١٩	١٨,٨	٣٢,٢

المصدر: المكتب المركزي للإحصاء: المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٩٥ ص ١٠٤

من خلال الجدول السابق نرى أن المساحات المروية في سورية قليلة نسبيا ومع ذلك فإن مساحتها تزداد من عام لآخر، وتبعا لتزايد المساحات المروية فإن إنتاج المحاصيل الزراعية يزداد هو الآخر أيضا لأن إنتاج الهكتار في الأراضي المروية يعادل أكثر من ضعفي وأحيانا خمسة أضعاف إنتاجه في الأراضي البعلية كما يوضح الجدول التالي الذي يبين مساحة وإنتاج وغلة بعض المحاصيل الزراعية في كل من الأراضي المروية والبعلية خلال موسم عام ١٩٨٩ [٩].

الجدول رقم (٤)

مساحة وانتاج وغلة بعض المحاصيل الزراعية خلال عام ١٩٨٩[١٠]

المساحة:هــ ، الانتاج: طن ، الغلة: كغ / هــ

المحصول	سقي			بعل		
	مساحة	إنتاج	غلة	مساحة	إنتاج	غلة
قمح عالي الجودة	٢٢٩٥٣٧	٥٧٢٠٩٦	٢٤٩٢	٥٥٩٠٥٨	٣٠٢٨٤٣	٥٤٢
قمح عادي	٧٧٢٠	١٤٥٣٢	١٨٨٢	٤٤٣٥٩٣	١٣٠٧٣٠	٢٩٥
شعير	١٦٠٨٦	١٧٥٩٦	١٠٩٤	٢٨٧٥٦٤١	٢٥٣٤٩٤	٨٨
عدس	١٩٥٢	١٥٦٢	٨٠٠	١٨٦٣١٢	٦٢٣٨١	٣٣٥
حمص	١٢٦	١٢٦	١٠٠٠	٣٣٥٣٢	١٣١٨٨	٣٩٣
فول	٦٩٢٦	١٠٠٩٦	١٤٥٨	٢٢٤٥	١٨٩٦	٨٤٥
بازلياء خضراء	١٠٤٤	٤٥٦٩	٤٣٧٦	٣٣٦	٤٣٧	١٣٠١
الذرة الصفراء	٥٥٩٨٠	١٠٨٦٦٤	١٩٤١	١٥٦	٦٨	٤٣٦
الذرة البيضاء	٣٧٠	٣٧٠	١٠٠٠	٦٦٩٤	٢٧٢٨	٤٠٨
عباد الشمس	٣٤١٤	٣٤٨٩	١٠٢٢	٣٦٦٩	٢٨٩٤	٧٨٩
البندورة	٢٢٢٠٩	٥٢٥٦٩٦	٢٣٦٧٠	٧٤٦٢	٣٢٩٥٦	٤٤١٧
التبغ	٣٥٩٥	٦٧٢١	١٨٧٠	١٠٦٠٩	٦٣٢٩	٥٩٧

من خلال ملاحظة الغلة الزراعية في كل من الأراضي المروية والبعلية يتضح لنا مدى أهمية الري وبالأحرى مدى أهمية المياه للزراعة لذلك يجب ألا ندخر جهدا في

توسيع رقعة أراضينا الزراعية بشكل عام والمروية منها بشكل خاص. لأن زيادتـــها ستسهم في زيادة الإنتاج والدخل القومي أيضا.

٤ـ التربة:

تشكل التربة العنصر الرئيسي في الإنتاج الزراعـــي، وتختلـف أنـواع المحـاصيل الزراعية تبعا لخصائص التربة من الناحية الكيميائية، وتأتي التربة بعد المناخ والميـاه في تأثيرها في توزع المحاصيل الزراعية، ويعد النبات كاشفا جيدا لكـل مـن الميـاه والتربة والمناخ ويسهم إسهاما فعالا في تمييز أنواع الترب عن بعضها بعضا، إضافـة لذلك تلعبَ أشكال التضاريس دورا هاما في تشكل الترب، فالترب في المناطق الجبليـة ذات الأمطار الغزيرة تختلف عن ترب السفوح والسهول، وتـرب الحوضـات غـير الترب المتشكلة في الوديان والسفوح قليلة الانحدار.

وتبعا لتصانيف الترب السورية [11] فقد تبين أن هناك سبعة أنواع من الـترب تسـود الأراضي السورية هي[12]:

أ ــ تربة حوض البحر الأبيض المتوسط:

تنتشر هذه التربة على طول الساحل السوري وفي المناطق التي تزيد أمطارهـا عـن ٧٠٠مم سنويا، يتراوح قوامها بين الطينية والرملية الطينية ويكون لونها بيـن البنـي الضارب إلى الحمرة والحمرة المشوبة باللون الأصفر، يغطي هذا النوع من الترب مـا مساحته /٨٥٠/ ألف هكتار (٤,٦٪ من إجمالي مساحة سورية) تربتها خصبة وتستثمر بشكل مكثف حيث تجود فيها زراعة الخضار والأشجار المثمرة والتبـغ والحبـوب، ومما يذكر أن معظم الزراعات في هذه التربة تعتمد على مياه الأمطار.

ب ــ التربة الحمراء والبنية الداكنة (كروموزل Cromosol)

تغطي هذه الترب ما مقداره /٢٢١٧/ ألف هكتار (١١,٩٪ من إجمالي مساحة القطر). تنتشر في السهول الداخلية التي يتراوح معدل أمطارها السنوي بين ٣٠٠ ــ ٦٠٠مـم،

قوامها طينية ثقيلة، ألوانها السائدة تتراوح ما بين الأحمر الداكن، والبني، والبني الداكن والأسود، وهي تربة خصبة نسبياً تجود فيها زراعة الحبوب البعلية كالقمح والشعير والعدس وفي حال توافر مياه للري تزرع بالقطن والخضراوات والأشجار المثمرة والشوندر السكري والفول السوداني.

ج ــ التربة البنية الصفراء (السينامونيك Cinnamonic)

تنتشر هذه التربة إلى الشرق والجنوب من مدينة حلب وفي القسم الجنوبي من الجزيرة السورية، كما تمتد على شكل شريط عرضه بحدود ٥٠كم يحيط بالبادية السورية، يغطي هذا النوع من الترب ما مساحته /٤٧٨٢/ ألف هكتار (٢٥,٨٪ من مساحة سورية) لونها بني مشوب بالأصفر والأحمر. تصلح هذه التربة لزراعة الحبوب كالقمح والشعير والعدس، وعندما تتوافر مياه للري يمكن زراعتها بالقطن والخضراوات وبعض أنواع الأشجار.

د ــ التربة الصحراوية (السيروزم Serozem)

تحتل هذه التربة الأجزاء الجنوبية الشرقية من سورية حيث تقل معدلات الأمطار السنوية عن ٢٠٠مم، وتغطي ما مساحته /٤٢٤٤/ ألف هكتار (٢٢,٩% من مساحة القطر). هذه الترب عموماً فقيرة بالمادة العضوية، يتراوح قوامها ما بين الطفال الرملي الخفيف إلى الطيني الثقيل، ويتدرج لونها ما بين الرمادي البني إلى الرمادي، أمطارها بشكل عام قليلة، تنمو فيها الأعشاب الدائمة والحشائش الموسمية، وفي حال توافرت لها مياه للري يمكن أن تزرع بالقطن والقمح والشعير وذلك في الأراضي العميقة الخالية من القشرة الكلسية.

هـ ــ التربة الجبسية:

وهي من أكثر الترب انتشاراً في سورية، إذ تغطي ما مساحته /٥٥٢٨/ ألف هكتار (٣٠,١٪ من مجموع المساحة العامة). تنتشر في المناطق الصحراوية الأكثر جفافاً على طرفي نهر الفرات وتحاذي الحدود العراقية السورية شرقاً حتى جنوب غرب

مدينة البوكمال وتمتد غربا في وسط القطر حتى شرق مدينة تدمر في قلب البادية السورية. لونها برتقالي مشوب بالصفرة أو أبيض أو بني مشوب بالاصفرار. تنخفض إنتاجيتها بسبب ارتفاع محتواها من الجبس، وهناك صعوبة كبيرة في استصلاحها، كما أن تربتها السطحية معرضة للانجراف، وحمولتها الرعوية منخفضة على وجه العموم.

و ــ التربة اللحقية:

وهي ترب حديثة تنتشر في منطقتين رئيسيتين هما سهل الغاب والأراضي المجاورة لنهري الخابور والفرات، يتميز لونها بالسواد في سهل الغاب بينما يتفاوت من البني إلى البني الرمادي القاتم حول نهري الخابور والفرات.تغطي مساحة /٥٣١/ ألف هكتار (٢,٨٪ من مجموع المساحة العامة لسورية). تمتاز هذه التربة بخصوبتها العالية حيث تجود فيها مختلف المحاصيل ــ إذا توافرت لها مياه للسقاية ــ مثل القطن والخضراوات والشوندر السكري وبعض أنواع الأشجار المثمرة، وأهم مشكلة تعاني منها هذا التربة في سورية هي مشكلة التملح.

ز ــ التربة المستنقعية أو ما يطلق عليها بالتربة الملحية أو الغدقة [١٣]

تتشكل هذه الترب بصورة رئيسية في مراكز الأحواض مثل حوضة دمشق وحوض جيرود وتدمر والجبول والمنطقة الواقعة شرق نهر الخابور، كما أن هناك بعض الأراضي تشكل بؤرا صغيرة في كل من سهل الغاب وحوض الفرات. تتألف أراضيها من تربة مستنقعية أو تربة غمر سنوي قد تكون غنية بالملح كما في بعض السبخات مثل سبخة الموح والجبول وجيرود، وقد تكون فيها نسبة قليلة من الملح، كما في حوضة دمشق ومنخفض المطخ وسهل الروج وسهل الغاب والعشارنة حيث ارتفعت نسبة الملوحة بسبب سوء استعمال طرائق السقاية [١٤].

مساحة هذا النوع من الترب قليلة نسبيا حيث تغطي مساحة /٣٦٦/ ألف هكتار (١,٩٪ من إجمالي مساحة سورية) يتراوح لونها بين الرمادي أو البني الرمادي، وتترسب

الأملاح على سطحها، إنتاجيتها متدنية جدا. تقتصر صلاحيتها للزراعة على بعض المحاصيل.

من خلال استعراضنا للترب السورية نلاحظ أن هناك ارتباطا وثيقا بين أنواع الترب والمناخات السائدة، ففي منطقة المناخ المتوسطي الرطب (حيث تزيد كمية الأمطار عن ٧٠٠مم سنويا) تسود تربة البحر الأبيض المتوسط، ونجد النوع الثاني أي التربة البنية والحمراء الداكنة (كروموزل) تتوافق مع منطقة المناخ المتوسطي شبه الرطب التي تزيد كمية الأمطار السنوية فيها عن ٤٥٠مم، أما التربة البنية الصفراء فتتوافق مع منطقة المناخ المتوسطي شبه الجاف حيث يتراوح معدل الأمطار ما بين ٣٥٠ ـ ٥٠٠ مم سنويا، أما التربة الصحراوية والجبسية فنجدهما في المنطقتين المناخيتين الجافة والجافة جدا اللهم إذا استثينا التربة اللحقية حول نهري الخابور والفرات. هذا بالرغم من وضوح تأثير عامل المناخ على تشكل الترب فإننا لا نستطيع أن ننكر دور العوامل الأخرى في تشكلها أيضا مثل الصخر الأم وأشكال التضاريس والمياه... وغيرها، وبالنتيجة فإن هذه العوامل مجتمعة تلعب دورا كبيرا في الزراعة والتوزع البشري والكثافات السكانية التي نجدها تتوافق لدرجة كبيرة مع تزايد كمية الأمطار والمناخ الرطب وشبه الرطب والجاف وتقل لدرجة كبيرة في منطقتي المناخ الجاف والجاف جدا.

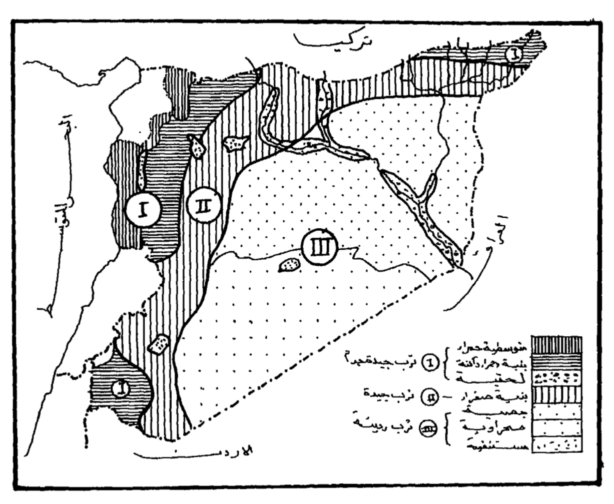
وبناء على ما تقدم يمكن أن نجمل الترب السورية في ثلاث مجموعات رئيسة هي:

١ ـ ترب جيدة جدا وعالية الخصوبة لغناها بالدبال ويمكن زراعتها بمختلف أنواع المحاصيل، تتمثل هذه المجموعة في كل من تربة حوض البحر الأبيض المتوسط والتربة الحمراء والبنية الداكنة والتربة اللحقية.

٢ ـ ترب جيدة خصوبتها أقل من الأولى يزرع فيها الحبوب والبقوليات وفي حال توافر مياه للري فيمكن زراعتها بالقطن والخضراوات وبعض أنواع الأشجار المثمرة، تتمثل هذه المجموعة بالتربة البنية الصفراء.

٣ ــ ترب رديئة، خصوبتها ضعيفة وهي أقل صلاحية من الترب السابقة للزراعة لفقرها بالمادة العضوية كما في الترب الصحراوية أو لارتفاع محتواها من الكلس وقلة الغضار ووجود أملاح الجص والكالسيت والأملاح الأخرى كما في الترب الكلسية أو ارتفاع نسبة الأملاح فيها كما في الترب المستنقعية الملحية. والشكل رقم (٥) يبين توزع هذه الترب في سورية.

شكل (٥)



مجموعات الأتربة في سورية

٢ ــ العوامل البشرية:

لا يتوقف الإنتاج الزراعي على العوامل الطبيعية وحدها بل تلعب العوامل البشرية دورا فعالا ومؤثرا في هذا الجانب الانتاجي، والمقصود بالعوامل البشرية هو كل مايتصل بالإنسان، فالإنسان هو محور الدائرة ونقطة الارتكاز في مهنة الزراعة، هو الذي يستصلح الأرض، يقيم السدود والمنشآت، يدير الآلة، يضع الخطط الزراعية ويرسم سياسة الإنتاج الزراعي ......الخ.

ولما كانت حاجات الإنسان متغيرة تبعا للظروف التي يعيشها، فإن العوامل البشرية كذلك متغيرة باستمرار وتؤثر في حدود الظروف الطبيعية وطبيعة الموارد المتاحة، ومنذ القدم حاول الإنسان في سورية استغلال الأرض القابلة للزراعة فأقام المدرجات على السفوح، وجر مياه الينابيع والأنهار إلى مناطق لم تكن تصلها (مثال ذلك سيطرته على مياه نهر بردى وجر مياهه بفروع سبعة لري الأراضي المجاورة لدمشق). كما استطاع بخبرته أن يتوصل إلى اختيار أنواع من المحاصيل الزراعية تعطي إنتاجية عالية وتتأقلم لدرجة كبيرة مع الظروف الطبيعية السائدة. وحتى في وقتنا الراهن مازال الإنسان مستمرا في إجراء التجارب الزراعية لتوليد واستنباط أصناف نباتية وحيوانية تتناسب مع البيئة المحلية السورية وأصبحنا نشاهد على سبيل المثال لاالحصر أصنافا متعددة من محاصيل القمح والتبغ والزيتون والخضار...وغيرها، لم تكن معروفة سابقا. وما زالت مراكز البحوث الزراعية السورية تجد السير للتوصل لأفضل الأنواع النباتية التي تقاوم الأمراض وتعطي أعلى مردودية إنتاجية، ولتزرع كذلك خارج الحدود المناخية القديمة لها.

صحيح أن الإنسان لم يستطع ــ حتى الوقت الحاضر ــ أن يتحكم بالمناخ وعناصره المختلفة، ولكن محاولاته مستمرة للتقليل من آثارها الضارة على الزراعة فهو يقوم بالتدخين في حقول الخضراوات والفاكهة ليحول دون تشكل الصقيع الضار لها، ويقوم كذلك بزراعة مصدات الرياح للتخفيف من أضرارها. لقد استطاع بفضل التقانة

الحديثة أن يغير ولو جزئيا من مظاهر سطح الأرض وذلك بتسوية التربة وإقامة المدرجات وتجفيف المستنقعات وبالتالي زراعتها والاستفادة منها، كما توصل إلى اسقاط الأمطار مؤخرا من بعض السحب المتشكلة في الجو، وأخذ منذ عهد قريب بالتغلب على تقلبات درجات الحرارة باستخدام البيوت الزجاجية (البلاستيكية) من أجل الزراعة المحمية لينتج العديد من أنواع الخضار والفاكهة في غير مواسمها وفي أماكن لم تكن تزرع فيها وخير مثال على ذلك زراعة الموز في الساحل السوري زراعة محمية وكذلك زراعة الخضار بمختلف أنواعها حيث أصبحنا نتناولها طازجة على مدار العام، لقد توصل الإنسان بخبرته وتجاربه إلى زراعة العديد من المحاصيل التي تتأقلم مع الظروف الطبيعية في سورية وضمن لها أفضل الظروف لإنتاج أفضل الأنواع، فنجد مثلا تركز زراعة الخضار والأشجار المثمرة في مناطق التربة الخصبة والمناطق المناخية ذات درجات الحرارة المعتدلة والأمطار الكافية في الأراضي السهلية وشبه السهلية في الأجزاء الغربية من سورية، ونشاهد زراعة التفاح والكرز والزيتون في المناطق الجبلية المرتفعة نسبيا ثم تتدرج زراعة بعض المحاصيل مثل القطن والشوندر السكري وعباد الشمس وفول الصويا والفول السوداني...وغيرها، في المناطق التي تلي سلسلة الجبال الساحلية كما في سهل الروج والغاب والعشارنة، تليها زراعة القمح في المناطق التي تقل فيها معدلات الأمطار عن ٤٠٠مم سنويا كما في سهول حمص وحماة وحلب وسهل حوران ثم تأتي زراعة الشعير في المناطق الهامشية التي لا تقل متوسطات الأمطار فيها عن ٢٠٠ ــ ٢٥٠مم سنويا. وأخيرا نرى أن المناطق الشرقية تندر فيها زراعة المحاصيل وتستغل كمراع فقط.

نستطيع إذا استثنينا مناطق صغيرة ضيقة في حوضي الدجلة والخابور ووادي الفرات ذي التربة اللحقية الخصبة القول: إن هناك تخصصا زراعيا اقليميا واضحا في الأراضي السورية، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية نجد أن التوسع المساحي وزيادة الإنتاج والغلة معا قد سايرا إلى درجة كبيرة تزايد أعداد السكان في هذا القطر، يبدو

واضحا من خلال مقارنة المساحات المزروعة والإنتاج والغلة لبعض المحاصيل الغذائية منها وغير الغذائية وتزايد مساحة وإنتاج وأعداد الأشجار لبعض أنواع الأشجار المثمرة خلال أقل من خمسين عاما (الجدول رقم ٥ والجدول رقم ٦).

جدول (٥)

تطور مساحة وانتاج وغلة بعض المحاصيل الزراعية من عام ١٩٤٦ ـ ١٩٩٤ [١٥]

المساحة: ألف هكتار، الإنتاج: ألف طن، الغلة: طن/هكتار

العام	المحصول	مساحة	انتاج	غلة
١٩٤٦	القمح	٨١٠	٥٧٨	٠,٧
١٩٦٣		١٥٥٩	١١٩٠	٠,٨
١٩٧٥		١٦٨٢	١٥٥٠	٠,٩
١٩٨٥		١٢٦٥,٠	١٧١٤	١,٤
١٩٩٤		١٥٥٣,٤	٣٧٠٣	٢,٤
١٩٤٦	الشعير	٣٧١	٢٨٤	٠,٨
١٩٦٣		٨٠٤	٧٨٤	١,٠
١٩٧٥		١٠١١	٥٩٧	٠,٦
١٩٨٥		١٣٨٥,٩	٧٤٠,٢	٠,٥
١٩٩٤		١٨٩٤,١	١٤٨١,٧	٠,٨
١٩٤٦	القطن	٢٠	١٤	٠,٧
١٩٦٣		٢٩٢	٤١٠	١,٤
١٩٧٥		٢٠٨	٤١٤	٢,٠
١٩٨٥		١٧٠,٢	٤٨٦,٩	٢,٩
١٩٩٤		١٨٩,٤	٥٣٥,٤	٢,٨
١٩٤٦	الشوندر السكري	–	–	–
١٩٦٣		٤	٨٧	٢١,٥
١٩٧٥		٨	١٨٧	٢٣,٢
١٩٨٥		١٤,٥	٤١٢,٢	٢٨,٤
١٩٩٤		٣٣,٥	١٤٥١,٩	٤٣,٤

جدول رقم ٦

تطور مساحة وإنتاج وعدد بعض أنواع الأشجار المثمرة من عام ١٩٤٦ ـ ١٩٩٤[١٦]

المساحة: ألف هكتار، الإنتاج: ألف طن، عدد الأشجار المثمرة: ألف شجرة

العام	نوع الأشجار	مساحة	انتاج	عدد الأشجار
١٩٤٦	الزيتون	٧٨	٤٥	٨٨٤٥
١٩٦٣		١١١	٦٨	١٥٢٥٥
١٩٧٥		١٨٣	١٥٧	٢٠٨٩٣
١٩٨٥		٢٩٥,٧	١٨٥,٠	٣٢٢٠٤
١٩٩٤		٤٠٢,٤	٥١٧,٩	٥٢٤٢٧
١٩٤٦	العنب	٥٩	١٧١	٤٩٢١٣
١٩٦٣		٧٠	١٥٩	٥٩٤٨١
١٩٧٥		٨١	٢٨١	٦٥٩٥٥
١٩٨٥		١٠٩,٩	٤٨٦,٤	٨٣١٧٥
١٩٩٤		٦٧,٠	٣٦٢,٤	٥٢٨٨٧
١٩٤٦	الحمضيات	١	٤	٥٧٨
١٩٦٣		١	٥	٦١٣
١٩٧٥		٤	٢٨	١٦٣٦
١٩٨٥		١٢,٤	٨٣,٥	٤٦٦٥
١٩٩٤		٢٤,٧	٦١٩,٢	٨٩٤٦
١٩٤٦	الفستق الحلبي	٣	١	٥٤٧
١٩٦٣		٥	١	٩٥١
١٩٧٥		٩	٩	٢٠٠٨
١٩٨٥		٣٧,٤	١٢,٠	٦٩٦٣
١٩٩٤		٥٦,٠	١٤,٩	٩٢٥١

إن قراءة متأنية للجدولين السابقين تظهر لنا بوضوح مدى التطور الذي طرأ على الزراعة والإنتاج في سورية وهذا مما يمكننا من القول إن هذا التطور لم يأت من فراغ بل جاء نتيجة لجهود مستمرة بذلت وأموال كثيرة أنفقت، فقبل عام ١٩٦٠م على سبيل المثال لم يكن في القطر العربي السوري سد واحد وفي عام ١٩٩٤ أصبح هنالك ٧٠ سدا طاقتها التخزينية ١٥,٦٣٧ مليار متر مكعب بما فيها سد الفرات [١٧] عدا عن ذلك فهنالك العشرات من السدود الأخرى التي أنجزت أو هي قيد الإنجاز بعد هذا التاريخ.

ومما لاشك فيه فإن زيادة رقعة الأراضي الزراعية المروية سيؤدي إلى زيادة الإنتاج ورفع مستوى المعيشة لأبناء هذا القطر وتحقيق الكفاية الذاتية والأمن الغذائي لسكان سورية الذين تتضاعف أعدادهم في أقل من عشرين عاما. وبالرغم من هذا كله ما زال هناك العديد من العقبات التي يجب تذليلها لتكون النتائج المرجوة على قدر التكلفة والجهد المبذول. وهذا ما سنحاول توضيحه في الفقرات التالية عندما نتحدث عن مشكلات الزراعة السورية. ولعل من أهم العوامل البشرية المؤثرة في الزراعة هو كل من السكان ورأس المال والسوق والتقدم العلمي والتكنولوجي ثم وسائط النقل والمواصلات وسياسة الدولة الزراعية.

١ ــ السكان:

بلغ عدد سكان القطر العربي السوري ١٣,٨٤٤ مليون نسمة في منتصف عام ١٩٩٤ في حين لم يكن عدد السكان سوى ٦,٢٥٧ مليون نسمة عام ١٩٧٠ ولما كانت سورية دولة زراعية كما هو معروف فقد أولت الحكومة السورية اهتماما متزايدا للمسألة الزراعية كونها تشكل الدعامة الأساسية للاقتصاد الوطني إذ تمثل ٢٤٪ ضمن تركيب الناتج المحلي الإجمالي لمختلف القطاعات، وأن نسبة المشتغلين في الزراعة قياسا للمشتغلين بباقي القطاعات الإنتاجية يعادل ٥٢,٥٦٪ من السكان، وتعادل نسبة القوى العاملة الزراعية ما يزيد على ٢٧,٨٪ من القوى العاملة السورية، ومن المعلوم أن

الشعب السوري شعب فتي وأن ما نسبته ٥٠,٢٩٪ من السكان تتراوح أعمارهم بين ١٥ ــ ٦٠ عاماً، ومن الملاحظ أن كثافة السكان تختلف بين محافظة وأخرى، ففي الوقت الذي تبلغ كثافة السكان أعلى معدل لها (باستثناء محافظة مدينة دمشق) في محافظتي اللاذقية وطرطوس، إذ تبلغ ٣٢٢ و ٣٠٩ نسمة /كم٢ على التوالي. نجد أن كثافة السكان في محافظة الرقة لا تزيد على ٢١ نسمة/كم٢ علماً بأن مساحتها تزيد بنسبة ١٢,١٪ على مساحة محافظة طرطوس، أي أن هناك خللاً في التوزيع الجغرافي للسكان، إضافة لذلك فإن رقعة الأراضي القابلة للزراعة في سورية قليلة ولا تتعدى ٣٢,٢٪ من مساحة القطر البالغة ١٨٥١٨٠ كم٢ وإذا أخذنا الأراضي المروية فإن النسبة تتدنى إلى ٥,٩٪ فقط وهناك مساحات شاسعة تصل نسبتها إلى ٦١,٩٪ خارج نطاق الاستثمار الزراعي، يضاف لكل ما ذكر السرعة التي يتزايد بل يتضاعف فيها عدد سكان القطر بحيث أن أعداد السكان تتضاعف في مدة تقل عن ٢٠ سنة وأن نسبة التزايد السكاني تصل إلى ٣,٦٪ سنوياً (١٧).

من ناحية ثانية فإن ارتفاع المستوى المعيشي للسكان وإقبالهم على تناول الفاكهة والخضراوات واللحوم وغيرها من الأطعمة الأخرى يحتم علينا أن نولي المسألة الزراعية جهوداً كبيرة لتلبية حاجة سكان القطر من المنتجات الزراعية وذلك باستغلال كل شبر من الأراضي الزراعية بأقصى ما تدل عليه هذه الكلمة كذلك استغلال كل قطرة ماء ممكنة في قطرنا حتى نحافظ على مستوى معاشي لائق لكل إنسان في هذا البلد.

٢ ــ رأس المال:

وهو وسيلة ضرورية لتحقيق زيادة في الإنتاج الزراعي، ولا تتم الزراعة إلا إذا توافرت الآلات والمعدات والأسمدة، كما أن مكافحة الحشرات واستصلاح الأراضي وإقامة المنشآت المائية وغيرها من العمليات الزراعية تحتاج لرؤوس أموال كبيرة،

فالفلاح لا يمكنه أن يقوم بهذه المسائل بمفرده، ودون تقديم المال اللازم للفلاحين يبقى إنتاجهم في حدود الكفاية الذاتية، من هنا كان اهتمام الحكومة السورية بتقديم القروض اللازمة للفلاحين وتقديم المساعدات العينية والنقدية والإرشاد الزراعي لتمكنهم من تدبير متطلبات الزراعة من أجل زيادة الإنتاج وتحسينه، علما بأن هذه القروض تعطى بفوائد قليلة لا تتعدى ٥.٥٪ بالنسبة للقطاع الخاص و٤,٥٪ بالنسبة للقطاع التعاوني. إن إلقاء نظرة على ما قدمته الدولة من قروض للقطاع الزراعي خلال السنوات القليلة الماضية ترينا مدى الاهتمام بهذا القطاع. (الجدول رقم ٧).

جدول (٧)

قروض المصرف الزراعي التعاوني حسب القطاعات ١٩٩٠ ــ ١٩٩٤ بملايين الليرات السورية [١٨]

السنوات	القطاع العام	القطاع التعاوني	القطاع الخاص	الإجمالي
١٩٩٠	١٢٣	٣٩٥٧	٤٥١٨	٨٥٩٨
١٩٩١	١٣٧	٣١٩٥	٦١٦٢	١١٦٨٥
١٩٩٢	١٢٧	٥٧١٧	٧٤٧٤	١٣٣١٨
١٩٩٣	٩٠	٥٧٤٧	٧٥٨٦	١٣٤٢٣
١٩٩٤	١١٠	٦٥٨٠	٧٨١١	١٤٥٠١

يتبين لنا من الجدول أعلاه أن قيمة القروض الزراعية قد زادت بنسبة ١٦٨,٦٥٪ خلال خمس سنوات، ومع ذلك فإن الفلاحين يرون أن مقدار تلك القروض غير كافية لتلبية الاحتياجات الضرورية اللازمة للنهوض بالمسألة الزراعية كما يجب، إضافة إلى ذلك هناك ثمة عوائق في الاستلاف من المصرف الزراعي أمام القطاع التعاوني

غير موجودة لدى القطاع الخاص، الأمر الذي يحد من استلاف الفلاحين التعاونيين رغم وجود فوارق في نسبة الفائدة، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن عدم كفاية القروض تدفع بالفلاحين للوقوع فريسة في أيدي التجار والمرابين الذين يستثمرون أولئك الفلاحين، يضاف لهذا وذاك مشكلة التكافل والتضامن بين أعضاء الجمعيات التعاونية، حيث أن وجود فلاح واحد مدين من بين أعضاء الجمعية التعاونية يؤدي إلى توقيف تمويل الجمعية مهما بلغ عدد أعضائها ومساحتها ونوعية زراعتها [١٩]. وفي كل الأحوال لا بد من إيجاد الحلول المناسبة لهذه المسائل لكي تسهم القطاعات الزراعية المختلفة إسهاما فعالا في زيادة الإنتاج الزراعي بمختلف فروعه.

و من أجل تشجيع القطاعات الإنتاجية المختلفة ومنها القطاع الزراعي، كان قانون الاستثمار رقم ١٠ لعام ١٩٩١م وقد بلغ عدد المشاريع الزراعية الاستثمارية التابعة لوزارة الزراعة حتى منتصف عام ١٩٩٥م عشرين مشروعا زراعيا استثماريا كلفتها التقديرية ١٧١٧٧ مليون ليرة سورية أو ما نسبته ٧,٢٪ من مجموع أموال مشاريع الاستثمار[٢٠]، وبالرغم من أن نسبة مشاريع الاستثمار الزراعي لا تتعدى ١,٥٣٪ من مجموع المشروعات الاستثمارية البالغ عددها ١٣٠٠ مشروعا ومع ذلك فهي تسهم في تطوير الإنتاج الزراعي.

٣ ـ السوق:

لعامل السوق أهمية كبيرة في مجال الإنتاج الزراعي إذ إن تركز السكان في المدن يفرض على المناطق المجاورة لها القيام بزراعات كثيفة تلبي متطلبات سكان هذه المدن من السلع الزراعية، ونتيجة لتزايد السكان أخذت معظم دول العالم تعي أهمية السوق والطلب على المواد الغذائية، مما دفعها لزيادة الرقعة الزراعية لإنتاج محاصيل تجارية وبالتالي بدأت تعمل على زيادة إنتاجها من هذه المحاصيل، ولعامل السوق أهميته الخاصة كونه يشكل حلقة الوصل بين المنتج والمستهلك، ويعد عامل السوق من

أعقد حلقات المسألة الزراعية لأن السلع المنتجة تتجاوز عمليات متعددة حتى تصل إلى السوق، وتؤثر عملية التسويق في مستوى حياة الفلاحين وحجم الإنتاج وتركيبه.

وفي القطر العربي السوري ثلاثة أشكال للتسويق الزراعي هي:

أ ـ التسويق الحكومي. ب ـ التسويق التعاوني. جـ ـ التسويق الخاص.

تهدف جميعها إلى حماية المنتج والمستهلك معا وإمداد الجهات العامة بحاجتها من السلع الزراعية، حيث يمارس القطاع العام (أي الحكومي والتعاوني) دورا رئيسا في تسويق الحاصلات الزراعية وذلك من خلال المؤسسات التابعة للدولة مثل المؤسسة العامة لتجارة وتصنيع الحبوب، مؤسسة حلج وتسويق الأقطان، المؤسسة العامة للتبغ، المؤسسة العامة للصناعات الغذائية، الشركة العامة للخضار والفواكه، الشركة العامة للحوم ، شركة الخزن والتبريد، المؤسسة العامة للأعلاف [٢١].

هذا ولا يقل التسويق التعاوني أهمية عن التسويق الحكومي بل إنه يقدم مكافآت وحوافز للفلاحين الذين يسوقون محاصيلهم الزراعية عن طريق الجمعيات التعاونية، أما التسويق الخاص فإنه يعاني من العديد من المشكلات أقل ما يقال عنها: إن السماسرة والتجار يحاولون دائما أن ينالوا من الفلاح عن طريق العمولة والسمسرة وغيرها من الأمور التي تجري في أسواق الهال وأمام عيون المنتجين. وهذا ينعكس سلبا على المستهلكين على شكل أسعار مرتفعة يدفعونها ثمنا لحاجاتهم من المواد الغذائية، لذلك بدأ الفلاح السوري يعي أهمية المؤسسات الحكومية والتسويق التعاوني فنراه يسعى جاهدا لتسليم محصوله لهذه المؤسسات كي لا يقع فريسة للسماسرة والتجار.

٤ ـ التقدم العلمي والتكنولوجي:

يلعب التقدم العلمي والتطور التقاني دورا فعالا ومؤثرا في عملية زيادة الإنتاج الزراعي، وبفضل التقدم العلمي والتكنولوجي استطاع الإنسان أن يحد من تأثير العوامل البيئية المحيطة، وقد استطاع أن يقيم المدرجات على السفوح وأن يستصلح

التربة ويقيم المنشآت المائية كالسدود والأقنية، وتمكن من زيادة رقعة المساحات المروية وبفضل تقدم العلوم أخذ يحسن السلالات الحيوانية وأن يدخل محاصيل زراعية جديدة عن طريق التجارب الزراعية والتهجين في مجال الثروة الحيوانية، إضافة لذلك فإن استخدام الآلة في مجال الزراعة وفر جهدا ووقتا كبيرين.

ومما لا شك فيه فقد لعبت الآلة الزراعية دورا متميزا في مجال التطور الزراعي السوري، ويوما بعد يوم يزداد الاهتمام باعتماد الزراعة السورية على الآلات الزراعية الحديثة لما له من فوائد جمة، وقد أنشأت الدولة شركة الفرات للجرارات وأحدثت المؤسسة العامة للمكننة الزراعية، كما أنشأت مراكز البحوث الزراعية للغلات الرئيسية كالقطن والقمح ومؤسسة إكثار البذار وافتتحت الكليات الزراعية في جامعات القطر كافة وأحدثت المعاهد المتوسطة الزراعية، كل ذلك من أجل تحسين وزيادة الإنتاج وتأمين الكادر العلمي للسير بالمسألة الزراعية قدما ومن خلال تتبعنا لتطور العدد المكنية الزراعية خلال السنوات القليلة الماضية يتضح لنا مدى الأهمية التي يحظى بها هذا القطاع (جدول رقم ٨).

جدول (٨)

تطور بعض أنواع الآلات المستخدمة بالزراعة ١٩٩٠ ــ ١٩٩٤ [٢٢]

السنوات	جرارت أقل من قوة ٥٠ حصان	جرارت أكثر من قوة ٥٠ حصان	محاريث حديثة	حصادات آلية	مباذر
١٩٩٠	١٧٩٥٤	٥٢١٤٤	٨١٤٣٦	٤١٣١	٨٨٧٣
١٩٩١	١٨٩٣٤	٤٦٦٦٠	٨٠٢٧٨	٣٠٦٨	٨٢٦٥
١٩٩٢	٢٠٣٠٢	٤٩٠٥٠	٨١٧٤٩	٣٤٣٩	٩٥٠٢
١٩٩٣	٢٢٠١٧	٥٠٧٦٥	٨٤٢٤٨	٤٧٩٨	٩٥١٦
١٩٩٤	٢٣٥٤٧	٥٢٦٠٣	٨٨٣٠٥	٥٠٤٧	١١٤٤٦

وبهدف زيادة الإنتاج فقد وفرت الدولة العديد من مستلزماته الضرورية مثل الإرشاد الزراعي الذي يهدف لنقل استخدام الأساليب التقانية في مكافحة الآفات الزراعية واستخدام الطرائق المثلى في الري واستخدام الأسمدة والبذار وغيرها إلى الفلاحين. بحيث بلغ عدد الوحدات الإرشادية الزراعية في عام ١٩٩٤م ٧٨٤ وحدة إرشادية تضم ما يزيد عن أربعة آلاف فني زراعي [٢٣].

ومما لا شك فيه فإن استخدام الطرق الحديثة الفنية في الزراعة سيؤدي إلى الإقلال من تكلفة الإنتاج وهذا سيوفر دخلا إضافيا ينعكس بالتالي على حياة المزارعين ورفع مستوى حياتهم المعيشي كما أن استخدام الأسمدة بمختلف أنواعها يعد من العوامل الهامة في زيادة الإنتاج حيث بلغت كميات الأسمدة الموزعة على المزارعين ومن مختلف الأنواع كما هو مبين في الجدول التالي: (الجدول ٩).

جدول (٩)

تطور استخدام الأسمدة بمختلف أنواعها من عام ١٩٩٠ــ١٩٩٤ [٢٤]

السنوات	آزوتية (طن)	فوسفاتية (طن)	بوتاسية (طن)	مركبة (طن)	عناصر أخرى (طن)	المجموع
١٩٩٠	٣٨٣٣١٤	٢٢٧٥٧٦	٩٠٢٧	٢٠٣٣	١٧	٦٢٧٩٦٧
١٩٩١	٤٧٦٦٦٦	٢٨٧٩٦٤	١٥٧٥٠	١٥٥٤	١٤	٧٨١٨٤١
١٩٩٢	٥٧٣٢٠١	٣٢٠٧٠٩	١٥٢٣٣	٣٣٩	١٥	٩٠٩٤٩٧
١٩٩٣	٥٦٩٠٧٤	٣٢١٠٩٥	١١٩٣١	٢٢	١٤	٩٠٢١٣٦
١٩٩٤	٥١٩١٠١	٢٧١٣٤١	١٢١٠٩	١٣٢٨٩	١٥٠٩٠	٨٣٠٩٣٣

٥ ـ وسائط النقل وطرق المواصلات:

تعد وسائط النقل المختلفة وطرق المواصلات أحد العوامل الهامة في زيادة الإنتاج الزراعي، فهي تربط مناطق الإنتاج بمواقع الاستهلاك وبمساعدتها يمكن أن تدخل مساحات جديدة من الأراضي في حيز الاستثمار الزراعي، كما أن هناك العديد من المحاصيل الزراعية غير المرنة يحتاج نقلها لوسائط نقل سريعة قبل أن يصيبها التلف، وقد حظي قطاع النقل والمواصلات السوري بأهمية كبيرة بخاصة بعد عام ١٩٧٠ حيث أكدت الدولة على أهمية هذا القطاع ودوره في تفعيل دور جميع القطاعات الاقتصادية والخدمية وأصبح في القطر العربي السوري شبكة من طرق المواصلات البرية تربط جميع المحافظات بعضها ببعض، وتيسر نقل الركاب والحاصلات الزراعية من مواقع الإنتاج إلى مختلف المدن السورية، كما مدت شبكة من السكك الحديدية العريضة تتمتع بكل المواصفات الدولية، وتم تحديث القاطرات لتقوم على تخديم الإنتاج السلعي وتمكن من نقل الركاب ومحاصيل الحبوب والمشتقات النفطية والمواد الغذائية وغيرها، وجرى تحديث المطارات الجوية وتزويدها بأسطول حديث، وحدثت الموانئ البحرية وتم تزويدها بالمعدات الحديثة أيضا، وبمقارنة أطوال الطرق البرية والشاحنات المختلفة تبين لنا التطور الذي وصل إليه هذا القطاع ففي عام ١٩٧٠ كان هناك ١٧٤٨٣ سيارة شاحنة و١٢٩٢ شاحنة تعمل على الخطوط الحديدية ارتفع هذا العدد عام ١٩٩٥ إلى ١٨٦٢٣٠ سيارة شاحنة و٤٣٢١ شاحنة تعمل على الخطوط الحديدية، [٢٥] أما أطوال الطرق البرية فقد زادت أطوالها كما هو موضح بالجدول التالي (جدول رقم ١٠).

جدول (١٠)

تطور أطوال الطرق البرية والسكك الحديدية في الجمهورية العربية السورية ١٩٨٠ ــ ١٩٩٤ (كم) [٢٦]

أنواع الطرق	١٩٨٠	١٩٨٥	١٩٩٠	١٩٩١	١٩٩٢	١٩٩٣	١٩٩٤
إسفلتية	١٢٩٦٩	٢٠٧٣ ٢	٢٣٧٧ ٩	٢٤٣٧ ٥	٢٥٨٨ ٧	٢٦٢٩ ٩	٢٦٩٩ ٣
معبدة	٤١٧٢	٥٤٦٧	٧٣٠٥	٧٤٣١	٧٣٦٥	٧٩١٠	٨٣٨٤
ممهدة	٢٦٧٨	٢١٩٧	٢١٢٩	٢١٥٠	٣٠٠٣	٢١٦٨	٢٠٩٨
السكك الحديدية*	٢٠١٧	٢٠١٣	٢٢٣٨	٢٣٤٢	٢٣٤٢	٢٣٤٢	٢٣٤٢

٦ ــ سياسة الدولة الزراعية:

تتدخل حكومات الدول وعلى مختلف نظمها السياسية في الزراعة، وتتبع أهمية تدخل الحكومة السورية في الزراعة من أهمية هذه المسألة من جهة ومن الأسباب الموجبة لهذا التدخل سواء كانت أسباب اقتصادية أم اجتماعية أم سياسية من جهة أخرى. فالدولة بما تملك من إمكانات مادية وإدارية تستطيع أن توجه الزراعة الوجهة التي تخدم مصلحتها ومصلحة المجتمع، لأن المزارعين فرادى أو جماعات لا يستطيعون أن يقوموا بما تقوم به الدولة لتأمين متطلبات الزراعة بالمعنى الواسع لهذه المتطلبات وتختلف سياسة الدولة الزراعية بين فترة زمنية وأخرى، فقبل ثورة آذار عام ١٩٦٣ لم نلمح أثرا واضحا لتدخل الدولة في المسألة الزراعية إذا استثنينا قانون الإصلاح الزراعي رقم ١٦١ لعام ١٩٥٨م. بعد ذلك العام ظهر التدخل الحكومي بشكل جلي وحصل تغيرا كبيرا في تاريخ المسألة الزراعية السورية إذ عدل قانون الإصلاح الزراعي بما ينسجم ومصلحة الفلاح السوري، وأهداف الثورة، ووزعت أراضي بعض القرى على الفلاحين، وأقيمت الجمعيات التعاونية الزراعية، ومزارع الدولة،

*أطوال الشبكة الحديدية في سورية عام ١٩٧٠ لم تكن سوى ٧٣٣ كم.

وبدأت الحكومة بوضع الخطط الزراعية وأنشئت بعض السدود ومدت أقنية للري وقدمت القروض...وغيرها، مع ذلك كان تطور القطاع الزراعي بطيئاً وهذا مرده لأسباب عدة منها أن ما قدم للقطاع الزراعي من أموال لم يكن كافياً لإحداث تطور زراعي كبير من ناحية ولأن الأجهزة الإدارية التي أوكل إليها الإشراف على تنفيذ خطط الدولة الزراعية لم تكن على مستوى المسؤولية من ناحية أخرى. يضاف إلى ذلك نقص الأطر الزراعية المؤهلة وتخلف البنية الزراعية السورية آنذاك [٢٧].

ومنذ عام ١٩٧٠ شهدت الزراعة السورية تطوراً ملحوظاً حيث عدلت قوانين الإصلاح الزراعي السابقة بما يخدم مصلحة الفلاح السوري ويراعي خطط الدولة الزراعية، واستكمل توزيع الأراضي على الفلاحين وأحدثت مؤسسات عدة لتطوير الزراعة وتأهيل الأطر وزادت قيمة الأموال الموظفة لخدمة القطاع الزراعي، وغدا تطبيق شعار الاعتماد على الذات حقيقة واقعة بحيث أصبح القطر العربي السوري في طليعة دول العالم التي يمكن القول إنها قطعت مسافة كبيرة في تحقيق أمنها الغذائي.

ثانياً: مشكلات الزراعة السورية:

رأينا فيما تقدم أهم المقومات الطبيعية والبشرية المؤثرة في الزراعة السورية، والآن سنتعرض لأهم المشكلات التي تعاني منها الزراعة في هذا القطر، هذه المشكلات تتمثل في تملح التربة الزراعية والتصحر وزحف السكن على الأراضي الزراعية وتفتت الحيازة والمكننة الزراعية ثم مشكلة التسويق وأسعار المحاصيل.

١ـ تملح التربة:

تعد مشكلة تملح التربة إحدى أهم المشكلات التي تعاني منها الزراعة في سورية، وتملح التربة يعني خروج آلاف الهكتارات من نطاق الاستثمار الزراعي، عدا عن هذا فإن استصلاح الأراضي المتملحة ووضعها ثانية في حيز الاستثمار يعد من العمليات المجهدة والمكلفة في آن معاً، وأغلب ما يحدث تملح التربة في الأراضي المروية والخصبة، فإذا ما علمنا أن مساحة الأراضي المروية لا يتعدى ٥,٩٪ من مجموع

المساحة الكلية للقطر، أدركنا أهمية هذه المشكلة وخطرها على الزراعة السورية، بخاصة وأن مواقع التملح تمتد إلى الأراضي الزراعية المروية الخصبة في كل من وادي الفرات وسهلي الغاب والروج وفي بعض المواقع من سهولنا الساحلية.

ففي وادي الفرات مثلاً تشير الإحصاءات الصادرة عن المؤسسة العامة لاستثمار وتنمية حوض الفرات إلى تراجع واضح في المساحات المزروعة للمحاصيل الزراعية الاستراتيجية كالقمح والقطن والذرة وأشجار الفاكهة وبعض المحاصيل الأخرى، هذا التراجع يمكن أن يكون أحد أسبابه بقاء قسم من الأراضي سبات للراحة أو إراحة بعضها نتيجة لاتباع دورات زراعية أو بسبب تملح جزء من الأراضي المخصصة للمؤسسة العامة لاستثمار وتنمية حوض الفرات (الجدول رقم ١١).

مساحة أهم المحاصيل لدى المؤسسة العامة لاستثمار وتنمية حوض الفرات
١٩٩١-١٩٩٤ [٢٨]
المساحة/هكتار
الجدول رقم (١١)

المحصول	السنوات			
	١٩٩١	١٩٩٢	١٩٩٣	١٩٩٤
القمح	٧٥٦٥	٥٢٦٠	٤١٦٤	٣٦٨٥
القطن	٢٢١٧	٣٢٦٨	٢٤٧٩	٢١٨٣
الشوندر السكري	٨٠٨	٧٦٨	٥١٩	٦١٠
الذرة الصفراء	٤٥٣٦	٢٧٠٩	١٨٥٨	١٣٥٥
الشعير	٤٤٨	٢٩١	١٨٤	٣١٥
أشجار الفاكهة	٤٦١	٤٦١	٣٨٠	٣٠١
المجموع	١٦٠٣٥	١٢٧٥٩	٩٥٨٤	٨٤٤٩

إنتاج أهم المحاصيل لدى المؤسسة العامة لاستثمار وتنمية حوض الفرات

الإنتاج / طن

١٩٩١-١٩٩٤ [٢٨]

المحصول	السنوات			
	١٩٩١	١٩٩٢	١٩٩٣	١٩٩٤
القمح	١٨٤٦٥	١٤٨٨٤	١٢٣٢١	١٠٨٤٧
القطن	٣٣٢٤	٥٥٦١	٤٦٦٩	٢٨٧٦
الشوندر السكري	١٠٥٨٩	١١١٩٦	١٠٣٣٩	١٣٦٧٢
الذرة الصفراء	٦٥٨٢	٣٢٥١	٢٠٢٢	١٥٧٣
الشعير	٢٦٣	١٣٦	٨١	٢١٥
أشجار الفاكهة	١٢٢٨	١٦٢٣	١٠١٥	٩٨٩
المجموع	٤٤٤٥١	٣٦٦٣١	٣٠٤٤٧	٢٠١٧٢

هذا وكنتيجة لتراجع المساحة بنسبة ٥٢,٦٩٪ في عام ١٩٩٤م عما كانت عليه عام ١٩٩١م فقد تراجع الإنتاج بنسبة ٤٥,٣٨٪ في الفترة المذكورة نفسها، إن هذا التراجع في كل من المساحة والإنتاج سيترتب عليه هدر كبير في الأموال التي أنفقت على بناء السدود والمنشآت المائية واستصلاح الأراضي وعدم تلبية الطموح في الوصول إلى تحقيق الأمن الغذائي بالمعنى الواسع لهذا المفهوم أولاً ثم لإيجاد فائض للتصدير والحصول على أموال إضافية من أجل التنمية الاقتصادية ثانياً، وفي كل الأحوال فإننا نرى أنه من الضرورة بمكان اتباع الأساليب العلمية الحديثة في الزراعة وطرائق الري ومختلف العمليات الزراعية الأخرى من جهة، واختيار أنواع من المزروعات تتلائم مع المناخ والتربة من جهة ثانية لتجنب أهم مشروع اقتصادي في هذا القطر أخطار تملح التربة الزراعية الخصبة ولتبقى تلك الأراضي ضمن مجال الاستثمار الزراعي تقدم الخير والعطاء.

إن التملح بشكل عام وليس في وادي الفرات فحسب يرجع لأسباب عدة ترتبط جميعها بالمياه الجوفية والمناخ، وسبب ارتفاع منسوب المياه الجوفية يعود للعديد من العوامل منها: (٢٩)

أ ــ زراعة المحاصيل التي تتطلب كميات كبيرة من المياه منذ وقت طويل نسبيا كالقطن والخضراوات وأشجار الفاكهة والشوندر السكري، وترافق سقاية هذه المحاصيل مع ارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف خلال اشهر حزيران وتموز وآب، إذ تصل درجة الحرارة إلى ما يزيد عن ٣٥ درجة مئوية مما يؤدي إلى ازدياد كمية التبخر وصعود الأملاح الباطنية المذابة بفعل الخاصة الشعرية إلى سطح التربة على شكل تزهيرات ملحية.

ب ــ الري بالغمر غير المنظم للمحاصيل الزراعية الصيفية (قطن، شوندرسكري، خضراوات، أشجار فاكهة... وغيرها) بخاصة في المواقع التي تتوافر فيها مياه الري وهذه الطريقة تستهلك كميات كبيرة من المياه مما يوصل التربة إلى حالة الإشباع الرطوبي وتجمع المياه فيها، مما يقلل من فعالية التصريف بسبب بنية التربة الطينية الثقيلة.

جـ ــ تؤدي مياه الأمطار والسيول المتجمعة في قيعان الوديان عديمة التصريف في فصل الشتاء إلى ارتفاع نسبة المياه تحت السطحية في الأراضي الزراعية ، لاسيما أن هذه السيول تأتي من أماكن بعيدة حاملة معها الكثير من الأملاح نتيجة لمرورها فوق أنواع متعددة من الصخور المتحللة، وخلال الفصل الحار تزداد كمية التبخر مما يؤدي إلى صعود هذه الأملاح إلى التربة والسطح وذلك بوساطة الخاصة الشعرية والنظام الرطوبي التصريفي للتربة.

د ــ عدم اتباع دورات زراعية بشكل منتظم إذ نجد تناوب محصولين أساسيين هما القطن والقمح وفي أحيان كثيرة يقتصر المزارع على زراعة محصول واحد ولسنوات متعددة، وهذا يرتب عليه زيادة كمية الأسمدة الكيميائية، ظنا منه بأنه

كلما زادت كمية الأسمدة يزداد الإنتاج، ومعظم هذه الأسمدة تدخل كميات من الأملاح في تركيبها وعند سقاية الأراضي في الفصل الحار تذوب هذه الأملاح وتهبط إلى الأسفل حتى تصل التربة تحت السطحية القاسية حيث تشكل طبقة رقيقة، وبنتيجة ارتفاع درجة الحرارة وبفعل النظام الرطوبي والخاصة الشعرية ترتفع هذه الأملاح إلى التربة والسطح مما يؤدي إلى إنهاك التربة وتدني نسبة خصوبتها ـ حسب قانون استنزاف خصوبة التربةـ وارتفاع نسبة الملوحة في التربة السطحية وتدني نسبة الإنتاج.

هـ ـ لا يقتصر تأثير تملح التربة على الأراضي بل يتعداه إلى الفلاح ذاته فعندما يجد أن ما تنتجه أرضه لا يعادل الجهد الذي بذله والأموال التي يقدمها من أجور للفلاحة وأسعار للبذار والأسمدة والمبيدات الحشرية والعشبية، وأنواع العناية الأخرى كالري والجني وغيرها، ولم يعد الإنتاج يكفيه وأسرته مما يضطره لترك أرضه أو تأجيرها ثم الهجرة والبحث عن عمل آخر.

٢ ـ التصحر:

إن التصحر من المشكلات التي تؤثر سلبا في الزراعة والإنتاج الزراعي السوري سواء ما يتعلق منه بالمحاصيل أو الثروة الحيوانية، والتصحر يعني انحسار النبات كليا أو جزئيا في المناطق القاحلة وشبه القاحلة والأراضي الجافة وكذلك تقهقر حالة الأراضي الزراعية وتدني انتاجيتها، ينتج التصحر عن عوامل مختلفة منها ما يتعلق بالعوامل الطبيعية كطبيعة التربة وتأثرها بالعوامل المناخية كالحت الريحي والحت المائي ثم انتقال ذراتها بوساطة الهواء أو مياه السيول والأمطار، ومنها ما يرتبط بعوامل بشرية كالاستثمار غير العقلاني للتربة والغطاء النباتي من خلال التملح والرعي الجائر والاحتطاب والزراعة البعلية في الأراضي الجافة والتي تقل كميات الأمطار السنوية فيها عن ١٥٠ ـ ٢٠٠مم، وتشير البيانات إلى أن أكثر من ١٨٪ من مساحة القطر متأثرة بنوع أو بآخر من حالة تدهور التربة [٣٠] وهذه نسبة عالية إذا

ماعلمنا بأن نسبة الأراضي القابلة للزراعة في سورية لا تتجاوز ٣٢٪ من المساحة الكلية.

٣ ـ زحف السكن على الأراضي الزراعية:

إذا كانت بعض العوامل البشرية المسببة للتصحر مثل فلاحة أراضي البادية وزراعتها أو الرعي الجائر والاحتطاب...وغيرها، يجري في مناطق جافة وشبه جافة فإن مشكلة زحف السكن وفي معظمها إن لم تكن كلها تتم في المواقع الزراعية المروية والخصبة بشكل رئيسي بحيث تتحول مساحات شاسعة من الأراضي الخصبة كانت تقدم للإنسان آلاف الأطنان من الخضار والفاكهة والمحاصيل الزراعية الاستراتيجية الأخرى إلى غابات أسمنتية، فحول مدينة دمشق كما تشير بعض المراجع [٣١] كانت المساحة الزراعية أكثر من ٣٠ ألف هكتار أصبحت هذه المساحة مهددة بالاندثار والزوال نتيجة للتوسع في البناء على حساب الأراضي الزراعية في المدينة، وفي سهل الغاب الزراعي وفي الأراضي الخصبة والمروية يلاحظ بوضوح زحف الأبنية السكنية وغير السكنية على تلك الأراضي وقد بلغت المساحة التي تشغلها الأبنية والمرافق الأخرى في هذا السهل ما مقداره ١٠٥٣١ هكتار[٣٢] علماً بأن أعمال البناء تتم في معظمها في الأراضي المروية التي لا تزيد مساحتها عن ٧١٠٣٠ هكتار من مساحة هذا السهل.

نلاحظ على مستوى القطر بأن المساحة التي تحتلها الأبنية السكنية والمرافق العامة تزداد من عام لآخر ففي مطلع السبعينات لم تكن المساحة التي تشغلها الأبنية والمرافق سوى ٢٣٦ ألف هكتار ارتفعت في عام ١٩٨٥ إلى ٤٠٢ ألف هكتار ووصلت في عام ١٩٩٤ إلى ٦٠٦ ألف هكتار [٣٣]. يتضح لنا من خلال هذه المؤشرات أن مشكلة زحف الأبنية والتعدي على الأراضي الزراعية لا تقل خطورته عن المشكلات الأخرى ولابد من معالجة هذه المشكلات معالجة جذرية وأساسية لكي نحافظ على رقعة الأراضي الزراعية لتسهم في التنمية الشاملة والمستديمة.

٤ ـ مشكلة تفتت الحيازة الزراعية:

إن تفتت الحيازة الزراعية من المشكلات التي تعاني منها الزراعة السورية، ويرجع تفتت الحيازة إلى عاملين رئيسين:

هما تزايد أعداد السكان من ناحية وقانون الإصلاح الزراعي والميراث من ناحية ثانية، فالأرض تتوزع على أبناء الفلاح وبناته. فعلى سبيل المثال: كان عدد الحائزين الزراعيين في عام ١٩٨١ ما مجموعه ٤٨٥٦٩١ حائزاً [٣٤] وكان عدد الحيازات الأرضية ٣٩٦٢٨٢ حيازة مجموع مساحاتها ٣٥٥٩١٥٨ هكتار منها ٣٣٥٢٦١٥ هكتار في الأراضي القابلة للزراعة وبذلك تكون مساحة الحيازة الواحدة ٨,٥ هكتار، وفي العام نفسه كان عدد القطع الزراعية نتيجة تقسيم الحيازات الزراعية الأرضية ١٧٧٥١٣٤ قطعة وهذه تشكل ٧٥٪ من مجموع المساحة القابلة للزراعة، ومن الطبيعي أن هذا الرقم سيزداد وبالتالي سيتزايد معه تفتت الحيازات مما سيؤدي إلى نتائج متعددة بعضهم يرى أنها إيجابية وآخرون يرون فيها نتائج سلبية، أما النتائج الإيجابية حسب الرأي الأول فهي:

آ ـ التحول إلى الزراعة الكثيفة في كثير من الأحيان.

ب ـ إدخال زراعات جديدة لم تكن معروفة سابقاً كزراعة الأشجار المثمرة.

جـ ـ استصلاح الأراضي بشكل جيد.

د ـ العمل على زيادة خصوبة التربة وزيادة الإنتاجية في الهكتار وزيادة الإنتاج الوطني عامة.

هـ ـ زيادة عمل العاملين في الأراضي.

وأما النتائج السلبية حسب الرأي الآخر فهي:

آ ـ عدم إمكانية استخدام الآلات الزراعية الحديثة بالشكل المطلوب.

ب ـ ازدياد نسبة الهدر سواء من حيث المساحة المزروعة أم في زيادة التكاليف الزراعية.

جـ ــ سهولة انتقال الأمراض والحشرات وصعوبة إمكانية القيام بالمكافحة المتكاملة نتيجة لاختلاف نوعية المحاصيل المزروعة وعزوف بعض المزارعين عن القيام بالمكافحة المطلوبة.

د ــ انخفاض إنتاجية الأرض وعدم تحقيق فائض لدى المزارعين أو كفاية مادية لهم ولأسرهم مما يدفعهم لترك أراضيهم أو لتأجيرها أو الهجرة لمكان آخر، وفي كل الأحوال فإن الخسارة قائمة.

هـ ــ نتيجة لتفتت الحيازات تنشأ نزاعات بين الفلاحين على حدود الأراضي مما يخلق مشكلات اجتماعية متعددة.

ومن الملاحظ أن ظاهرة تفتت الحيازات الزراعية تجد مؤيدين لها من الفلاحين أنفسهم لأن بعضا منهم يستطيع بوسائله البدائية من زراعة ومراقبة أرضه، وبعضهم الآخر يرى أن قطعة الأرض الصغيرة تحقق إنتاجية عالية تتناسب مع الزراعة الكثيفة وتقلل من ساعات العمل الطويلة.

٥ ــ مكننة الزراعة والإنتاج:

المكننة الزراعية تعني استخدام الآلة بدلا من الإنسان والحيوان في العمليات الزراعية، ومما لا شك فيه فإن استخدام الآلة الزراعية ذو تأثير كبير في زيادة الانتاج، ولاستخدام الآلة الزراعية آثار إيجابية متعددة، فهي تساعد على اتساع الرقعة الزراعية، وتؤدي إلى السرعة في إنجاز العمليات الزراعية، وتقلل من الحاجة للأيدي العاملة، وتختصر الوقت والجهد، وتخفض من تكاليف الإنتاج ولكن إن لم يحسن استخدامها فقد يترتب على ذلك مشكلات عدة كارتفاع نسبة البطالة وانفاق أموال طائلة لشرائها وصيانتها واصلاحها، كما أن الاستخدام الخاطئ والجهل في التعامل معها يؤديان في أحيان كثيرة لحوادث تضر بالبيئة وبالفلاح والإنتاج معا [٣٥] لقد بدأ استخدام الآلات الزراعية في الأراضي السورية بعد الحرب العالمية الثانية، وكان

على نطاق ضيق ومحدود، وفي مطلع الخمسينات وبداية الستينات تزايد استخدامها على نطاق واسع[٣٦] وزادت أعدادها بشكل كبير كما يظهر ذلك من الجدول رقم ١٢.

الجدول (١٢)

تطور أطوال الطرق البرية والسكك الحديدية في الجمهورية العربية السورية ١٩٨٠ ــ ١٩٩٤ (كم) [٢٦]

تزايد أعداد بعض الآلات الزراعية من عام ١٩٤٦ ــ ١٩٧٠[٣٧]

نوع الآلة	١٩٤٦	١٩٥١	١٩٦٣	١٩٧٠
جرارات	٢٠٢	٧٦٠	٦٦٩٨	٩٠٣١
حصادات	٢٢٢	٧٦٨	١٥٦٦	١٣٢٨
مضخات	٣١	٥٦٢٦	٢٠٩٩٠	٢٩٠٤٢

إن هذه الزيادة في أعداد الآلات الزراعية لم يكن ليحقق طموح المزارعين وتقليل جهودهم ورفع مستوى معيشتهم بقدر ما كان يحقق الربح الوفير لمالكي تلك الآلات وهم أصحاب رؤوس الأموال والإقطاعيين وأغنياء الريف.

ويوما بعد يوم تزايد الاهتمام بالآلات الزراعية، ظهر هذا جليا في توجيهات الدولة لمكننة العمل الزراعي حيث تأسست شركة الفرات لصناعة الجرارات وأحدثت المؤسسة العامة للمكننة الزراعية وتم إحداث وتجهيز ورش لصيانة وإصلاح الآلات الزراعية بمختلف أنواعها بخاصة منذ عام ١٩٧٥ كما يظهر الجدول التالي:

جدول (١٣)

تطور بعض الآلات الزراعية من ١٩٧٥-١٩٩٤[٣٨]

نوع الآلة	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨٥	١٩٩٠	١٩٩٤
جرارات حصادات بمحرك مباذر مضخات محارث حديثة	١٥٣٠٣ ١٦٠٧ ١٩٠٣ ٤٠٤١٦ ٢٠٢٥٣	٢٧٥٤٤ ٢٢٤٤ ٣٤٨٣ ٤٧٢٠٦ ٣٥٢٤٥	٤٣٩٥٩ ٢٩٧٦ ٥٤٤٢ ٧٣٣١٥ ٦٠٢٨١	٧٠٠٩٨ ٤١٣١ ٨٨٧٣ ١٠٣٤٥٣ ٨١٤٦٣	٧٨١٥٠ ٥٠٤٧ ١١٤٤٦ ١٤٣٠١ ١ ٨٨٣٠٥

يتبين لنا من خلال الجدول السابق الزيادة الكبيرة التي طرأت على تزايد أعداد أنواع الآلات الزراعية المستخدمة، ومع ذلك فإن هذه الأعداد لا تتناسب مع الاحتياجات لأن الأعمال الزراعية لا تقتصر على مثل هذه الآلات وهناك أنواع أخرى من الآلات كالقاطرات والشاحنات وآلات تسوية الأرض مثل البلدوزرات والجرافات وغيرها وهي ضرورية لاستكمال تطور الزراعة. وإن النقص في وجود آلات زراعية متخصصة يؤدي إلى خلل في مستوى مكننة إنتاج المحاصيل الزراعية الرئيسة، وفي مجال الأعمال الزراعية للمحاصيل الزراعية الصناعية، كالقطن والشوندر السكري ومحاصيل الخضراوات فإن استخدام الآلة الزراعية يقتصر على المراحل الأولى، أما باقي الأعمال الأخرى فإنها تعتمد على الأيدي العاملة الزراعية وهذه تعد مشكلة للمزارعين بخاصة عند قطاف القطن أو جني محصول الشوندر السكري أو قطاف الزيتون أو غيره، وحتى في عملية حراثة الأراضي فإن هناك نقصا في عدد هذه الجرارات. إذ نجد أن حصة الجرار الواحد من الجرارات التي يعتمد عليها في عملية الحراثة تصل إلى أكثر من ١٠٠٠ دونم علما أن هناك كثيرا من الجرارات خاصة من قوة أقل من ٥٠ حصانا نادرا ما تقوم بحراثة الأرض إنما توجه لأعمال أخرى، كما أدى توقف شركة الفرات لصناعة الجرارات منذ عام ١٩٨٥ وحتى عام ١٩٩٤ وعدم استيراد الدولة للجرارات الزراعية إلى دخول أنواع عدة من الجرارات القديمة على أنها خردة، وقد حقق تجار هذه الآليات ربحا كبيرا ببيعها للمزارعين بعد إصلاحها وتسييرها، هذه الجرارات لم يكن لها أية فاعلية تذكر لأنها قديمة ومهترئة بل يمكن القول إنها أنهكت المزارعين من خلال إنفاق أموال كثيرة على إصلاحها وعدم قدرتها في الأعمال الزراعية، وعندما عادت شركة الفرات لصناعة الجرارات للإنتاج في عام ١٩٩٣ كانت قد ارتفعت أسعار الجرارات كثيرا ولم يعد بإمكان الفلاح الفقير من اقتناء هذه الآلة عدا عن العدد المكنية (أدوات الحراثة ـ والتسوية ـ والبذار والزراعات ـ والنقل...وغيرها)، التي تلزمها مما جعل امتلاكها حكرا على الفلاحين

الأغنياء الذين عادوا لفرض أجور مرتفعة للأعمال الزراعية على من لا يملكون تلك الآلات.

لقد قدم اتحاد الفلاحين بعض الجرارات إلى الجمعيات التعاونية ولكنها لم تكن لتحقق الغاية المرجوة منها بسبب ارتفاع أسعار خدماتها والطريقة الخاطئة بأسلوب إدارتها والهدر الكبير في أوقات عملها مما يقلل من فاعليتها.(٣٩)

في كل الأحوال فإن زيادة الإنتاج الزراعي ترتبط وبشكل مباشر باستخدام المكننة ولابد لهذا الاستخدام من اتباع الطرائق العلمية العقلانية في مختلف مراحله. وذلك للاستفادة الممكنة من تلك المعدات بمختلف أنواعها وأشكالها ولا بد من المحافظة عليها وصيانتها واتباع الأساليب العلمية في التعامل معها من أجل تحقيق الجدوى الاقتصادية والغاية المرجوة.

٦ ـ التسويق وأسعار المنتجات الزراعية:

إن تسويق الحاصلات الزراعية وتحديد أسعارها من الحلقات الهامة في المسألة الزراعية التي تؤثر في الزراعة والإنتاج الزراعي، ويجب أن نفرق هنا بين كل من مفهومي السوق والتسويق، فالسوق يعني الطلب على سلعة ما وحجم السوق يعني حجم الطلب، أما التسويق فيتضمن كل الأنشطة التي تتم فيما بين نقطة الانتاج الزراعي وحتى تصبح السلعة بين أيدي المستهلكين، وتؤثر عملية التسويق في حياة المزارعين من جهة وفي تطور الزراعة ذاتها من جهة أخرى، وفي القطر العربي السوري يأخذ تسويق الحاصلات الزراعية أشكالا ثلاثة هي التسويق الحكومي، والتسويق التعاوني، والتسويق الخاص. يهدف الشكلان الأولان إلى حماية المنتج والمستهلك وكذلك إمداد الدولة بما تحتاجه مؤسساتها من السلع الزراعية المختلفة، ومن المعروف أن للسلع الزراعية خصوصية متميزة عن السلع الأخرى وهذه الخصوصية لها تأثيرها في عملية التسويق، فالإنتاج الزراعي يأتي من وحدات

إنتاجية متفرقة، وهو كبير الحجم، وفي معظم الأحيان فإن هناك مسافة طويلة بين مراكز الإنتاج ومواقع الاستهلاك إضافة لتعدد الوسطاء في هذه العملية، فمن ناحية التسويق الحكومي فإنه يلعب دورا رئيسا وأساسيا في تسويق المحاصيل الزراعية الاستراتيجية مثل القمح والشعير والقطن والشوندر السكري والتبغ، وقد أنشأت الدولة مجموعة من المؤسسات والشركات الخاصة بها لتسويق هذه المحاصيل وتحديد أسعار هذه المنتجات يتم من قبل المجلس الزراعي الأعلى مسبقا، وهذا يشجع على زيادة الانتاج، أما من ناحية التسويق التعاوني فإن دوره ينحصر في المحاصيل المسوقة من قبل الحكومة، ويقتصر دور التنظيم الفلاحي على منح شهادة منشأ للمحاصيل المسوقة تعاونيا كما ويشارك في لجان الاستلام وتنظيم الدور ويتم التسويق باسم الجمعية، أما التسويق الخاص فيقوم كل فلاح بتسويق إنتاجه كما يشاء ولمن يشاء وأكثر ما ينتشر هذا الشكل في تسويق المنتجات الحيوانية والخضار والفاكهة وبعض أنواع الحبوب كالحمص والكمون والسمسم وغيرها. هنا يكون إرتباط الفلاح المباشر مع تاجر سوق الهال الذي يقوم ببيع هذه المحاصيل على حساب الفلاح، ويعد هذا التاجر هو الرابح الأكبر سواء ارتفعت أسعار المنتجات أو تدنت، وفي كثير من الأحيان تتلف كميات من المنتجات الزراعية دون أن يتمكن صاحبها من بيعها.

إن مشكلة التسويق من أعقد المشكلات التي يعاني منها الفلاح لأنها وفي أغلب الأحيان تتم في ظروف غير متكافئة، فعدا عن ارتفاع كلفة الإنتاج ومستلزماته، وما يقدمه الفلاح من جهد خلال العام تأتي أجور النقل المرتفعة خلال مواسم الجني والانتظار لعدة أيام أمام مراكز الاستلام وأحيانا يتعرض المحصول لخطر الحريق وغيره من الأخطار الأخرى. يضاف لهذا تحديد أسعار المنتجات غير الإستراتيجية كالخضار بكل أنواعها وأصنافها وبعض أنواع الحبوب وثمار الفاكهة وغيرها، حيث تحدد أسعار هذه المنتجات من قبل تجار سوق الهال والوسطاء، وهنا تتفاوت الأسعار بين يوم وآخر وموقع وأخر وسنة وأخرى، وفي كل الحالات فإن تجار هذا السوق

ومعهم الوسطاء والسماسرة لا يأخذون بعين الاعتبار تكاليف الإنتاج وجهد المنتج أو حاجة السوق الاستهلاكية ومصلحة المستهلك، بل يضعون الأسعار التي تلائم مصالحهم، فنجد تفاوتاً كبيراً في سعر السلعة التي يبيعها المنتج والسعر الذي يدفعه المستهلك للسلعة نفسها، قد يصل في بعض الأحيان ما بين ٣ ـ٤ مرات، وفي كلا الحالتين فإن الرابح الوحيد هم تجار السوق والوسطاء، بينما تكون الخسارة على كل من البائع والمستهلك، لقد أشرفت الدولة كلياً على تسويق الحاصلات الاستراتيجية الصناعية منها والغذائية، أما محاولتها في الإشراف على بعض المحاصيل الزراعية غير الاستراتيجية (كالخضار والفاكهة) فلم تكن ناجحة ولم تستطع شركة الخضار والفواكه التابعة للدولة من منافسة القطاع الخاص لا من حيث السعر ولا من حيث الجودة، لأن الشكل الوظيفي والاقتصادي الذي تعمل به الشركة لا يتوافق مع طبيعة الحاصلات الزراعية التي تتعامل معها هذه الشركة، فعلى سبيل المثال يستطيع التاجر في سوق الهال أن يبدل سعر السلعة عدة مرات في اليوم وفقاً للعرض والطلب أو حسب مواصفات السلعة المباعة خلال ساعات النهار، في حين لا تستطيع شركة الخضار والفواكه أن تفعل ذلك ويحتاج تغيير أي سعر لأية سلعة لإجراءات روتينية معقدة، مما جعل هذه الشركة تعزف عن إبرام عقود مع الفلاحين لشراء منتجاتهم، الأمر الذي اضطرها لإغلاق صالات بيع المستهلك وباتت تعمل كتاجر حكومي وفق الأسعار الذي يحددها تجار سوق الهال وسماسرته[٤٠].

وفي جميع الأحوال فإن تقلب الأسعار وارتفاع كلفة الإنتاج والمحروقات والأيدي العاملة الزراعية وغيرها، جعل الفلاح يعزف عن زراعة كثير من المحاصيل ويتحول إلى منتج بسيط وهذا سينعكس على المستهلك حيث ترتفع أسعار المنتجات التي تضطر الدولة لاستيرادها لتأمين حاجة السكان، وتدفع لقاء ذلك أموالاً طائلة، وهذا يقودنا إلى القول: إذا كنا نريد حماية كل من الفلاح المنتج والمواطن المستهلك فلا بد من اتخاذ العديد من التدابير التي تحد من استغلالهما من قبل تجار سوق الهال

وسماسرته، من هذه التدابير مثلاً افتتاح مراكز تابعة للدولة لشراء الخضار والفاكهة من المنتجين مباشرة في مواقع إنتاجها بأسعار تتناسب مع تكاليف الإنتاج ومتطلباته وتحقق دخلاً مقبولاً للفلاح المنتج، ومن ثم افتتاح صالات للبيع للمستهلك مباشرة أو لباعة المفرق ومراقبة الأسعار هذا من ناحية ومن ناحية ثانية إلغاء دور تجار سوق الهال والوسطاء لأنه كلما تعدد انتقال السلعة من تاجر لآخر كلما ازدادت أسعارها ويكون المستهلك بالنهاية هو الضحية.

الحلول والمقترحات:

بعد أن تعرضنا لأهم المشكلات التي تعاني منها الزراعة السورية يمكننا أن نضع بعض المقترحات التي نرى بأنها تسهم في حل هذه المشكلات وهذه المقترحات هي:

١ ـ الإشراف المباشر والميداني للهيئات الزراعية العليا على العمليات الزراعية في مختلف مراحلها لحل مشكلاتها بأسرع وقت ممكن.

٢ ـ تكليف الأقسام الزراعية والوحدات الإرشادية متابعة عمليات الزراعة حقلياً وليس من وراء المكاتب، في مختلف فصول السنة ولأنواع المزروعات كافة.

٣ ـ مراقبة العمليات الزراعية المتعددة والمختلفة من قبل اختصاصيين زراعيين، كل حسب تخصصه بدءاً من عملية تهيئة الأرض للزراعة ومروراً بعمليات البذار والري والمكافحة والتسميد والجني والتسويق وغيرها.

٤ ـ معالجة تملح التربة الزراعية وذلك عن طريق معالجة الأسباب التي تؤدي إلى هذا التملح سواء كانت هذه الأسباب ناتجة عن عوامل طبيعية أو بشرية ومتابعة هذه المسألة باستمرار ذلك لأن تكاليف معالجة التملح أقل من تكاليف الاستصلاح بعد أن تتملح التربة وتتم هذه المعالجة بحفر الأقنية وصرف مياه الأمطار والسيول إلى مجاري الأنهار أو تحويلها بوساطة أقنية تعد لهذا الغرض. وإذا كان التملح ناتجاً عن طريقة الري بالغمر فيجب أن نبحث عن طرائق أخرى حديثة ونختار المزروعات التي لا تتطلب كميات كبيرة من المياه.

٥ ــ يجب مكافحة زحف الصحراء على الأراضي الزراعية بكل الوسائل الممكنة سواء عن طريق زراعة أحزمة خضراء من الأشجار التي تتحمل الجفاف حول الأراضي الزراعية المهددة بالتصحر أم منع التعديات بكل أشكالها على أراضي البادية وإيجاد نوع من التوازن بين طاقة المراعي وأعداد الحيوانات فيها.

٦ ــ لعل من أخطر المشكلات التي تواجه الزراعة السورية هي زحف الأبنية السكنية والمرافق على الأراضي الزراعية ولا بد من اتخاذ الإجراءات التي تحد من هذا الزحف بل وتمنعه إن أمكن، وذلك باختيار مواقع للبناء السكني خارج نطاق الأراضي الزراعية وتأمين الخدمات لهذه المواقع.

٧ ــ النظر بوضع الحيازة الزراعية الأرضية ومتابعة القوانين التي تمنع من تفتتها وتجزئتها.

٨ ــ توحيد جهات الإشراف على بيع الآلات الزراعية بمختلف أشكالها وأنواعها وإيجاد أفضل السبل التي تمكن الفلاحين الفقراء من الحصول عليها واقتنائها كونهم لايستطيعون شرائها مباشرة.

٩ ــ دراسة مواقع إنتاج محاصيل الخضار والفاكهة دراسة موضوعية وإحداث منشآت صناعية لتصنيعها في مواقع إنتاجها على أن تستوعب هذه المنشآت الأيدي العاملة الفائضة عن حاجة الأراضي الزراعية.

١٠ ــ إحداث هيئة تسويقية عليا يكون لها دور الإشراف الكامل على تسويق جميع المحاصيل الزراعية وليس فقط المحاصيل الاستراتيجية وتحديد أسعارها بما يتناسب مع التكلفة والجهد المبذول في إنتاجها.

١١ ــ توفير مستلزمات الإنتاج الزراعي الكبير الحديثة مثل مراكز البيع والشراء وأماكن الخزن والتبريد ووسائل نقل متخصصة ومراكز فرز وتعبئة وكذلك توفير أطر مدربة ومؤهلة للقيام بالعمليات التسويقية على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي.

١٢ ـ المحافظة الدائمة على المنشآت الزراعية بكل أشكالها كونها إرثا حضاريا أنفقت أموال طائلة لبنائها وإنشائها لذلك يجب صيانتها باستمرار لتسهم في تطور الزراعة السورية ونموها.

١٣ ـ دعم القطاع الزراعي بكل الوسائل الممكنة لتطويره كما وكيفا لأنه يشكل القاعدة الصلبة التي يرتكز عليها اقتصادنا الوطني وتطوره سيؤدي حتما لرفع مستوى معيشة أبناء الوطن.

١٤ ـ مراقبة مدى تلوث أو تدهور البيئة الناجم عن استخدام المبيدات الكيميائية، أو الأسمدة المعدنية أو غير ذلك والعمل على حماية البيئة الزراعية في سورية.

١٥ ـ إيجاد تقسيم إقليمي جديد بديلا عن التقسيمات المطرية على أن يأخذ هذا التقسيم مجموعة من العوامل الطبيعية وليس الخطوط المطرية التي حددت مناطق الاستقرار الزراعي في الجمهورية العربية السورية على أساسها، وبطبيعة الحال فإن مثل هذا العمل يحتاج لعدد من المتخصصين في علوم متعددة كالمناخ والمياه والترب والبيئة والجيولوجيا والهندسة المدنية والزراعية والجغرافية... وغيره، ونرى بأن هذا التقسيم يمكن الاعتماد عليه في إعداد خطط زراعية متكاملة تفيدنا في تطوير الزراعة السورية.

١٦ ـ العمل على إقامة شبكة أقنية إقليمية (أي على مستوى كل منطقة أو اقليم من الأقاليم السورية) لمياه الصرف الصحي ثم إقامة محطات لتنقية هذه المياه على مستوى مجموعة الأقاليم السورية، وسيكون لهذه الشبكة وتلك المحطات فوائد عدة في آن معا منها:

أ ـ إعادة استخدام ما يقرب من (١ـ٢) مليار متر مكعب من المياه سنويا في الزراعة وعلى المدى المنظور فقط.

ب ـ حماية كل من الإنسان والحيوان والنبات والمياه الباطنية والتربة من أخطار التلوث الناجمة عن مياه الصرف الصحي.

جـ ـ توفير كميات هائلة من الأسمدة العضوية يمكن استخدامها والاستغناء عن استيراد الأسمدة الكيميائية التي يعد استخدامها بكثرة من أسباب تملح التربة.

أخيرا يمكن القول إن المشكلات التي تواجه الزراعة السورية ليست قليلة وحلها ليس سهلا إلا أنه وفي الوقت ذاته فإن التغلب عليها ليس مستحيلا خاصة وأن المنافع المترتبة على الزراعة والإنتاج الزراعي كافية لتذليل كل الصعوبات وإزالة جميع العراقيل التي تعترض نموها وازدهارها، وفي كل الأحوال لا بد من معالجة هذه المشكلات معالجة جذرية وشاملة لكي يؤدي هذا القطاع الإنتاجي الكبير دوره كاملا في التنمية الاقتصادية الشاملة والمستديمة، وأجد أن خير ما أختتم به هذا البحث هو قول مأثور للسيد الرئيس **حافظ الأسد** عندما قال: "***واجباتنا ضخمة، ولكن همتنا عالية، طريقنا طويل، ولكننا قادرون أن نزيل منه الحفر وأن نختصر ما أمكن المسافة إلى بلوغ الغايات***".

الهوامش

١ـ د.محيسن سلطان ـ دمشق ما قبل التاريخ ـ مجلة التراث العربي عدد خاص تموز ١٩٩٤ ص ١١٧ ـ ١٢٨

٢ـ د.البهنسي عفيف ـ الشام الحضارة دراسة تاريخية وزارة الثقافة ط١ دمشق ١٩٨٦

٣ـ د.عبد السلام عادل ـ جغرافية سورية العامة ـ مطبعة الاتحاد ـ دمشق ١٩٩٠ ص ١٣٢

٤ـ د.موسى علي ـ مناخ سورية ـ مطبعة الحجاز بدمشق من دون تاريخ ص ٧٥

٥ـ حزب البعث العربي الاشتراكي ـ القيادة القومية ـ مكتب الثقافة والإعداد الحزبي ـ المسألة الزراعية في سورية واقع وآفاق سلسلة الدراسات ـ رقم ١٩ مطابع دار البعث تموز ١٩٩٤ ص ٤٧

٦ـ حزب البعث العربي الاشتراكي ـ القيادة القطرية ـ الحركة التصحيحية المجيدة في الذكرى الخامسة والعشرين مطابع القيادة القطرية ـ دمشق ١٩٩٥ ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩.

٧ـ المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة ـ إدارة الدراسات المائية ـ تقييم الموارد المائية في الوطن العربي ـ باريس ـ دلفت ـ دمشق ١٩٨٨ ص ٢٠٧

٨ـ حزب البعث العربي الاشتراكي ـ القيادة القطرية ـ الحركة التصحيحية المجيدة في الذكرى الخامسة والعشرين مطابع القيادة القطرية دمشق ١٩٩٥ ص ٤٤٦

٩ـ المكتب المركزي للإحصاء ـ المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٩٥ ص١٠٤

١٠ـ وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي ـ مديرية الاحصاء والتخطيط ـ المجموعة الاحصائية الزراعية السورية لعام ١٩٨٩ صفحات ٤٠، ٤٢، ٤٤،

٤٦، ٤٨، ٥٠، ٥٢، ٧٨، ١٠٤، ١٠٦، ١٢٦، ١٣٤، ١١٦، حسب تسلسل المحاصيل.

١١ــ قام المركز العربي لدراسة المناطق الجافة والأراضي القاحلة بإعداد الخارطة المليونية للترب في القطر العربي السوري وذلك باستخدام النظام الأمريكي الحديث أساسا لتصنيف التربة. وهذه الخارطة هي المعتمدة في المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٩٥ ص ٣٣.

١٢ــ المكتب المركزي للإحصاء في القطر العربي السوري ــ اعتمدنا في وضع مساحة كل تربة على المجموعة الإحصائية لعام ١٩٩٥ مساحة الترب في الجمهورية العربية السورية حسب مجموعات الأتربة ص ٣٥ ثم حسبنا نسبتها وأعددنا مصورها.

١٣ــ د.خير صفوح ــ سورية ــ دراسة في البناء الحضاري والكيان الاقتصادي ــ مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٩٨٥ ص ٢٠٤

١٤ــ د.عبد السلام عادل ــ جغرافية سورية العامة ــ مطبعة الاتحاد دمشق ١٩٩٠ ص ٢٠٢.

١٥ــ الأرقام التي اعتمدناها للأعوام ما بين ١٩٤٦ ــ ١٩٧٥ أخذت من المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٧٩ ص ١٧٨ ــ ١٨٩ ولعام ١٩٨٥ من المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٨٨ ص ١٠٧ــ١١٥ ولعام ١٩٩٤ من المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٩٥ ص ١١٠ــ١١٨.

١٦ــ الأرقام التي اعتمدناها للأعوام ١٩٤٦ ــ ١٩٧٥ أخذت من المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٧٩ ص ١٨٩ ــ ١٩١ ولعام ١٩٨٥ من المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٨٨ ص ١١٧ ــ ١١٩ ولعام ١٩٩٤ من المجموعة الإحصائية لعام ١٩٩٥ ص ١٢٠ ــ ١٢٢.

١٧ــ المكتب المركزي للإحصاء، المجموعــة الإحصائيــة الســورية لعــام ١٩٩٥ ص٤٣ــ٤٥.

١٧ــ مكرر ــ كل الأرقام المثبتة أخذت من المجموعة الإحصائيــة الســورية لعــام ١٩٩٥ من الفصل الثاني والثالث (السكان والمؤشرات الديمغرافية والقوة البشــرية وقوة العمل من ص ٥١ ــ ٩٣.

١٨ــ المكتب المركزي للإحصاء ــ المجموعة الإحصائية السورية لعــام ١٩٩٥ ص ١٤٧.

١٩ــ حزب البعث العربي الاشتراكي ــ مكتب الثقافة والإعداد الحزبي فــي القيــادة القومية ــ المسألة الزراعية في سورية واقع وآفاق ــ سلسلة الدراسات رقــم ١٩ ــ مطابع دار البعث تموز ١٩٩٤ ص ٧٨.

٢٠ــ حزب البعث العربي الاشتراكي ــ القيــادة القطريــة ــ الحركــة التصحيحيــة المجيدة في الذكرى الخامسة والعشرين ــ مرجع سابق ص ٤٣٥.

٢١ــ حزب البعث العربي الاشتراكي مكتب الثقافة والإعداد الحزبي في القيادة القومية ــ المسألة الزراعية في سورية واقع وآفاق مطابع دار البعث تمــوز ١٩٩٤ ص ٨١ ــ ٩٣.

٢٢ــ المكتب المركزي للإحصاء ــ المجموعة الإحصائية السورية لعــام ١٩٩٥ ص ١٤٤.

٢٣ــ حزب البعث العربي الاشتراكي ــ القيــادة القطريــة ــ الحركــة التصحيحيــة المجيدة في الذكرى الخامسة والعشرين ــ مرجع سابق ص ٤٤٣.

٢٤ــ المكتب المركزي للإحصاء ــ المجموعة الإحصائية السورية لعــام ١٩٩٥ ص ١٤٦.

٢٥ــ حزب البعث العربي الاشتراكي ــ القيــادة القطريــة ــ الحركــة التصحيحيــة المجيدة في الذكرى الخامسة والعشرين ــ مرجع سابق ص ٥٤٣ ــ ٥٤٤.

٢٦ــ المكتب المركزي للإحصاء ــ المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٩٥ ص ٣٢٩ ــ ٣٣٠.
٢٧ــ فيلونك.آ. ــ صعوبات الزراعة السورية الحديثة ــ ترجمة حسان ميخائيل اسحق ــ دار الجمهورية للطباعة دمشق ١٩٨٧.
٢٨ــ المكتب المركزي للإحصاء ــ المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٩٥ص ١٣٥ ــ ١٣٦.
٢٩ــ الجميان داوود ــ ظاهرة التملح وأثرها في الاقتصاد الزراعي ــ المجلة الجغرافية السورية ــ المجلد السادس دمشق ١٩٨١ ص ١٣١ــ١٣٧.
٣٠ــ جريدة الثورة السورية ــ العدد ٩٨٨٩ تاريخ ١٩٩٥/٢/٢٨.
٣١ــ د.محلي ساطع ــ جغرافية المدن عمرانيا وتنظيميا ــ مطبعة الاتحاد دمشق ١٩٩٣ ص ٢٣٩.
٣٢ــ مؤسسة استثمار الغاب ــ لمحة موجزة عن أهم الأعمال والنشاطات التي تقوم بها مديرية الزراعة والإصلاح الزراعي بالغاب ١٩٩٥.
٣٣ــ المكتب المركزي للإحصاء ــ المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٧٩ و١٩٨٨ و١٩٩٥ من صفحات متعددة.
٣٤ــ المكتب المركزي للإحصاء ــ المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٩٥ ص ١٠٣.
٣٥ــ د.الديب محمد محمود ابراهيم ــ جغرافية الزراعة ــ تحليل في التنظيم المكاني ــ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٥ ص١٠٣.
٣٦ــ وزان صلاح ــ من التخلف إلى التطور الاشتراكي في القطاع الزراعي.
٣٧ــ المكتب المركزي للإحصاء ــ المجموعة الإحصائية السورية لعام ١٩٧٩ ص ٢٠٢.

٣٨ــ المكتب المركزي للإحصاء ــ المجموعة الإحصائية السورية لعـــام ١٩٩٥ ص ١٤٥.

٣٩ــ حزب البعث العربي الاشتراكي ــ المسألة الزراعية في سورية واقـــع وآفـــاق مرجع سابق ص٧٠.

٤٠ــ حزب البعث العربي الاشتراكي ــ المسألة الزراعية في سورية واقـــع وآفـــاق مرجع سابق ص ٧٩ ــ ٨٨.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٩٦/٦/١.

ماذا عن الموسيقا في رواية الغثيان

د. مها بياري
قسم اللغة الفرنسية ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة دمشق

الملخص

للموسيقا مكان هام في رواية جان بول سارتر (١٩٠٥-١٩٨٠) الغثيان (١٩٣٨) إنها ضرورية في حين الوجود عرضي كما يقول أنطوان روكانتان بطل الرواية.

من أجل دراسة هذه العلاقة اعتمدنا على المربع السيميائي الخاص بالحقيقة، وهو المستوى العميق في المسار التوليدي للمعنى كما عرضه غريماس. فكل عبارة فيه مؤلفة من الفعل التوجيهي (يجب + فعل الكون) (١) ويمكن تسميتها كما المربع (٢)

يجب أن يكون	*يجب ألّا يكون*	*ضرورة*	*استحالة*
لا يجب ألّا يكون	*لا يجب أن يكون*	*إمكانية*	*عرضية*
(١)		*(٢)*	

فالضرورة هي نفي (العرضية) من وجهة نظر المنطق، وكما بينا من خلال الشكل التوجيهي

يجب أن يكون ⟵⟶ لا يجب أن يكون.

تعد الموسيقا إذاً كأنها ضرورة على الرغم من أنها تظهر في ثلاثة مشاهد، وبعض اللفتات القصيرة مقارنة بالوجود العرضي الذي يحتل جزءاً "كبيراً" من الرواية.

تذكر القيمتان (ضرورة وعرضية) بشكل مباشر، ولكن قد تضمر إحداهما مما يحتم البحث عنها. وبكلمات أُخَر نستطيع أن نجدها عن طريق نفي الأول، من هنا نجد أن الشقين متكاملان.

إن الموسيقا تفرض نفسها على الرغم من تجلياتها السريعة لأنها هي أمل أنطوان روكانتان في الخلاص من الغثيان.

((وفي تلك اللحظة بالذات، وفي الناحية الأخرى من الوجود، في هذا العالم الآخر الذي يمكننا أن نراه من بعيد، ولكن دون أن نقترب منه، بدأ لحن قصير بالرقص، بالغناء: "يجب أن تكونوا مثلي، يجب أن نتألم بقدر مقياس موسيقي."
وتناهى إلى سمعي الصوت مغنياً:

Some of these days	في يوم من ا لأيام
You 'll miss me honey	ستفتقدني يا حبيبي !))
	الغثيان[1] (ص. ٢٤٤)

يأتي عالم الموسيقا في رواية الغثيان لجان بول سارتر كأنه واحد من آمال الخلاص من القلق الذي يسيطر على انطوان روكانتان Antoine Roquentin، بطل الرواية الذي يعيش في مدينة بحرية اسمها بوفيل Bouville، مخصصاً وقته لبحوث تاريخية عن المركيز دو رولوبون Le Marquis de Rollebon بعد أن قام بسفرات عديدة خارج فرنسا.

إن إدراكه العالم الخارجي هو إدراك سليم، إنه يشعر به يضغط على أعصابه وغالباً ما يسبب له الملل والغثيان. لكن عالم الموسيقا هو ما يعطي الحياة معنى، هو ما يحيل عبثية الوجود إلى شيء جميل، هو ما يجب أن يكون، هو الضروري، وسواه وجود عرضي.

تبدأ هذه المفارقة مع بداية الرواية عندما يمسك أنطوان روكانتان في يديه حصاة من طرح البحر، لها وجهان واحد رطب عليه طين والآخر ناشف. يحتل هذان الوجهان محورين أساسيين و متناقضين في الرواية وهذا هو موضوع دراستنا هذه، فمن خلال مناظرة بين عالم الوجود ((العرضي)) وعالم الموسيقا ((الضروري)) يُنْشِيء جان بول سارتر هيكلاً متيناً صافياً، هيكل الموسيقا والأدب، وباختصار هيكل الفن.

[1] سنكتفي بذكر رقم الصفحة بعد الشواهد مباشرة. مترجمة عن النسخة الفرنسية للغثيان.

قد يبدو هذا القول غريباً في رواية طغت عليها الصبغة الفلسفية، ولكن على الرغم من الومضات التي تحتلها الموسيقا بالقياس للجانب الفلسفي الوجودي، نستطيع القول: إنها تواجه هذا العالم وتذهب حتى إلى السيطرة عليه، والمساعدة في القضاء على الشعور بالغثيان.

فالقارئ لا يتوقع البتة وجود هذا العالم الجميل خلف جدران الاشمئزاز التي يبنيها جان بول سارتر منذ اختياره لعنوان الغثيان الذي قد ينفر بعضهم وقد يجذب بعضهم الآخر، وهم قلة (العنوان الأول هو ميلانكوليا (سوداوية) Melancholia، و رفضته دار النشر Gallimard).

ومن ثم ومع بدء القراءة ندخل عالما غريبا يرتبط فيه الغثيان بشخصية أنطوان روكانتان وبفكرة اكتشاف الوجود، وهذا ما نجده في الصفحات الأولى حيث يقرر البطل أن يكتب مذكراته، أو بصورة أدق كل ما يجري حوله من أحداث وتغييرات.

هذه الأجواء تخلق إذا مسافة وعرة بين القارئ والراوية يصعب اجتيازها للوهلة الأولى، ولكن الأمور تحتاج إلى صبرا وبحثا دقيقا.

فالأفكار الوجودية تحتل المكان الأكبر في الرواية كما قلنا، ومقابلها نجد مكانا للموسيقا لا يقل أهمية عن الأول وإن يكن مبعثرا وقصيرا. فالموسيقا تأتي في ثلاثة مشاهد سنتطرق إليها واحدا تلو الآخر بعد أن نقدم فكرة عن بدء حالة الغثيان. في بداية الرواية بعد أن ندخل عالم أنطون روكانتان الغريب نرى أنه يستمع إلى أغنية في مقهى " ملتقى عمال السكك الحديدية "، Au Rendez – Vous des Cheminots ومن ثم وللمرة الثانية وبعد صفحات عديدة في مقهى البحارة Bar de la Marine تنقذه الموسيقا من الأفكار السوداء، وفي ذروة الغثيان في الحديقة العامة لا ينسى أن يترك لفتة قصيرة للموسيقا. ومع الصفحات الأخيرة، أي المشهد الثالث، يوجد في الأجواء نفسها للمشهد الأول موليا إياها المكان الأول إلى جانب الكتابة.

وهنا يجمع سارتر الفن والأدب معا بوصفهما بلسما يقف أمام بشاعة الوجود، ويشفي

المشاعر الغريبة كلها من غثيان وملل، مؤكداً جمال الكتابة والموسيقا وضرورتـهما. ولإيضاح ذلك سنستعين بالمربع السيميائي الذي يعد المستوى الأخير، أو العميق في الدراسات السيميائية.

وتلك الدراسات السيميائية (Semiotique) هي علم الرموز والإشارات، ويعنى هذا العلم بدراسة حياة الإشارات (Signes) داخل الحياة الاجتماعية[1]. وتعتمد هذه الدراسة على مرور المعنى من مستوى سطحي نبحث فيه عن الزمان و المكان والشكل إلى المستوى الموضوعي، ومن ثَمَّ المستوى التصويري، ومن ثَمَّ يأتي المستوى العميق والأخير أي المربع السيميائي. تشبه العملية هنا عملية الغوص في الأعماق بحثاً عن المعنى العميق الذي يقوم عليه النص، والذي قد يبدو – للوهلة الأولى – بعيداً كل البعد كما قلنا عن متناول فهم القارئ. وأريد بالقول علاقة الغثيان والوجودية من جهة، والموسيقا من جهة أخرى، وهذا ما سنركز عليه في هذه الدراسة.

الشعور بالاشمئزاز عند ملامسة الأشياء ...

ويبدأ الشعور بالاشمئزاز مع أنطوان روكانتان إذاً عندما أمسك بحصاة الشاطئ.

> ((كان ثمة شيء قد رأيته فأثار اشمئزازي، ولكنني لا أدري بعد هل كنت أنظر إلى البحر أم إلى الحصاة، كانت الحصاة مسطحة، جافة في أحد جانبيها رطبة موحلة في جانبها الآخر وكنت أمسك بها من أطرافها، وأصابعي متباعدة جداً لأتجنب تلويث يدي)) (ص١٢٠)

مع شعور الاشمئزاز بدأ شعور غريب جعله مختلفاً عن الآخرين. ويتذكر عندما أراد أن يقلد الأطفال برمي حصى الشاطئ بعيداً ولم يستطع، حتى أنه شعر أنهم ينظرون إليه شزراً ويضحكون.

وهنا تبدأ رحلة أنطوان روكانتان لاكتشاف سر الوجود.

[1] في فرنسا اتجهت السيميولوجيا الفرنسية إلى دراسة الأدب من وجهة نظر لسانية، مع رولان بارت Barthes و غريماس Greimas.

تبدأ الرحلة بشعوره باختلافه عن الآخرين، وبتغيير ما يعجز في البداية عن وصفه لذلك يختار أن يكتب مذكراته ليصل إلى حل ما. هذه المذكرات كتبها في بداية شهر كانون الثاني عام ١٩٣٢ علماً " أنه يعيش وحيداً "، يذكر بعض الأحيان حبيبته السابقة Anny التي تظهر وكأنها حل "ممكن" للخلاص من الغثيان، هل هذه علامات الجنون؟ كلا هو ليس مجنوناً ولكن هناك تغيير ما، يجب أن يحدده.

يعترف بأنه يستمتع بملامسة الأشياء القذرة التي تضايق الناس.و يتطور هذا الشعور لأن العالم الخارجي غدا لا يُحتمل، و يصبح الإحساس بالغثيان مزمناً متأصلاً.

إن الأشياء المادية تبدو له دبقة لزجة صمغية، وهو يشكو أن الأشياء كلها غير لازمة، زائدة عن الوجود، إنها عرضية والشيء نفسه ينطبق عليه:

((وأنا – المسترخي، الضعيف، القذر، المقرف، المجتر، الخافق بالأفكار المتشائمة – أنا أيضاً " كنت زائداً " على اللزوم.)) (ص١٨١).

وتذهب به هذه الأفكار بعيداً جداً في عوالم الوجودية كما يسميها حتى يصل إلى ذروة الشعور بالوجود في الحديقة العامة، يعود ويذكر كيف بدأت القصة مع شعوره بالاشمئزاز عندما أمسك بالحصاة:

((والحصاة، تلك الحصاة العتيدة، مصدر هذه القصة كلها ... ويد العصامي Autodidacte كنت قد أخذتها وصافحتها ذات يوم، في المكتبة ثم تملكني الإحساس بأنها لم تكن تماماً يداً كنت قد فكرت بدودة كبيرة بيضاء، ولكنها لم تكن كذلك أيضاً. وشفافية قدح البيرة، في مقهى ما بلي Mably، هكذا كانت الأصوات والعطور و المذاقات فهي حين تنسل بسرعة تحت أنفك كأنها أرانب برية مطرودة، فلا توليها اهتماماً كبيراً ...

ولكن يكفي أن تمسكها لحظة، حتى يحل محل هذا الشعور بالرضى والأمن انزعاج عميق: إن الألوان والمذاقات والروائح لم تكن قط حقيقية، ولم تكن هي نفسها ولاشيء سواها...)) (ص.١٨٣).

لقد تطور الشعور بالاشمئزاز ببطء مع الإحساس بالأشياء أو بالعالم الخارج، وتطور إلى احساسات غريبة أطلق عليها اسم الغثيان، احساسات تفاقمت إذا " إلى درجة الوصول إلى نوع من الهلوسة أو الحلم مع هذا المشهد، مشهد الحديقة العامة،

في حين يفهم ماهية الوجود والغثيان عندما يحدق في جذور شجرة الكستناء، و يشعر بنفسه منغمساً في عالم مريع قلق، ويعبر عن هذا الفهم ويؤكد نقطة معقدة ألا وهي عرضية الوجود:

((أقصد أن الإنسان لا يستطيع أن يعرف الوجود على أنه ضرورة. الوجود هو بكل بساطة أن تكون هنا)). (ص١٨٤)

عرضية الوجود /ضرورة الموسيقا:

وسط هذا العالم، الذي يتميز بعرضية الوجود والغثيان، يأتي العالم الآخر، عالم الموسيقا الذي تنتفي فيه اللزوجة والقذارة ليحل محلهما القوة والنقاء. وعالم الموسيقا هذا ضرورة وقيمة منطقية، ولهذا يتناقض مع عرضية الوجود.

فماذا عن مفهوم العرضية والضرورة ؟ وكيف لنغم أن يكون قادراً على مواجهة هذا العالم القذر اللزج الذي حاولنا أن نوجز أجواءه التي تستدعي قراءات متعددة للاطلاع على أسرارها ؟

العرضية والضرورة:

لإيضاح ذلك قلنا إننا سنلجأ إلى المربع السيميائي المتعلق بالحقيقة لنشرح كيف تركز الرواية على مفهومات منطقية تبني عليها محورين أساسيين. ونشير إلى أن التوقف عنده ما هو إلا تبسيط للدراسة من أجل محاولة الوصول إلى المستوى العميق للمعنى في رواية الغثيان.

في هذا المستوى العميق من المعنى نبحث عن مكونات تقوم على اختلافات أو مفارقات، فمثلاً الليل هو عكس النهار وهذا هو الخط الأفقي الأول. ومن ثم ننفي المكونين على الخط الأفقي الثاني ونحصل بذلك على فترة لا نهار ولا ليل أو الغروب

والشروق. ونكمل أركان المربع:

(١)

نهـار ⟷ ليـل

(٢)

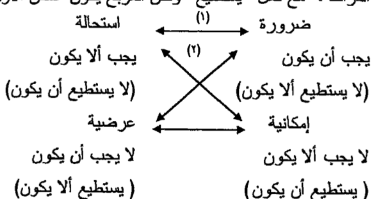
لا ليل ⟷ لا نهار

(١)

(شروق) ⟷ (غروب)

والعلاقة في الخطين الأفقيين هي علاقة تضاد (١). وأما العلاقة ما بين نهار ولا نـهار وليل ولا ليل فهي علاقة تناقض و تتمثل بالخط المائل (٢).

هذا مثال المربع السيميائي البسيط نبدأ به لإيضاح قيمتي "ضـرورة " و" عرضيـة "، ومن الممكن ترجمة هاتين القيمتين بالأفعال " يجب " أو " يستطيع ". إضافة إلى فعـل الكون وهو المربع السيميائي المؤلف مع الأفعال التوجيهيـة Modaux أو يجـب أن يكون أو " يستطيع أن يكون "، لإكمال المربع كمـا ورد فـي قـاموس السـيميائية (Sémiotique) لغريماس Greimas ، و إيضـاح المفارقات التي تقوم عليـها أعمـاق الرواية..والقيمة " ضرورة " هي "ما يجب أن يكون " ومقابلها على الخط الأفقي ينفـي الشطر الثاني (فعل الكون)، ونحصل على مـا " يجب ألا يكون " أو " الاسـتحالة"، ومن ثم القيمة التي تأتي على محور التناقض مع القيمة " ضرورة "، أو " ما لا يجـب أن يكون، " أو " العرضية "، وأخيرا " الإمكانية " أو ما لا يجـب ألا يكـون " علـى محور التناقض مع القيمة " الاستحالة" (ومن الممكن ترجمـة هـذه القيـم لتسـهيل الدراسة، مع فعل " يستطيع " ولكن المربع يكون عكس الأول)



محور التناقض / ضرورة الموسيقا / عرضية الوجود:

المحور الذي يهمنا هو محور التناقض ما بين الضرورة والعرضية، وبدأنا بـه لإيضاح العلاقة ما بين الوجود والموسيقا وهي علاقة التناقض. وبذلك يكفي أن نجـد الشق الأول من المعادلة ومن ثَمَّ يسهل إيجاد الشق الثاني وهذا ما يعتمد عليه سـارتر، أي أن ما يبدو مبهماً للوهلة الأولى أو بالأحرى كثيفَ المعنى يسهل تحليلـه وفهمـه بإيجاد الفكرة المتناقضة معه.

الموسيقا
ضرورة
يجب أن يكون
(لايستطيع ألاّ يكون)

الوجود
عرضية
لا يجب أن يكون
(يستطيع ألاّ يكون)

فالموسيقا في رواية الغثيان هي ضرورة قوية جداً بالنسبة لعرضية الوجود وهذا مـا نريد إيضاحه. يقول البطل:

((لحظات قليلة باقية وستغني الزنجية، ويبدو وكأنه شيء محتم، هي قوية جداً ضرورة هذه الموسيقا لا شيء يستطيع وقفها.)) (ص.٣٩)

أما عن الوجود، فيؤكد على عرضيته قائلاً:

((الأســاس هو العرضية أريد أن أقول، إن الوجود بالتعريف ليس الضـرورة.)) (ص. ١٨٤)

وتُغنى هاتان القيمتان (العرضية والضرورة) من خلال شعور السعادة الـذي ينتاب روكانتان عندما يستمع إلى الموسيقا، فهو يطلب من ساقية المقهى حيث يقضي

بعض الوقت، أن تسمعه أغنية يحبها تبدأ مع هذه الكلمات ((في يـــوم مـــن الأيـــام)) Some of these days وهي أغنية أميركية كل ما نعرفه أنها تبدأ بموسيقا الجـــاز و أن مغنيتها زنجية، وأن مؤلفها اميركي.

المشهد الأول: وتبدأ المفارقة مع هذا المشهد. قبل الاستماع إلى الموســـيقا وبعدهـــا، بكلمات أُخَر، عرضية الوجود وضرورة الموسيقا.

عندما تدير مادلين Madeleine الأسطوانة في الحاكي يتعـــرف البطـــل مـــع الأنغام الأولى إلى اللحن، فهو "راغ –تايم" Rag- Time قديم مع لازمة مغناة وأنـــه مسجل على أقدم أسطوانات المجموعة: ((أسطوانة من شركة باتية Pattey تُقرأ بـــإبرة ياقوتية)) (ص.٣٢)

تتميز كتابة جان بول سارتر باللحظية، يحاول أن يعطي صورة صادقة عما حوله وعما يجري له من أحداث وتغييرات لذلك نراه يكتب كتابة دقيقة تولي الحـــدث أهميته، ومن ثَمَّ التغيير الذي سيطرأ عليه. فالأسطوانة تـــدور ويصفـــها "بالشـــريط الفولاذي" وتريه إياها الساقية في المشهد الأول وفي المشهد الأخير أيضاً حيث تنتـــهي الرواية بأحداث سريعة، ولكنها دقيقة ومتكررة..

ويصف ما يجري حوله أو بالأحرى ما يسمع:

((إن الجاز هو الذي يعزف الآن، "ليس ثمة لحن، وإنما أنغام، عدد كبـــير مـــن الـــهزات الصغيرة. إنها لاتكل ولا تمل، كأن نظاماً صارماً يولدها ويهدمها ... إنها تجري وتتدافع فتضربني لدى مرورها ضربة صماء وتتلاشى. علي أن أقبل موتها.)) (ص.٣٨)

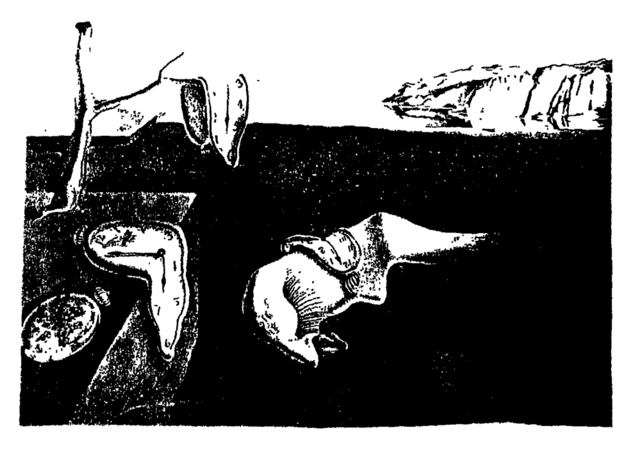
وبعد الاستماع إلى اللحن يقول:

((بدأت أشعر بالحرارة، أشعر بنفسي سعيداً)) (ص. ٣٨)

وهذا يعني ضمنيا، أنه كان يشعر بالبرودة والتعاسة قبل الاستماع إلى اللحن. وهنـــا يوجد شق ناقص يعتمد على الافتراض لإكماله.

وفي حالات أخر كما سنرى يطرح شقي التناقض مباشرة فقبل الاستماع إلـــى الموســـيقا: ((كـــان الزمن عريضـــا لا يمكن ملؤه كل ما نغرقه فيه يميع ويتطاول.)) (ص. ٣٨)

وتذكـرنا تلك الصـورة بلوحـات دالي Dali وخاصـة لوحتـه ((اسـتمرارية الذاكرة)) La Persistance de la mémoire عام ١٩٣١ أي معـاصرة لزمـن كتابـة الرواية، إذا فالزمن في عالم الوجود طري، عريض، مائع.



وأما مع الموسيقا فالزمن قصير محدد يجتاز زمننا من جهة إلى أخرى كمـا يصفـه روكانتان يصبح اللحن حدثا بفعل تتابع علامات موسيقية كثيرة تأتي من مكـان بعيـد وتموت من أجل أن نسمع هذا اللحن وعندها يصبح للزمن معنى.

مع الموسيقا هناك "سعادة أخرى" و "زمن آخر". مثل العصا السحرية يشعر روكانتـان مع آخر تآلف موسيقي Accord بأن شيئا قد حدث عندما تلاشى آخر نغم، وأحس فـي الصمت القصير الذي تلا أن شيئا ما قد حدث:

((صمت. إن ما حدث هو أن "الغثيان" قد اختفى. عندما تعالى الصوت في الصمت شعرت أن جسدي متصلب وتلاشى الغثيان)). (ص.٣٩)

يطرأ على البطل تحول، يشعر إذاً بنفسه سعيداً قوياً متوهجاً، يشعر بأنه يرقص مع النغم مع الغناء.

وتملأ الموسيقا القاعة وتحطم ((زمننا البائس)) كما يصفه روكانتان:

((وتدور في المرايا مصابيح من النار حلقات من الدخان تحيط بها وتدور، تغطي وتكشف ابتسامة النور القوية)). (ص٤٠)

ينفصل البطل جزئياً عن العالم الخارجي عند الاستماع إلى الموسيقا، تطرأ تغيرات على إحساساته ورؤيته وشعوره بالأشياء حوله وبالزمن الذي تعيد إليه الموسيقا معناه. والأهم من ذلك أن يشعر بالسعادة، إنه متأثر ويستعرض فصولاً من حياته، ورحلاته، والنساء اللواتي عرفهن ليصل إلى هذه الدقيقة:

((إلى هذه الحقيقة، إلى هذا المقعد إلى هذه الفقاعة من النور المدندنة بالموسيقا.

And when you leave me

وحين تركتني.)) (ص. ٤١)

ويشبه الحياة بالأسطوانة التي تمشي قدماً، فمثلها لا يستطيع الإنسان أن يعود إلى الوراء وعليه أن يعيش اللحظة أو بالأحرى أن يعبر عن آنية ما يحدث حوله.

وهنا نذكر أن الرواية تسرد (محكية) على شكل مذكرات يومية أي أن البطل يستعمل الضمير الأول وهذا ما يساعده على إعطاء اللحظات نوعاً ما من الحياة. ويذكرنا هنا بالانطباعيين الذين حاولوا التقاط لحظية المشاهد مع بقع صفراء هنا وهناك، وكأن أشعة الشمس تخترق أوراق الشجر لتظهر على ثوب امرأه أو قبعة رجل كما لوحة رونوار Renoir الشهيرة "حفلة راقصة في طاحونة الغاليت" Le bal au moulin de la Galette (١٨٧٦).

هذا هو المشهد الأول الذي يضع الموسيقا في المكان الأول، يعطيها قوة سحرية تهز كيان البطل بقوة، ويؤكد ضرورتها:

((إنها قوية جدا ضرورة هذه الموسيقا لاشيء يستطيع وقفها، لاشيء من هذا الزمن حيث العالم ...واهن.)) (ص.٣٩)

وهذا يعني أن عالم الموسيقا هو العالم القوي بالقياس إلى الآخر الواهن، ونعيد ترتيب محور التناقض أي "عرضية الوجود" "وضرورة الموسيقا" معتمدين على أن الشقين موجودان بشكل مباشر أو غير مباشر.

ولأنه يعد الموسيقا ضرورة، فهو يعد الوجود عرضيا (ونشير إلى ذلك بخط متصل) ونستمر بهذه المعادلة فهذا "الزمن الواهن" يتضمن أن الزمن في العالم الآخر، عالم الموسيقا، زمن قوي (ونشير إليه بخط متقطع ...) وهكذا الأمر في باقي الصفات والحالات .

عرضية الوجود:

[غير ضروري]	...........→	ضرورة قوية جدا
العالم الواهن	←...........	(العالم القوي)
زمننا البائس	←...........	(زمن سعيد)
قبل سماع الموسيقا (كان جسده	←...........	عندما تعالى الصوت أحسست بجسدي
طريا / كان الغثيان – موجودا)		يقسو وأغمى علي الغثيان
(كنت معتما ضعيفا)	...........→	أصبحت متوهجا وقويا
لحظات عريضة مائعة	————	لحظات قصيرة قوية
الزمن عريض جدا، كل ما نضع فيه يميع ويتطاول	←...........	الزمن القصير في الموسيقا)
(كان يشعر بالحزن)	...........→	بدأت أشعر بنفسي سعيدا
(كان يشعر بالبرودة)	...........→	بدأت أشعر بالدفء
(معنى ضمني)		**ضرورة الموسيقا**

المشهد الثاني:

وفي مشهد آخر أي المشهد الثاني للموسيقا يدخل البطل إلى ((حانة البحارة)) Bar de la Marine بعد أن قرأ خبرا في الصحيفة عن جريمة اعتداء ومقتل طفلة، وبالطبع مع استمرار تفكير عميق عن الوجود:

((أنا كائن، الوجود سقطة، ...إنني إنسان قذر.

أشعر بالبرد ...إنسان قذر، الشهوة كالضباب، الشهوة، الاشمئزاز)).

ويدخل الراوي هنا في مفارقات تشبه الجنون أو الازدواجيه.

حتى أنه عندما بدأت حالة الاشمئزاز معه مع الحصاة، بدت وكأنها بداية حالة الجنون ولكن ما يلبث أن يقول: إنه عاد طبيعيا، وإنه لم يعد مجنونا.

ولكن هنا وفي هذا المشهد، يدخل عنصر جديد من الممكن أن يعده دليلا على بدء حالة مرضية:

((مجنون هل أنا مجنون. يقول ! إنه يخشى أن يكون مجنونا.)) (ص. ١٤٤)

يستعمل، أو بالأحرى ينتقل من الضمير الأول، لأن الرواية مكتوبة على شكل مذكرات، إلى الضمير الثالث.

((... أنطوان روكانتان لم يمت، سيغمى علي يقول: إنه يريد أن يغمى عليه إنه يركض ويدخل حانة البحارة Bar de la Marine المرايا الصغيرة في الماخور الصغير. إنه ممتقع الوجه في المرايا الصغيرة بالماخور الصغير. الرجل الطويل الأصهب الذي يتداعى للسقوط على المقعد الصغير.)) (ص. ١٤٦)

يصف نفسه إذا مستعملا الضمير الثالث علما أن لون شعره الأصهب هو أحد الدلائل القليلة عنه وعن شكله كشخصية روائية تحتاج إلى كثير من التفاصيل تغاضىعنها جان بول سارتر معطيا المكان الأول للتفكير لتلك العلاقات الفلسفية المنطقية ما بين عالم الوجود والغثيان وعالم الموسيقا.

هل يحطم هنا (وبهذا) هيكل الشخصية الروائية السائد في روايات القرن

التاسع عشر مع المدرسة الواقعية بلزاك Balzac، والطبيعية زولا Zola ... وغيرهم.

مما لاشك فيه أنه يقوم بمناورة غير مباشـــرة لخلـــق نمـــوذج جديـــد فـــي الشخصيات الروائية. فالبطل موجود باسمه وبعض المعلومات عنـــه ولكـــن التفكـــير الفلسفي هو ما يحتل المكان الأكبر، حتى أنه يذهب في نهاية الرواية إلـــى القـــول: " **أنطوان روكانتان غير موجود** " وهل يعيده هنا إلى مكانه ؟ إلـــى كونـــه الشـــخصية الخيالية التي اختلف النقاد حولها ؟ وهنا بحث آخر يحتاج إلى صفحات وصفحات.

فلنعد إلى مشهد الحانة. علامات سريعة عن الازدواجية إذ يصف نفسه فـــي مرايا الحانة بالضمير الثالث هو. كل شيء يدور، وتتجلى واضحة هنا مفارقة الوجود و الموسيقا، يأتي اللحن والغناء من خلال نص قصير ليعطي أملاً حلواً عذباً.

عندما يبدأ القمر المنخفض باللمعان	When the low moon begins to beam
كل ليلة أحلم حلماً قصيراً	Every night. I dream a little dream.

(ص. ١٤٦)

تتكرر هنا الحادثة فكلما أضافت الموسيقا الوضوح والتألق وســـاعدت علـــى تلاشـــي الغثيان في المشهد الأول، تأتي هنا ومضة قصيرة عن الموسيقا مع الغناء.

مرة أخرى يعود الغناء، أغنية انكليزية تغنيها امرأة، كلماتها الرقيقة عن القمـــر والحلم تتناقص تماماً مع الكلمات التي سبقتها بأسطر قليلة عـــن الوجـــود وطراوتـــه، وتأتي الموسيقا وكأنها هنا الأمل الوحيد للخلاص من قذارة الكينونة.

((إن الصوت القرار، الأجش، يظهر فجأة ويتلاشى العالم عالم الكينونات)) (ص.١٤٦)

مع ســـماع الصوت تخطى البطل عالم الكينونات القميء واستمر في مناورته فيمـــا يخص التفكير في الوجود أي أنه مع إشراقة الغناء فكر تفكيراً جديداً لطيفاً، فكر بـــأن المرأة التي غنت وسجل صوتها كانت كائنة مثله، مثل رولبون Rollebon.

ويعـــود الضمير الأول "أنا " أو أن البطل عاد إلى سابق سيرته التي بدأ بـــها

والصوت المسجل على الأسطوانة موجود، وأنا السامع موجود، كــل فــي مســتقر، الوجود يطبع كل شيء، بكثافته وثقله ورقته.

إلا أن خلف هذه الرقة القريبة المنال البعيدة والتي لا تدرك للأسف، اليانعة الوادعـــة والتي لا ترحم، كان ثمة ...صرامة.)) (ص.١٤٤).

وهنا تأخذ هذه الجملة الأخيرة القصيرة من النثر الشعري جماليـــة، مؤكـــدة عذوبـــة الموسيقا الصعبة المنال والتي يصفها بالصفات الإيجابية " فتية، قاسية، هادئة " خلافا لما استعمل من صفات سلبية تسم الوجود وخاصة أن " الكينونة رخوة تتدحرج وتـــهتز ... الوجود سقطة ". (ص.١٤٤)

عرضية عالم الوجود

(ثابت)	←....................	هاربة (لا تدرك)
(ليــن)	←....................	صارمة
(خشن)	←....................	ناعمـــة
(فـــظ)	←....................	عـــذبة
تتدحرج وتهتز	ــــــــــــــ	هادئـــة
رخوة	ــــــــــــــ	صلبـــة
(هرم)	←....................	فتيـــة
[صفات سلبية]		[صفات إيجابية]
(معنى ضمني)		**ضرورة عالم الموسيقا**

لفته قصيرة إلى عالم الموسيقا:

وتصـل الإحسـاسات الغريبة التي أطلق عليها أنطوان روكانتان اسم الغثيـان إلـى الـذروة – كما ذكرنا سابقا – مع مشهد الحديقة العامة، أمام شجرة الكستناء:

((كانت شجرة الكستناء تضغط على عيني. لقد كنا كومة من الكائنين المنزعجين ... لم نكن نملك أي سبب لنكون هنا (...) الزيادة على اللزوم (...) هي الصلـة الوحيدة التي أستطيع أن أقيمها بين هذه الأشجار، هذه الحواجز، هـذه الحصـى: شجرة الكستناء، هناك قبالتي إلى اليسار. زائدة عـن اللـزوم... وتمثـال الفـاليدا La Velleda.)) (ص.١٨١)

كـل شـيء حوله زائد عن اللزوم، وفي وسط هذا المشهد الذي يؤدي إلـى كلمـة "العبثية ".. يجد البطل من خلاله مفتاح الكينونة ومفتاح غثيانه يقول:

((مفتاح حياتي كلها (...) أنا قمت منذ حين بتجربة المطلق : المطلق أو العبثي.)) (١٨٢).

في وسط هذه الأجواء العبثية نجد لفتة صغيرة إلى عالم الموسيقا. بعد أن أوغـل فـي عالم الوجودية يذكر الموسيقا.

وهنا لا يستمع إلى نغم أو صوت شجي وإنما يدخل إلى العالم الآخر.عـالم الموسـيقا ليدعم المفارقة التي بدأها ولكن بكلمات قليلة توجز جمالية هـذا العـالم وضرورتـه بالقياس لبشاعة عرضية الوجود.

يذهب البطل بعيدا في حبه للموسيقا إذ يتخيل أن لها دوائر وخطوطـا نقيـة صلبة بالقياس للوجود حيث تختل الرؤية وتفقد الأشياء أشكالها وأسماءها، حيث هناك سقوط إلى الأسفل بالقياس إلى رفعة العالم الآخر وتساميه، عالم الموسيقا.

((إن الدوائر وأنغام الموسيقا، في عالم آخر تحتفظ بخطوطها النقية الصلبـة، ولكـن الكينونة تواتر.)) (ص. ١٨٠)

عرضية عالم الوجود

ســـــقوط	◄------------------------	(صعود) / (تسام)
(أشكال مبهمة)	------------------------►	دوائر وأنغام
(خطوط مشوشة / رخوة)	------------------------►	خطوط نقية وصلبة
تواتر		

ضرورة عالم الموسيقا

جملة واحدة عن الموسيقا تقف أمام ذروة الغثيان لتذكر وبإيجاز صفاتها الرئيسة، النقاوة والصلابة ولتؤكد روعة هذا العالم الآخر.

المشهد الثالث:

وتأتي المرحلة الأخيرة أو بالأحرى خاتمة الرواية. وهو المشهد الثالث الذي يستمع فيه البطل إلى الموسيقا

يستمع للمرة الثانية والأخيرة للأسطوانة التي يحبها في المكان نفسه، مقـهى " لقاء عمال السكك الحديدية " 'Au Rendez – Vous des Cheminots'.ومع الساقية مادلين Madeleine نفسها تأتي اللمسة الأخيرة لهيكل الكتابة والموسيقا لأنه سيغادر مدينة بوفيل Bouville عائدا إلى باريس Paris بعد أن قرر عدم جدوى الدراسات التاريخية.

فعلى نقيض الصفحات الأولى التي بدأت معها حالة الاشمئزاز مع الحصاة، وتفاقمت مع ملامسة الأشياء ورؤيتها ووصلت إلى الذروة، وعندها وجد المفتاح ((لكينوناته)) و ((غثياناته)) عندما فهم عرضية الوجود وعبثيته، توصل البطل إلى قرار مهم ألا وهو " عرضية الوجود " ليترك المكان الأول للأشياء الجميلة وخاصة الكلمة واللحن والغناء الذي أثر في نفسيته، وساعده في القضاء على الغثيان.

وتأتي الصفحات الأخيرة والبطل يكتب في المقهى يشعر بأنه سيصاب بالغثيان ولكنه يحاول تأخيره بالكتابة ولذلك يكتب ما يجول في خاطره. ويذكرنا هذا بافتتاحية الرواية عندما يقرر البطل أن يكتب مذكراته ليتوصل إلى تحديد التغييرات

التي تطرأ عليه لتحديد علاقته، وإحساسه بالأشياء حوله لوصف العالم الخارجي الذي يحيط به، والعالم الداخلي أي إحساساته الغريبة مثل الاشمئزاز والقرف، والجميلة مثل حبه للموسيقا.

نعود إلى اتخاذه قرار الكتابة، لقد قرر أن يكتب من أجل أن يؤخر إصابته بالغثيان الذي يتوافق مع نداء مادلين الساقية، التي تريد أن تسمعه للمرة الأخيرة الأسطوانة التي يحبها.

يكتب ما يجول في خاطره في حبه لتلك النغمات ولذلك الصوت الذي يصدح من آن إلى آخر وسط عالم العرضية ليبدد عرضيته وعبثيته وقباحته ويعطيه، ولأنه ضرورة، معنى ساميا وجمالية والصفاء والروعة خاصة.

وتظهر الأسطوانة مرة أخرى أداة تفتح فضاء الموسيقا. يصف الأسطوانة، خطوطها و دورانها، يبدأ بالشيء المادي الذي مع احتكاك الإبرة يعطي صوتا ونغما.

وتستمر المفارقة عندما يصف البطل حاله:

((لاشك أنني كنت، منذ قليل، بعيدا عن أن أسبح في الغبطة. كنت على السطح أجري حساباتي (...)، وتحت ذلك أيضا يقبع الغثيان خجولا كالفجر.
ولكن في تلك اللحظة، لم يكن ثمة موسيقا، وكنت سئما وهادئا كانت جميع الأشياء التي تحيط بي مصنوعة من المادة التي أنا مصنوع منها، من نوع من الألم القبيح، كان العالم بشعا جدا خارج نفسي...)) (ص ٢٤٢).

يؤكد أنه حزين، سئم، هادئ، ويؤكد ما يسميه بالألم القبيح خاصة وأن العالم قبيح جدا، ليعطي بحركة ماهرة خاتمة قصته حيث يمجد الموسيقا والأدب - إلى جانب ما يسميه " ألما قبيحا " يولد ألم صغير يسميه ألما نموذجيا مع بدء أغنية الساكسفون، مع الألحان الأربعة من الساكسفون.

ويبدأ الحوار مع بدء الأغنية فالألحان الأربعة تروح وتجيء وكأنها تقول:

((يجب أن تفعل مثلنا، يجب أن تتألم بقدر مقياس موسيقي ...))(ص ٢٤٢)

ألم صفاته أنه على المقياس الموسيقي Mesure من غير التذاذ، من غير شفقة على

نفسه، وبطهارة قاسية. ويذهب بعيدا في جدله الفلسفي ليصف الألم بأنه غير كـائن أي أنه ليس فيه ما هو زائد على اللزوم.

ونصـل إلى الهدف إلى ما يريد البطل، يريد أن يكون، وهنا يسـتعمل فعـل 'être' باللغة الفرنسية مما يخلق التباسا مع فعل ' existe' الذي يترجم بأكون أو أوجد أيضا. يريد أن يطرد الكينيونة من داخله (existence):

((أن أفرغ اللحظات من شحمها وأن ألويها وأجففها، وأن أتطهر وأتصلب، لكي أنتهي إلى إطلاق صوت واضح دقيق لنغمة الساكسفون)) (ص. ٢٤٣)

هنـا أيضا توجد كثافة دلالية، فعندما يقول: إنه يريد أن يفرغ اللحظات من شـحمها، هذا يتضمن أن اللحظات في عالم آخر لا يوجد فيها شحم، عندما يقول: إنه يريـد أن يجففها فهذا يدل على أنها رطبة في عالم، ويجب أن تكون ناشفة في عالم آخر. وهـذا ما يتميز به أسلوب سارتر في تقديم فلسفة وجودية لا تخلو من الشـاعرية، إذ علـى القارئ أن يبحر للبحث عن المفارقات والبحث عن المعنى الضمني. ونعيـد ترتيـب المكونات على محور التناقض ما بين العالمين.

عرضية الوجود (Exister)

الزمن / اللحظات فيها شحم (ثقيلة)	←	أفرغ اللحظات من شحمها (لحظات من دون شحم =خفيفة)
(مسـتقيمـة)	←	ألويها (خطوط ملتوية،دوائر؟)
(اللحظات رطبة)	←	أجففها (جافة)
(أنا قذر / بخس)	←	أتطهر (طهارة)
ألـم قبيـح	—	ألم نموذجي / ألم صغير
(لـذة شـهوة)	←	من غيـر التذاذ
(شـفقة ؟)		من غيـر شفقة
(بخاسة / دعارة)	←	بطهـارة قاسية
عـالم بشـع	→	(عـالم جميل)
(وجود)		(جوهر)
Existence		Essence

ضرورة الموسيقا (être)

ويبدأ الغناء

((وفي تلك اللحظة بالذات، وفي الناحية الأخرى من الوجود، في هذا العالم الآخر الذي يمكننا أن نراه من بعيد، ولكن دون أن نقترب منه، يبدأ لحن قصير بالرقّص بالغناء: " يجب أن تكونوا مثلي، يجب أن نتألم بقدر مقياس موسيقي."

وتناهى إلى سمعي الصوت مغنيا:

Some of these days	في يوم من الأيام
You `ll miss me honey	ستفتقدني يا حبيبي !)) (ص.٢٤٤)

وقد اخترنا هذا المقطع لنبدأ به هذه الدراسة لجماليته في وصف عــالم الموســيقا الذي يبــدو دائمــا وكأنه بعيد المنال يختلط من خلاله الجمـــال بالألـــم. ويصــف الأغنية بأنهــا "نضــرة، صلبة"، وبأن الموسيقا كائنة، وهو أيضا يريد أن يكـــون مثلها، يقول:

((إنها غير موجودة لأنها ليس فيها شيء زائد. وإنما كل ما تبقى هو الزائد بالقياس إليها، إنها كائنة وأنا أيضا أردت أن أكون. (ص. ٢٤٣)

"Elle n' existe pas puisqu'elle n' a rien de trop:
c'est tout le reste qui est trop par rapport à
elle – elle est.
Et moi aussi j' ai voulu être.))

وهنا يكمن التغير الأساسي فبعد أن كان وجوده عرضيا مثل كل شيء حوله وكما رأينا سابقا، يتوصل هنا إلى السكينة، أي أنه أصبح كائنا، فكما الموسيقا تكون هو أيضــا يكون أو يتجوهر.

أي أنه يتحول من الوجود إلى الماهية أو الجوهر. في الفكر الوجودي الإنسان يكـــون موجودا (عبارة عن وجود) مثل أي شيء مادي الكرســـي أو الطاولــة، الإنســان يستطيع أن يتجوهر بمعنى أن يصنع ماهيته عن طريق امتلاك العقل، ويبقى الكرسي أو الطاولة عبارة عن وجود. (أو أن الوجود يسبق الماهية كما نقرأ في أي كتاب عـن فلســفة الوجود).

ويصمت الصوت ويسرح البطل بخاطره مفكرا بالكاتب الذي ألف الأغنية، وكل مــا

نعرف عنه أنه أمريكي يفكر بأنه سيغادر هذا المكان ((بعد ربع ساعة، سأكون في القطار.)) ولكن هذا لا يمنع من التفكير في الأغنية.

وهنا يطلب من ((مادلين)) أن تعيد الأسطوانة قبل أن يذهب، وللمرة الأخيرة، وما هي إلا خاتمة الرواية. يستمر البطل بكتابة ما يجول بخاطره أثناء الاستماع إلى الغناء: يشبه المؤلف والمغنية بأبطال الرواية أو بالموتى نوعا ما لأنه لم يعد لهم وجود (وهنا نشير إلى ص ١٥. حيث تطرقنا سريعا إلى مفهوم الشخصية الروائية).

المهم عنده هو ((تلك العذوبة)) التي تبقى ومع هذه المرة الثانية يصف نفسه:

((و إنما أنا شخص قد تجمد تماما بعد رحلة في الثلج، ثم دخل فجأة في غرفة دافئة وأظن أنه سيبقى متجمدا أمام الباب. ما يزال يشعر بالبرد، وإن ارتعاشات طويلة ستسري في جسمه

Some of these days
You ll miss me honey

أتراني لن أستطيع أن أجرب، طبعا ليست القضية قضية لحن موسيقي.)) (ص. ٢٤٧)

ويقرر أن يكون ميدان تجربته كتابا لأنه لا يحسن صنع أي شيء آخر بعيدا عن التاريخ. يريد أن يجد سره الناس خلف الكلمات المطبوعة:

((.. بشيء لن يكون، شيء فوق الكينونة حكاية مثلا، كتلك التي لا يمكن أن تحدث، مغامرة. وينبغي أن تكون جميلة، قاسية كالفولاذ، وأن تجعل الناس يخجلون بكينونتهم...))

قرر أن يكتب رواية وهل هناك شك بأنه أتم رواية جميلة، قاسية كالفولاذ، تحتاج جهدا كبيرا لينفذ القارئ إلى مجاهلها ليصل إلى قرارها مع تلك المفارقات التي تبدو للوهلة الأولى غير معقولة وغير مقبولة. ولكن وبالدراسة والتحليل نتوصل إلى ترتيب هذه الأجواء التي أبدع جان بول سارتر في خلقها.

فالقارئ الملول يترك الكتاب منذ الصفحات الأولى، ما هذا الهذيان ؟ وحتى العنوان يقوم على خلق حواجز قد تنفر القارئ العادي من الكتاب ولكن هذا التمييز وحب الإثارة والاستفزاز عند سارتر دعاه إلى اختيار عنوان غير عادي، ويذكرنا بالطاعون

لألبير كامو La peste / Albert Camus، أو الاحتقـــار لمورافيـا de Le mépris Moravia، ومن ثم الانقطاعات في السرد، والأجواء الغريبة للرواية أسماها بعضـهم جمالية باروكية، نسبة إلى العهد الباروكي (Esthétique Baroque)، تعتمــد علـى الاختلاف والتمييز من غيرها فحتى كلمات الأغنية احتفظ بها باللغة الانكليزيـــة ولـم يترجمها مما يخلق أيضا نوعا من الفرادة. ونحن أيضا ذكرناهـــا كمـا هـي ولكـن ترجمناها لجمال معناها.

ولئن وصفنا هذا الكتاب بـــ ((الباروك)) وقبلنا ذلك، فذلك بسبب فرادتـــه وغرابتـه بالقياس للروايات. وكما وصفته جوليا كريستيفا* Julia Kristeva (في لقاء مع " المجلـة الأدبية "[1] على الرغم من أن البنيوية كانت معاكسة للوجودية) بأنـــه تحفـة نـادرة. صحيح أنه يتكلم عن وحدة أنطوان روكانتان ولكن كما رأينا، أعطى جان بول سارتر مكانا خاصا للموسيقا يبرز وسط عالم الوجودية أو العبثية العرضي، من خلال مشاهد ثلاثة قصيرة يكـون فيها البطل في مقهى يستمع إلى أسطوانة مغنية زنجية فـي الأول والثالث، في بداية الرواية وفي نهايتها، على حين يستمع إلى أغنية أخرى في حانـة المارين حيث تنقذه الموسيقا من الازدواجية. كما اختفى الغثيان عندما ســمع الغنـاء الأولى. ومع النهاية تغلب عـلى الغثيان بمســاعدة الموسيقا، ولكــن مــن أجـل أن يكتمل العمل يجب أن يكتب، وهذا ما فعله.استمر في الكتابة حتى النهاية حتى يقـول الناس: إن ((أنطوان روكانتان كتب، هذا الشـخص الأصهب الذي يرتاد المقـاهي.))(ص ٢٤٨). هذا الشخص أو بالأحرى الشـخصية الروائية الفريدة من نوعها، والتي خلقت أجواء.

[1] Magazine littéraire .n° 344 Paris juin 1996.

Entretien Julia Kristeva. propos recueillis par Bernard Fauconnier

* جوليـا كريســتيفا: رئيسة قسم دراسات علوم النصوص والوثائق في جامعـــة باريس ٧ (U.F.R Sciences des textes et documents. Université Paris7). تـــدرس في الجامعة نفسها. لها كتابات عديدة في الأدب واللسانيات وعلم النفس وعدة روايات.

متميزة متناقضة بقدر ما تنفرنا في البداية بقدر ما نحبها ونتعلق بها بعد أن نفهمها بعد أن نبحر بحثا عن هذه المعادلات الغريبة، والتي بعد الدراسة نجد أنها تقوم على علاقات منطقية مقنعة، عميقة. ففي عالم الوجود انعدم التواصل حيث ينغمس البطل في وحدته. على حين في عالم الموسيقا جاءت النغمة والصوت لتعيد الانسان إلى حالته الطبيعية، إلى عالم الحوار الفريد من نوعه إلى الموسيقا لتؤكد ضرورته.

فهل وفقنا يا ترى في إجراء المحاورة ما بين قيمتين منطقيتين، ومن خلال اللجوء إلى المربع السيميائي إلى إيضاح عرضية الوجود وضرورة الموسيقا ؟

المصادر والمراجع

1- Foulquié P., (1947), L' existentialisme, Paris, P.U.F,
Que sais- je ? n° 253, 18 ème édition 1979.

2- Greimas A.J. , Courtès , (1979) , Sémiotique , Dictionnaire raisonné de la théorie du langage ,
Paris , hachette.

3- Hegel G.W.F. , (1997) , Esthétique , Paris , Flammarion , troisième volume Chapitre III, p.p. 319-391.

4- Raimond Michel, (1981), Le roman depuis la Révolution, Paris, Armand Colin collection U.p.p. 175-251

5- Sarane Alexandrian, (1969) , Dali, Paris, Fernand Hazau.

6- Sartre Jean-Paul, (1938), La Nausée, Paris, Gallimard, réédition Folio, 1978.

* تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ٣/٤/١٩٩٧.

البيبليوغرافيا الوطنية السورية

د. نزار عيون السود
قسم المكتبات ـــ كلية الآداب
جامعة دمشق

الملخص

لم يقدر للمطبوعات والإنتاج الفكري في مختلف ميادين المعرفة في القطر العربي السوري سابقاً، أن تجمع وتنسق ويتم التعريف بها من خلال بيليوغرافيا وطنية بكل معنى الكلمة. ورغم أن القرار التشريعي رقم (٣٥) الصادر في ٨ تشرين الأول ١٩٤٩ قد وضع أسس نظام الإيداع القانوني، إلا أنه لم يترجم إلى ببليوغرافيا وطنية تسجل تراث القطر العربي السوري في مختلف ميادين العلم والمعرفة والإنتاج الفكري. وقد صدرت عن وزارة الثقافة بدمشق النشرة المكتبية، التي حاولت تغطية كل ما نشر في سورية من مطبوعات خلال الأعوام ١٩٧٠-١٩٧٤، لكن هذه النشرات لم تكن لتغطي فعلاً كافة ما يصدر في القطر، لأن الجهة التي كانت تصدرها لم تكن تحصل على نسخ إلزامية من كل ما يصدر في سورية لهذا كانت محتوياتها ناقصة، ولا تفي بالغرض المطلوب من الببليوغرافيا الوطنية.

وفي ١٦ تشرين الثاني عام ١٩٨٣ تم افتتاح مكتبة الأسد (المكتبة الوطنية في القطر العربي السوري) التي حققت إنجازاً ثقافياً هاماً في سورية. وكانت تلبية للحاجة العامة إلى مكتبة وطنية حديثة. ومع إنشاء هذه المكتبة وافتتاحها تم وضع نظام الإيداع القانوني موضع التنفيذ حيث أوجبت المادة ١٧ من مرسوم إحداث المكتبة على كل مؤلف سوري ينشر مؤلفاته داخل القطر أو خارجه أن يودع لدى المكتبة خمس نسخ من مؤلفه. وقد وضع هذا النظام موضع التطبيق في أوائل عام ١٩٨٤. وفي

عام ١٩٨٥، صدر المجلد الأول من (البيليوغرافيا الوطنية السورية) لعام ١٩٨٤. وقد اشتمل هذا الإصدار الأول على:

١ – بيانات وصفية لجميع ما ورد إلى المكتبة من مطبوعات خلال عام ١٩٨٤ بموجب نظام الإيداع القانوني.

٢ – جميع ما تيسر للمكتبة أن تجمعه لتاريخ صدور هذا المجلد من مطبوعات سورية في السنين السابقة .

والهدف من تضمين هذه النشرة البيانات الوصفية للمطبوعات الصادرة في السنين السابقة هو سد الثغرة الحاصلة في رصد المطبوعات السورية المنشورة في الفترة ما بين صدور آخر نشرة مكتبية للمطبوعات السورية عام ١٩٧٤ والإصدار الأخير هذا من البيليوغرافيا الوطنية السورية.

اعتمد اصدار (البيليوغرافيا الوطنية السورية) ١٩٨٤ –في التوصيف البيليوغرافي للمؤلفات الواردة فيه على قواعد التقنين الدولي للوصف البيليوغرافي (تدوب ISBD). واعتمد في التنظيم الأساسي لمواد البيليوغرافية على خطة تصنيف ديوي المعدل، حيث جمعت المؤلفات ورتبت وفقاً لرموز خطة تصنيف ديوي. وضمن الرمز الواحد رتبت المؤلفات هجائياً، وفق مداخل المؤلفين، وإذا تعددت أعمال المؤلف الواحد تحت نفس الرمز الموضوعي رتبت مؤلفاته هجائياً حسب العنوان وأعطيت المؤلفات عموماً أرقاماً متسلسلة بهدف سهولة العودة إليها من خلال الكشافات الملحقة.

وقد ضم هذا الإصدار الكشافات الملحقة التالية: كشاف هجائي بأسماء المؤلفين والمشاركين ـــ كشاف هجائي بالعناوين ـــ كشاف هجائي برؤوس الموضوعات المستخدمة في النشرة –كشاف هجائي بأسماء دور النشر الواردة في النشرة.

ومن أجل تغطية السنوات السابقة، أي قبل عام ١٩٨٤، تقوم مكتبة الأسد الوطنية الآن بإعداد البيليوغرافيا الوطنية الراجعة، بحيث تغطي في عدة مجلدات كافة المطبوعات السورية الصادرة قبل هذا العام.

"الضبط البيليوغرافي للإنتاج الفكري في الجمهورية العربية السورية"

"مكتبة الأسد الوطنية ترسي قواعد البيليوغرافيا الوطنية السورية"

مقدمة:

يعد العمل الببليوغرافي المنظم خير دليل للإنتاج الفكري في مختلف ميادين العلم والمعرفة والثقافة، سواء على المستوى القطري أو القومي أو العالمي. وتحتل الببليوغرافيا الوطنية مكان الصدارة بين أنواع الببليوغرافيا العامة الأخرى، كما أنها من أقدم أنواعها، لما لها من أهمية كبيرة في حصر الإنتاج الفكري الوطني وتعريف أبناء كل بلد بإنتاجهم الفكري، وتعريف البلدان الأخرى بهذا الإنتاج، وتحقيق التواصل بين الثقافات والشعوب.

فالببليوغرافيا الوطنية هي سجل للتراث الثقافي في أي قطر، ومرآة صادقة تعكس الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية العلمية والثقافية لكل شعب وكل دولة. لهذا، ليس من المستغرب أن تصبح الببليوغرافيا الوطنية رمزاً أساسياً من رموز كل دولة، مثلها مثل النشيد الوطني والشعار الوطني والعلم الوطني. وتقدم الببليوغرافيا الوطنية خدمات جلى للباحثين في مختلف الاختصاصات، سواء على مستوى القطر الواحد أم على مستوى جميع الأقطار والدول، كما أنها تعمل على تحقيق التواصل الفكري بين الأقطار والشعوب والبلدان من خلال إطلاع الباحثين في كل قطر على الببليوغرافيات الوطنية للأقطار الأخرى.

تنقسم الببليوغرافيا، كما هو معروف، إلى فئتين رئيستين:

١- **الببليوغرافيا العامة:** وتضم إلى جانب الببليوغرافيا الوطنية، الببليوغرافيا العالمية، والإقليمية، والتجارية، والنقدية، والمختارة.

٢- **الببليوغرافيا المتخصصة:** وتضـم الببليوغرافيـا الموضوعيـة، وببليوغرافيـا الببليوغرافيات، وببليوغرافيا الأشكال الأدبيـة، والأفـراد، والطبعـات المتعـددة وغيرها[١].

وقد ظهر مصطلح الببليوغرافيا الوطنية للمرة الأولـى فـي كتـاب "الموجـز فـي الببليوغرافيا Grundriss der Bibliographie"، الذي صدر عام ١٧٧٤ للعالم النمسـاوي ميخائيل دينيس أمين مكتبة الامبرطورة ماري تيريز. وكانت "الببليوغرافيـا الوطنيـة الفرنسية Bibliographie de la Franse الببليوغرافية الوطنية الأولى في العالم، حيـث بدأت بالصدور منذ عام ١٨١١. وبدئ باستخدام هذا المصطلح عالمياً منـذ المؤتمـر الببليوغرافي الأول الذي عقد عام ١٨٩٥[٢].

وقد تنبهت الأقطار العربية، بعد حصولها علـى الاسـتقلال الوطنـي، إلـى أهميـة الببليوغرافيا الوطنية، فبدأت باصدار ببليوغرافياتها الوطنية منذ أوائل النصف الثـاني من القرن العشرين. وكانت مصر أول دولة عربية تصدر ببليوغرافية وطنيـة باسـم "النشرة المصرية للمطبوعات" وذلك في عام ١٩٥٥، تلاها العراق الذي أصدر العـدد الأول من ببليوغرافيته الوطنية عام ١٩٦١ تحت عنوان "نشرة الإيـداع للمطبوعـات العراقية" ثم تلتها الأقطار العربية الأخرى.

١- مفهوم الببليوغرافيا الوطنية:

لم يتفق العلماء والمختصون على مفهوم واحد وعلى تعريف موحد، شـامل وجـامع لمصطلح الببليوغرافيا الوطنية، حتىأن المؤتمر الببليوغرافي العالمي الذي عقـد فـي وارسو عام ١٩٧٥ قد أقر بوجود هذا الاختلاف بين العلماء حول مفهوم الببليوغرافيـا الوطنية. ويرجع هذا الاختلاف في مفهوم الببليوغزافيا الوطنية إلى عدة أسباب، أهمـها اختلاف التطور التاريخي للدول والشعوب[٣].

وينعكس هذا الاختلاف في مفهوم الببليوغرافيا الوطنية على إصداراتها في مختلف البلدان. فهي تختلف من حيث الأساس الذي تعتمده في تجميع المطبوعات وإدخالها إلى الببليوغرافيات الوطنية. فبعضها يتخذ اللغة أساسا للتجميع، وبعضها يتخذ المكان (حدود الدولة الواحدة) أساسا للتجميع، وبعضها يتخذ جنسية المؤلف أساسا للتجميع.

ورغم اختلاف أسس تجميع الببليوغرافيات الوطنية فهناك ثلاثة عناصر توحد وتجمع بين مختلف إصدارات الببليوغرافيات الوطنية:

١- إن الاهتمام الرئيس في الببليوغرافيا الوطنية أو القومية ينحصر في الإنتاج الفكري لبلد واحد أو لغة واحدة. ولهذا فهي تعارض الببليوغرافيا العالمية.

٢- إن مجال الببليوغرافيا يشمل أجزاء وأقاليم البلد الواحد أو الدولة الواحدة كافة، وهذا ما يميزها عن الببليوغرافيا الإقليمية أو المنطقية.

٣- إن الببليوغرافيا الوطنية هي دائما ببليوغرافيا عامة، أي تشمل المطبوعات بجميع فروع المعرفة وأنواعها، وهذا ما يميزها عن الببليوغرافيا المتخصصة[٤].

وقد عقدت عدة مؤتمرات دولية بخصوص الببليوغرافيات الوطنية، وكان أهمها: المؤتمر الدولي للببليوغرافيات الوطنية الذي نظمته اليونسكو بالتعاون مع الإتحاد الدولي لجمعيات المكتبات IFLA عام ١٩٧٧ في باريس. وقد تمثلت أهداف هذا المؤتمر في التوصل إلى اتفاق حول المتطلبات الضرورية الواجب توفرها في الببليوغرافيات الوطنية، من أجل تأمين وتسهيل التبادل الدولي لهذه الببليوغرافيات، كإعداد المواصفات المقننة أو المقبولة دوليا والمتعلقة بالغلاف والمحتوى والشكل المطلوب في هذه الببليوغرافيات، والاتفاق على قواعد مقبولة ومناسبة بخصوص تصنيف الببليوغرافيات الوطنية وتبويبها وتنظيمها ومواعيد صدورها. وقد أصدر المؤتمر (٢٣) توصية تتعلق بالمحاور الرئيسة التالية:

- الإيداع القانوني وضرورة تشريعه ومدى شموليته وتلبيته للمتطلبات المعاصرة.

- اختيار المواد للببليوغرافية الوطنية ومدى شمولها لأوعية المعرفة والمعلومات كافة.

- إصدار الببليوغرافية الوطنية (وكيفية عرضها وتقديمها، وحجمها وما يجب توافره في صفحة العنوان من معلومات).

- بطاقات الفهرسة وإمكانية تنظيمها حسب التقنيات الدولية.

- محتويات السجل الببليوغرافي وضرورة الأخذ بتقنينات ببليوغرافية دولية مثل التقنين الدولي للوصف الببليوغرافي (تدوب ISBD) والرقم الدولي الموحد للكتاب ISBN والرقم الدولي الموحد للدوريات ISSN.

- منشورات المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية وضرورة تغطيتها ببليوغرافية للنشرات

- أنظمة الإعلام وضرورة استخدامها للببليوغرافيات وتبادلها بين مراكز المعلومات.

- المشاركة في المصادر المكتبية وتقديم المساعدة للدول غير القادرة على إصدار ببليوغرافياتها الوطنية على إصدارها، بالتعاون مع اليونسكو والمنظمات المشابهة.

- ضرورة تأسيس مراكز وطنية أو إقليمية للنظام الدولي للمعلومات الدورية ISDS وربطها بالهيئات الوطنية المصدرة للببليوغرافيات الوطنية(٥).

٢-البيليوغرافيات القومية العربية-هدفنا:

إنّنا في دعوتنا إلى إصدار ببليوغرافيات وطنية، قطرية، وتحقيق الضبط الببليوغرافي للإنتاج الفكري في كل قطر عربي، لا ننطلق من دوافع إقليمية أو قطرية، بل نسعى من وراء ذلك إلى تحقيق الضبط الببليوغرافي للإنتاج الفكري على مستوى الوطن العربي كله، وإصدار الببليوغرافيا القومية العربية الشاملة. وهذا أمر لا يمكن أن يتحقق، من الناحية العملية، إلاّ انطلاقاً من الببليوغرافيات الوطنية القطرية وتجميعها في ببليوغرافية قومية عربية شاملة، ومن تحقيق الضبط الببليوغرافي للإنتاج الفكري في كل قطر أولاً. ولا بد من الإشارة هنا، إلى جهود إدارة التوثيق والإعلام في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليكسو)، وأن نشيد بهذه الجهود، التي تجسدت باصدار "النشرة العربية للمطبوعات"، بصورة دورية منتظمة، إلى حد ما، منذ عام ١٩٧٠ وما تزال مستمرة حتى الآن. وتعتمد هذه النشرة، في محتوياتها وبياناتها الببليوغرافية، على ما يردها من بيانات ببليوغرافية عن الإنتاج الفكري في كل قطر من الأقطار العربية، ومما يؤسف له، أن هذه البيانات لا ترد أحياناً من هذا القطر أو ذاك، فتبقى النشرة ناقصة، ولا تغطي تغطية كاملة الإنتاج الفكري كافة في الوطن العربي. كما أن هذه النشرة تقتصر على الكتب ولا تشمل مقالات الدوريات العربية.

من هنا، يتضح جلياً، أن الببليوغرافيات الوطنية القطرية تبقى النواة الأساس والعمود الفقري الذي ترتكز إليه الببليوغرافيا القومية العربية الشاملة.

٣- الضبط الببليوغرافي للإنتاج الفكري في الجمهورية العربية السورية

آ- المحاولات الأولى:

لم يقدر للإنتاج الفكري في الجمهورية العربية السورية، في السابق، أن يجمع ويحصر وينسق وينشر، ويتم التعريف به من خلال ببليوغرافية وطنية بكل معنى الكلمة. ورغم أن القرار التشريعي رقم (٥٣)، الصادر في تشرين الأول (أوكتوبر) عام ١٩٤٩ قد وضع أسس نظام الإيداع القانوني، إلا أن هذا القرار لم يوضع موضع التنفيذ، ولم يترجم إلى ببليوغرافية وطنية تسجل تراث القطر العربي السوري في مختلف ميادين الإنتاج الفكري.

ومن المحاولات الأولى في هذا المجال، تجدر الإشارة إلى جهود وزارة الثقافة التي أصدرت في أوائل السبعينات "النشرة المكتبية للمطبوعات السورية". وهي نشرة من إعداد السيد زهير بقلة[٦]، وقد صدرت منها أربع نشرات سنوية في أعوام ١٩٧٠، ١٩٧١، ١٩٧٢، ١٩٧٣. لكن هذه النشرات لم تستطع تغطية كل ما صدر فعلاً خلال هذه السنوات، بل اقتصرت على منشورات وزارة الثقافة وبعض المطبوعات الأخرى التي كانت تصل إلى الوزارة، ذلك لأن الجهة التي أصدرتها لم تكن تحصل على نسخ إلزامية من كل ما يصدر في سورية، سواء دور النشر الخاصة أو العامة الرسمية. ولهذا كانت محتوياتها ناقصة، ولا تفي بالغرض المطلوب من الببليوغرافية الوطنية والضبط الببليوغرافي الوطني، ولا يمكن عدّها ببليوغرافية وطنية بكل معنى الكلمة. وقد رتبت البيانات فيها ترتيباً موضوعياً، حسب تصنيف ديوي العشري المعدل، واقتصرت الكشافات فيها على كشّاف المؤلفين.

هذا بالنسبة للضبط الببليوغرافي للكتب، أما على صعيد الدوريات، فقد كانت هناك بعض المحاولات الخاصة المتفرقة، التي تمثلت في عدد من أدلة الدوريات السورية

مثل "الدوريات السورية خلال ربع قرن ١٩٤٥-١٩٧٠"*، "تاريخ الصحافة السورية" في جزئين (دار المعارف بمصر -١٩٦٩)، "تاريخ الصحافة السورية العربية" (د. محمود عليان المشوط، جامعة دمشق ١٩٨٦)، "تطور الصحافة السورية في مائة عام ١٨٦٥ - ١٩٦٥" في جزئين (د. جوزيف الياس، دار النضال، بيروت ١٩٨٣). غير أن هذه الأدلة كانت مجرد أدلة بأسماء الدوريات مع بيان اتجاهاتها وتخصصاتها وأسماء أصحابها ورؤساء تحريرها، ولم تكن ببليوغرافيات تحليلية لمحتويات هذه الدوريات[٧].

ب- البداية الحقيقية للضبط الببليوغرافي:

في ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٨٤ تم افتتاح مكتبة الأسد الوطنية، التي حققت إنجازا ثقافيا هاما في سورية، وجاءت تلبية لحاجة ماسة أكيدة إلى مكتبة وطنية حديثة ومركز ببليوغرافي وطني يحصر الإنتاج الفكري السوري ويسجله، وينشره في إصدارات ببليوغرافية وطنية منتظمة، تلبي حاجة الباحثين داخل القطر وتعرف البلدان والشعوب الأخرى به.

وبعد تشييد المكتبة وتجهيزها، حتى قبل افتتاحها، صدر نظام الإيداع القانوني ووضع موضع التنفيذ الفعلي، حيث أوجبت المادة /١٧/ من مرسوم إحداث المكتبة على كل مؤلف سوري ينشر مؤلفاته داخل القطر أو خارجه أن يودع لدى المكتبة /٥/ خمس نسخ من مؤلفه[٨]. وقد وضع هذا النظام موضع التطبيق الفعلي في أوائل عام ١٩٨٤.

وفي عام ١٩٨٥، صدر المجلد الأول من "الببليوغرافيا الوطنية السورية" لعام ١٩٨٤. واشتمل هذا الإصدار الأول على:

"١- بيانات وصفية لجميع ما ورد إلى المكتبة من مطبوعات صادرة خلال عام ١٩٨٤ بموجب نظام الإيداع القانوني.

* لم نعثر على هذا الدليل في جميع مكتبات مدينة دمشق، بما فيها مكتبة الأسد الوطنية ودار الكتب الظاهرية، ومكتبات جامعة دمشق. - المؤلف -

٢- بيانات وصفية عن جميع ما تيسر للمكتبة أن تجمعه حتى تاريخ صدور هذا المجلد من مطبوعات سورية خلال السنين السابقة"[٩].

والهدف من تضمين هذا المجلد البيانات الوصفية للمطبوعات الصادرة في السنين السابقة هو سد الثغرة الحاصلة في رصد المطبوعات السورية المنشورة في الفترة ما بين صدور آخر نشرة مكتبية للمطبوعات السورية عام ١٩٧٣ والإصدار الأول من الببليوغرافيا الوطنية السورية.

ونظرا لعدم اشتمال هذا الإصدار على مطبوعات عام ١٩٨٤ جميعها، فقد صدر ملحق لهذا المجلد عام ١٩٨٧، يضم القسم الباقي من مطبوعات عام ١٩٨٤ التي لم تدخل ضمن المجلد الأول.

وقد قررت مكتبة الأسد الوطنية، في إطار تنظيم إصداراتها من الببليوغرافيات الوطنية السورية، الالتزام بأكبر قدر ممكن من التوصيات الصادرة عن المؤتمر الدولي للببليوغرافيا الوطنية الذي نظمته اليونسكو بالتعاون مع الإتحاد الدولي لجمعيات المكتبات عام ١٩٧٧، وتوفير المتطلبات الضرورية من أجل تأمين التبادل الدولي لهذه الببليوغرافيات. ولهذا السبب، اعتمدت مكتبة الأسد، في توصيفها للمطبوعات، قواعد التقنين الدولي للوصف الببليوغرافي (تدوب ISBD)، ونظمت البيانات داخل كل ببليوغرافية تحت أبواب موضوعية ثابتة وفقا لخطة تصنيف ديوي العشرية المعدلة من قبل المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم، ورتبت الكتب والبيانات تحت كل موضوع ترتيبا هجائيا حسب العنوان، وأعطيت المؤلفات عموما أرقاما متسلسلة بهدف سهولة العودة إليها من خلال الكشافات الملحقة. وقد ألحق هذا المجلد، وكل مجلد مستقبلا، بالكشافات التالية:

- كشاف هجائي بأسماء المؤلفين والمشاركين.
- كشاف هجائي بالعناوين.
- كشاف هجائي برؤوس الموضوعات المستخدمة في المجلد.

وقد استهل هذا الإصدار، وكل إصدار ببليوغرافي مستقبلا، بمقدمة بقلم المدير العـــام لمكتبة الأسد، وقائمة بالرموز والمختصرات المعتمدة في الببليوغرافية[١٠].

وسعيا منها إلى تحقيق الضبط الببليوغرافي للإنتاج الفكري في الجمهوريـــة العربيـــة السورية، بدأت مكتبة الأسد، ومنذ أواسط الثمانينيات بتغطية ورصد الغالبية العظمـــى من أنواع الإنتاج الفكري من خـــلال الإصـــدارات الرئيســـة الأربعـــة التاليـــة مـــن الببليوغرافيات الوطنية:

أولا: الببليوغرافيا الوطنية الجارية:

ويغطي هذا الإصدار جميع الكتُب التي ترد إلى المكتبـــة بمقتضـــى نظـــام الإيـــداع القانوني، والمنشورة في سورية في العام المنصرم لصدور الإصدار (ما عدا النشـــرات السياسية الخاصة بدول أخرى)، وقد يتضمن أيضا بعض المطبوعات التي وردت إلـــى المكتبة متأخرة عن موعد تجميع الببليوغرافية التي يجب أن ترد فيها، فيتم اســـتدراكها في الإصدار اللاحق. أي أن هناك بعض الكتب التي صدرت، على سبيل المثال، عـــام ١٩٩٠، التي كان من الواجب إدراجها في إصدار عام ١٩٩١ ولكن يتم إدراجها فـــي إصدار عام ١٩٩٢ نظرا لتأخرها في الورود إلى المكتبة.
وكان آخر هذه الإصدارات من الببليوغرافيا الوطنية الجارية، إصـــدار عـــام ١٩٩٥ الذي يغطي المطبوعات السورية لعام ١٩٩٣. وهناك مجلد جديد، تحت الطبع، يغطـــي الإنتاج الفكري لعام ١٩٩٤. أما الاصدارات اللاحقة فـــهي جـــاهزة لكنـــها مـــاتزال مخطوطة أو مرقومة على الآلة الكاتبة، وتوضع بين أيدي قراء المكتبة الوطنيـــة، إلا أنها لم تأخذ دورها في الطباعة حتى الآن. إن هذا يعني أنه قد تمـــت تغطيـــة كاملـــة للفترة الواقعة بين ١٩٨٤ - ١٩٩٤ من المطبوعات السورية، كما يعني أيضا أن هناك تأخيرا واقعا في إصدار الببليوغرافيات الوطنية السورية الجارية، وهـــو أمـــر يجـــب تلافيه، رغم الصعوبات التي تلقاها طباعة هذه الدوريات، حيث أن جميع إصـــدارات

مكتبة الأسد تطبع في مطبعة وزارة الثقافة، التي تتحمل أعباء كبيرة ولـم تعـد تفـي بالحاجة.

ثانيا: الببليوغرافيا الوطنية الراجعة:

من المفترض أن تغطي مجلدات هذا الإصدار جميع الكتب المطبوعة التـي سـبق أن نشرت في سورية قبل عام ١٩٨٤، أي قبل إنشاء مكتبة الأسد الوطنية وتبنيها لإصدار الببليوغرافيات الوطنية. وتعد هذه الإصدارات محاولة هامة جـدا لحصـر الإنتـاج الفكري السوري السابق. وتصدر الببليوغرافيا الوطنية الراجعة بصورة غير منتظمـة. وتسهيلا لحصر الفترة السابقة ورصدها وتغطيتها ببليوغرافيا، فقد تم تقسـيمها إلـى أربعة أقسام وتجميعها في أربعة إصدارات على النحو التالي:

آ- الإصدار الأول: ويضم ما صدر عام ١٩٨٤ وما بعده من الكتب ولم يـدرج فـي الببليوغرافيات الجارية، أو الكتب التي صدرت بتاريخ نشر مجهول. وقـد صـدر هذا المجلد عام ١٩٨٧.

ب- الإصدار الثاني: ويضم ما صدر في سورية من الكتب خلال الفترة الواقعة بيـن أعوام ١٩٨١ - ١٩٨٢ - ١٩٨٣. وقد نشر هذا الإصدار عام ١٩٩٢.

جـ- الإصدار الثالث: ويغطي الفترة الواقعة بين ١٩٧٨-١٩٧٩-١٩٨٠. وصدر هذا المجلد عام ١٩٩٥.

د- الإصدار الرابع: ويقع هذا الإصدار في ثلاثة مجلدات ضخمة، كما هو مفـترض، تغطي الإنتاج الفكري السوري المطبوع في عام ١٩٧٧وما قبله.

وكلنا أمل في أن تتمكن مكتبة الأسد في إصداراتـها مـن الببليوغرافيـات الوطنيـة الراجعة من تغطية كل ما صدر في سورية من الكتب منذ بداية دخـول الطباعـة إليها.

ثالثاً: الكشّاف التحليلي للدوريات السورية:

في إطار سعي مكتبة الأسد الوطنية إلى تغطية الإنتاج الفكري ورصده بأوعيته كافة، وسعياً منها إلى استكمال مشروعها الطموح، بدأت مكتبة الأسد الوطنية منذ عام ١٩٨٥ بإصدار الكشّاف التحليلي للصحف والمجلات السورية في إصدارات فصلية. ويتناول كل إصدار تحليلاً لكل ما نشر في الدوريات السورية من مقالات ودراسات وتحليلات علمية وأدبية وسياسية واقتصادية واجتماعية وفنية ورياضية وإدارية، مترجمة أو مؤلفة، خطب المسؤولين والمقابلات الصحفية معهم. وقد استبعدت من هذا الكشاف الأخبار السياسية اليومية والافتتاحية والزوايا الثابتة في الصحف والمجلات، كما استبعدت منه الإعلانات بكافة أنواعها.

رتبت مواد الكشّاف تحت أبواب موضوعية، ليسهل على القارئ الاطلاع على ما نشر في الدوريات تحت موضوع معين. وضمن كل موضوع، رتبت المواد ترتيباً هجائياً بأسماء الكتاب أو المحررين أو بأسماء الصحف، إن لم تكن هناك بيانات تأليف، مع إسقاط كلمات (جريدة، مجلة، وكالة) في هذه الحالة.

وألحق الكشّاف بفهرس هجائي بأسماء الكتاب والمحررين، مع الإشارة إلى أرقام الصفحات التي وردت فيها كتاباتهم ضمن الكشاف، لمساعدة القارئ في الوصول إلى كل ما نشر لكاتب معين. كما ألحقت بكل كشّاف قائمة بعناوين الصحف والدوريات التي تم تحليلها، وقائمة برؤوس الموضوعات المعتمدة في الإصدار، وقائمة الرموز والمختصرات المعتمدة.

وصدر من هذه الكشّافات التحليلية حتى الآن اثنا عشر مجلداً تغطي تغطية كاملة مواد الدوريات السورية خلال أعوام ١٩٨٥، ١٩٨٦، ١٩٨٧. وقد صدر آخر هذه المجلدات عام ١٩٩٧.

ويرجع هذا التأخير في إصدار كشافات الدوريات إلى بعض الإشكالات وضغوط العمل على مطبعة وزارة الثقافة. وقد تم إعداد وتوثيق الدوريات السورية بشكل كامل

حتى عام ١٩٩٣. ومن أجل توفير الكشّافات للباحثين، فقد لجأت إدارة المكتبة إلى نسخ عدد محدود من هذه الكشافات الحديثة المخطوطة، ووضعتها على رفوف المكتبة، بانتظار استبدالها بالمجلدات المطبوعة حين صدورها. ويتضح من هذا أنّ عملية توثيق الدوريات السورية تسير سيراً حسناً إلا أنّها تتأخر كثيراً في الصدور، وهناك تأخير أيضاً ناتج عن البطء في الإعداد.

وهناك خطة لدى إدارة المكتبة لإصدار مجلدات راجعة من هذه الكشافات التحليلية للصحف والدوريات السورية لتغطية السنوات ما قبل عام ١٩٨٥[١١].

رابعاً: الأطروحات الجامعية:

استكمالا للعمل التوثيقي الببليوغرافي الذي أخذته على عاتقها مكتبة الأسد الوطنية، والهادف إلى التعريف بالإنتاج الثقافي الوطني في سورية، ونظرا لأن الأطروحات العلمية تعد مرآة للحركة العلمية والتعليم العالي في البلد، فقد قامت مكتبة الأسد الوطنية بإصدار القائمة الأولى من الأطروحات الجامعية. وتشتمل هذه القائمة على أطروحات الماجستير والدكتوراه التي تمت مناقشتها في الجامعات السورية، أو التي ناقشها الطلبة السوريون خارج القطر وأدخلت إلى مكتبة الأسد منذ عام ١٩٨٤ وحتى نهاية عام ١٩٨٧. وثمة قائمة ثانية من الأطروحات الجامعية قيد الطبع، وستصدر قريبا، وهي تغطي أطروحات الماجستير والدكتوراه بعد عام ١٩٨٧.

رتبت البيانات الببليوغرافية للأطروحات في هذه القائمة ضمن أبواب موضوعية محددة، مشتقة من التقسيم العشري للمعارف. وقد أوردت الأقسام الرئيسة لخطة التصنيف هذه في صفحة خاصة من القائمة بعد مقدمة الإصدار. وضمن الموضوع الواحد تم إدراج الأطروحات حسب لغاتها على النحو التالي:

١- الأطروحات المكتوبة باللغة العربية.

٢- الأطروحات المكتوبة باللغات ذات الحروف اللاتينية (إنكليزي، فرنسي، ألماني، إسباني، إيطالي، تشيكي، بولوني.. إلخ).

٣- الأطروحات المكتوبة باللغات السلافية (روسي، بلغاري، صربي إلخ).

وضمن الموضوع الواحد واللغة الواحدة، تم ترتيب الأطروحات هجائياً بأسماء المؤلفين. وقد أدرجت بيانات الأطروحات بلغاتها الأصلية، وأخذت المعلومات عنها من صفحة عنوان الأطروحة. وأتبعت بيانات الأطروحة المكتوبة بلغات أجنبية بتعريف موجز بمضمونها باللغة العربية.
وقد ألحقت هذه القائمة بكشاف هجائي بأسماء مؤلفي الأطروحات. وجاء هذا الكشاف الهجائي باللغة العربية نظراً لأن جميع المؤلفين هم عرب سوريون.
إنّ هذا الإصدار للأطروحات الجامعية غير منتظم، وهو يعتمد على توافر عدد كاف من الأطروحات الجديدة الواردة إلى مكتبة الأسد[١٢].

نتائج البحث:

استعرضنا في الصفحات السابقة أهم ما أنجزته مكتبة الأسد الوطنية على صعيد الضبط الببليوغرافي للإنتاج الفكري في الجمهورية العربية السورية، وهو إنجاز كبير، بلا شك، وجهد مشكور للمكتبة والقائمين عليها. ويتمثل هذا الإنجاز في الرصد الببليوغرافي للكتب الصادرة في سورية عن طريق الببليوغرافيات الوطنية الجارية والراجعة، وفي رصد محتويات الدوريات السورية من خلال الكشافات التحليلية للدوريات السورية، ورصد وتغطية رسائل الماجستير والدكتوراه للطلبة والباحثين السوريين داخل القطر وخارجه، من خلال كشّاف الاطروحات الجامعية. ولكن، ثمة بعض الملاحظات حول موضوع الضبط الببليوغرافي للإنتاج الفكري في سورية يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

١)- إن نظام الإيداع القانوني الذي بُدئ بتطبيقه عام ١٩٨٤ في الجمهورية العربية السورية يشمل أيضاً أعمال الموسيقيين السوريين، حيث تتسلم المكتبة نوتة موسيقة

لكل لحن، كما يشمل أعمال الفنانين التشكيليين السوريين، حيث يتم نسخ أعمالهم على شرائح أفلام وبطاقات مصورة تحفظ في المكتبة، وكذلك الأمر بالنسبة للمواد الثقافية الأخرى من خرائط وإعلانات غير تجارية وجداول وبيانات غيرها.. إلا أن هذه الأوعية والمواد الثقافية السورية لم تدخل حتى الآن ضمن التغطية الببليوغرافية، بالرغم من أهميتها الكبيرة. ونأمل أن تقوم مكتبة الأسد بتغطية هذه المواد الثقافية الهامة ورصدها رصداً ببليوغرافيا كاملاً، حيث أن هذه المواد الثقافية المتنوعة تشكل جزءاً لا يتجزأ من تراثنا وإنتاجنا الفكري الذي نعتز به ونفخر، وعلينا أن نسجلهِ ونحفظه للأجيال القادمة، وأن نعرضه، ونطلع الشعوب والبلدان الأخرى عليه بالشكل الببليوغرافي المناسب.

٢- نصت توصيات المؤتمر الدولي للببليوغرافيات الوطنية الذي نظمته اليونسكو بالتعاون مع الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات "أفلا IFLA" الذي عقد في باريس عام ١٩٧٧، بخصوص إصدار الببليوغرافية الوطنية "على أن تصدر الببليوغرافية الوطنية، بصورة فصلية، كحد أدنى مع تجميع سنوي على الأقل"[١٣]. والهدف من هذه التوصية هو التغطية السريعة والإعلام الببليوغرافي السريع عن الإنتاج الفكري. هذا في حين أنّ إصدارات الببليوغرافيا الوطنية السورية هي إصدارات سنوية، وتخلو من الإصدارات الفصلية، هذا عدا عن أنّ الإصدارات السنوية ذاتها ليست منتظمة بكل معنى الكلمة، حيث إنّ الإنتاج الفكري لعام ١٩٩٣، مثلاً، قد صدر عام ١٩٩٥. وهذا يعني أن الباحث لن يتمكن من معرفة الإنتاج الفكري السوري من الكتب والمطبوعات قبل انقضاء عامين أو أكثر على صدوره.

٣) ثمة تأخير ملحوظ كبير في صدور الببليوغرافيات الوطنية السورية الجارية وكشّافات الدوريات السورية، وهذا التأخير يرجع في الغالب، كما يتضح من مقدمات الببليوغرافيات الوطنية والكشافات التحليلية، إلى صعوبات تتعلق بالطباعة. حيث أن جميع إصدارات مكتبة الأسد الوطنية يجرى طباعتها في

مطبعة وزارة الثقافة السورية. وهذه المطبعة أصبحت عاجزة عن تلبية طلبات الوزارة كافة من المطبوعات المختلفة في أوقاتها المحددة. ولا بد لمكتبة الأسد الوطنية من أن تتلافى هذا التأخير، عن طريق إيجاد حل لمشكلة الطباعة، بحيث يجري نشر الببليوغرافيات الوطنية والكشافات التحليلية في أوقاتها المحددة.

٤) نسجل لمكتبة الأسد تقيدها ببقية التوصيات الصادرة عن المؤتمر الخاص بإصدار الببليوغرافيات الوطنية، الذي سبق ذكره، وبخاصة فيما يتعلق بالمواصفات القانونية، وقواعد التقنين الدولي للوصف الببليوغرافي، والتبويب والتنظيم، والشكل المطلوب لهذه الإصدارات الببليوغرافية الوطنية، والمحتوى والغلاف والحجم.

٥) نقترح على مكتبة الأسد، وربما من باب التخفيف من أعباء الطباعة، أن تقوم بإصدار عدد محدود من النسخ المطبوعة من هذه الببليوغرافيات، بحيث يكفي لتزويد المكتبات العربية داخل القطر وخارجه، وللتبادل مع المكتبات ومراكز المعلومات العالمية، على أن تطبع غالبية النسخ على أقراص ممغنطة مضغوطة "سيدروم C.D.Room"، لا سيما وأن أجهزة الحواسيب أصبحت منتشرة على نطاق واسع في الجامعات والمكتبات ومراكز المعلومات والبحث العلمي، ولا سيما أن هذه الأقراص أقل تكلفة من الطباعة على الورق.

ختاما، لنا وطيد الأمل في أن تنهض مكتبة الأسد الوطنية بمسؤوليتها كاملة في تحقيق الضبط الببليوغرافي للإنتاج الفكري في سورية على أفضل وجه، وأن يكون عملها لبنة هامة في تحقيق الضبط الببليوغرافي للإنتاج الفكري على صعيد الوطن العربي، حتى يتحقق الأمل المنشود بإصدار ببليوغرافية قومية عربية.

ملخص ورقة العمل:

لم يقدر للمطبوعات والإنتاج الفكري في مختلف ميادين المعرفة في القطـــر العربـــي السوري سابقاً، أن تجمع وتنسق ويتم التعريف بها من خلال ببليوغرافيا وطنية بكـــل معنى الكلمة. ورغم أن القرار التشريعي رقم (٣٥) الصـــادر فـــي ٨ تشـــرين الأول ١٩٤٩ قد وضع أسس نظام الإيداع القانوني، إلا أنه لم يترجم إلى ببليوغرافيا وطنيـــة تسجل تراث القطر العربي السوري في مختلف ميـــادين العلـــم والمعرفـــة والإنتـــاج الفكري. وقد صدرت عن وزارة الثقافة بدمشق النشرة المكتبية، التي حاولت تغطيـــة كل ما نشر في سورية من مطبوعات خـــلال الأعـــوام ١٩٧٠-١٩٧٤، لكـــن هـــذه النشرات لم تكن لتغطي فعلاً كلّ ما يصدر في القطر، لأن الجهة التي كانت تصدرهـــا لم تكن لتحصل على نسخ إلزامية من كل من يصدر في سورية لهذا كانت محتوياتـــها ناقصة، ولا تفي بالغرض المطلوب من الببليوغرافيا الوطنية.

وفي ١٦ تشرين الثاني عام ١٩٨٣ تم افتتاح مكتبة الأسد (المكتبة الوطنية في القطـــر العربي السوري) التي حققت إنجازاً ثقافياً هاماً في سورية، وكانت تلبية للحاجة الماسة إلى مكتبة وطنية حديثة. ومع إنشاء هذه المكتبة وافتتاحها تم وضـــع نظـــام الإيـــداع القانوني موضع التنفيذ حيث أوجبت المادة ١٧ من مرسوم إحداث المكتبة علـــى كـــل مؤلف سوري ينشر مؤلفاته داخل القطر أو خارجه أن يودع لدى المكتبة خمس نســـخ من مؤلفه. وقد وضع هذا النظام موضع التطبيق في أوائل عام ١٩٨٤. وفـــي عـــام ١٩٨٥، صدر المجلد الأول من (الببليوغرافيا الوطنية السورية) لعـــام ١٩٨٤، وقـــد اشتمل هذا الإصدار الأول على:

١- بيانات وصفية لجميع ما ورد إلى المكتبة من مطبوعات خـــلال عـــام ١٩٨٤ بموجب نظام الإيداع القانوني.

٢- جميع ما تيسر للمكتبة أن تجمعه لتاريخ صدور هذا المجلـــد مـــن مطبوعـــات سورية خلال السنين السابقة.

والهدف من تضمين هذه النشرة البيانات الوصفية للمطبوعات الصادرة في السنين السابقة هو سد الثغرة الحاصلة في رصد المطبوعات السورية المنشورة في الفترة ما بين صدور آخر نشرة مكتبية للمطبوعات السورية عام ١٩٧٤ والإصدار الأخير هذا من الببليوغرافيا الوطنية السورية.

اعتمد إصدار (الببليوغرافيا الوطنية السورية) ١٩٨٤ - في التوصيف الببليوغرافي للمؤلفات الواردة فيه على قواعد التقنين الدولي للوصف الببليوغرافي (تدوب ISBD). واعتمد في التنظيم الأساسي لمواد الببليوغرافيا على خطة تصنيف ديوي المعدل، حيث جمعت المؤلفات ورتبت وفقاً لرموز خطة تصنيف ديوي. وضمن الرمز الواحد رتبت المؤلفات هجائياً، وفق مداخل المؤلفين وإذا تعددت أعمال المؤلف الواحد تحت الرمز الموضوعي نفسه، رتبت مؤلفاته هجائياً حسب العنوان وأعطيت المؤلفات عموماً أرقاماً مسلسلة بهدف سهولة العودة إليها من خلال الكشّافات الملحقة.

وقد ضم هذا الإصدار الكشّافات الملحقة التالية: كشّاف هجائي بأسماء المؤلفين والمشاركين ـــ كشّاف هجائي بالعناوين ـــ كشّاف هجائي برؤوس الموضوعات المستخدمة في النشرة - كشّاف هجائي بأسماء دور النشر الواردة في النشرة.

ومن أجل تغطية السنوات السابقة، أي قبل عام ١٩٨٤، تقوم مكتبة الأسد الوطنية الآن بإعداد الببليوغرافيا الوطنية الراجعة، بحيث تغطي في عدة مجلدات المطبوعات السورية الصادرة قبل هذا العام كافة.

مراجع البحث

١- عيون السود، نزار. الببليوغرافيا العامة. جامعة دمشق، دمشـــق ١٩٨٦-١٩٨٧، ص ٧٠-٧٢.

٢- سيمون ك.ر. الببليوغرافيا: المفاهيم والمصطلحات الأساسية. موســـكو "كنيغـــا"، ١٩٦٨، ص٩٥ "باللغة الروسية".

٣- عيون السود، نزار. الببليوغرافيا العامة. (مرجع سابق) ص ٨٣-٨٤.

٤- الهوش، أبو بكر محمد. المدخل إلى الببليوغرافيا. منشورات الكتـــاب والتوزيـــع والإعلان والمطابع. "طرابلس"، ١٩٨١، ص٤٤.

٥- الهوش، أبو بكر محمد. المدخل إلى الببليوغرافيا (مرجع سابق) ص٤٥-٤٩.

٦- بقلة، زهير "النشرة المكتبية للمطبوعات السورية". دمشق وزارة الثقافة، ١٩٧٣.

٧- المشوط، محمود عليان. تاريخ الصحافة السورية والعربية. دمشق، جامعة دمشق، ١٩٨٥ - ١٩٨٦.

٨- مكتبة الأسد. الببليوغرافيا الوطنيـــة الســـورية ١٩٨٤. دمشـــق، وزارة الثقافـــة، منشورات مكتبة الأسد، ١٩٨٥، ص٥-٦.

٩- المرجع نفسه، ص٦.

١٠- المرجع السابق نفسه، ص - ٦، ١١.

١١- مكتبة الأسد. الكشّاف التحليلي للصحف والمجـــلات الســـورية ١٩٨٦، الربـــع الرابع. مكتبة الأسد، ١٩٩٤.

١٢- مكتبة الأسد. الأطروحات الجامعية. القائمة رقم (١). دمشـــق، وزارة الثقافـــة، مكتبة الأسد، ١٩٨٨.

١٣- عيون السود، نزار. الببليوغرافيا العامة (مرجع سابق) ص٨٧.

* تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ٢٩/١٢/١٩٩٦.

المهاجرون الريفيون العائدون: دراسة ميدانية في شمال غرب إربد

د. علي الزغل
قسم علم اجتماع ــ كلية الآداب
جامعة اليرموك

الملخص

ترمي هذه الدراسة إلى تعرف الخصائص الاجتماعية الرئيسية للمهاجرين الأردنيين الريفيين العائدين من العمل في الخارج من قرى منطقة شمال غرب إربد عام ١٩٨٥. والتحليل الموضوعي لأسبابها، وسنواتها، وخبرة عمل المهاجر الريفي العائد السابقة في وطنه، وطريقة حصوله على عمل في الخارج، وسنوات عودته، وأسبابها، ومدة عمله في الخارج، ومدة الانتظار بين عودته لوطنه ودخوله سوق العمل الأردني مرة أخرى، وآثار صلات ذوي القربى وأبناء البلدة والأصدقاء من الخارج، ونوع المساعدة التي قدموها للمهاجر الريفي هناك وزيارات المهاجرين العائدين لقراهم أو زيارات أهليهم لهم، أو لحاق الأسرة بالمهاجر واغترابها معه وقد شملت الدراسة (١٥١) عائلة مهاجر ريفي عائد تمثل ما نسبته (٧٤,٤%) من مجموعة المهاجرين الريفيين العائدين في ست قرى من منطقة شمال غرب إربد تقع ضمن مسافة لا تزيد على (٢٢) كيلو متراً عنها. وتمثل القرى ذات الحجم الكبير والمتوسط والصغير. واتبع أسلوب العينة الفرضية في جمع المعلومات من أسر المهاجرين في كل قرية مع ضمان تمثيل

مختلف مناطق القرية فيها وجمعت المعلومات بوساطة استبانة صممت وطورت خصيصاً لهذا الغرض.

وقد دلت النتائج على أن هجرة الأردنيين الريفيين العائدين من الخارج كانت تقوم إلى حد كبير على أساس من الجنس، والعمر، والمهنة وليس على أساس من التعليم. حيث كان المهاجرون العائدون كلهم تقريباً من الذكور، وكانت غالبيتهم عند إجراء المقابلة فوق سن الأربعين، ومتوسط أعمارهم (٤٠) و(٤٢) سنة. أما تعليمهم فكان متدنياً، إذ كان بمعدل (٦,٣) سنة دراسية لمجموعهم. وقد عمل (٩٥%) منهم في القطاع العام والخدمات في الخارج، وكانت السعودية المستخدم الأول لهم.

وقد بينت الدراسة أن الأسباب المادية وسداد الديون هي العوامل الدافعة إلى الهجرة التي ازدهرت بين عامي ١٩٧٤ـ١٩٧٩ وكانت خبرة العمل قبل الهجرة في القطاع العام والخدمات في البلد الأصلي للمهاجر عاملاً ضرورياً في الحصول على عمل في الخارج، ولذا حصل ثلاثة أرباعهم على عقود أعمالهم قبل أن يتركوا قراهم الأصلية على طريق الإعارة / الانتداب الحكومي والأقارب والأصدقاء في الخارج، ووكالات الاستخدام. وكانت ذروة سنوات عودتهم هي من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٥ حيث عاد (٧٢,٨%) منهم خلالها، ومعدل إقامتهم من أجل العمل في الخارج (٤,٧) سنة. وبينت الدراسة أن أهم أسباب عودتهم الموضوعية هي إنهاء الجهات المستخدمة عقودهم، وتخفيض الأجور وسوء المعاملة، وأهم الأسباب الشخصية هي الأمور العائلية. وقد استوعب سوق العمل الأردني أكثر هؤلاء المهاجرين الريفيين العائدين،وبعد فترة انتظار بين لم تتجاوز أربعة شهور في المعدل العام لمجموعهم.

كما ولعبت العناصر القرابية التفاعلية دورها في عملية هجرة المهاجرين الريفيين العائدين، إذ كان لحوالي نصفهم أقارب وأصدقاء من أبناء بلدتهم في البلدان التي هاجروا إليها، وأن (١٤%) منهم حصلوا على وظائفهم عن طريق هؤلاء الأقارب، وأن ثلثهم تلقى نوعاً من المساعدة أو أكثر من هؤلاء الأقارب، تمثلت في البحث عن عمل، أو المساعدة في السكن، أو في التأشيرة أو النقود. واستشارت الغالبية العظمى من المهاجرين الريفيين

العائدين من الخارج زوجاتهم/أمهاتهم قبل أن يقرروا أخذ العمل في الخارج، واستجابت زوجاتهم/أمهاتهم لهذه الاستشارة بتشجيع كبير لهم. كما استشاروا، وبدرجات معقولة، كلاً من ابائهم واخوانهم وأمهات زوجاتهم في أمر هجرتهم من أجل العمل في الخارج. وبرز بوضوح دور العائلة الصغيرة المستقلة القوي في هذه الاستشارة وربما كان ذلك على حساب تضاؤل دور الأسرة الكبيرة. وعلى مستوى التفاعل العائلي والقروي المتبادل بين المهاجر الريفي العائد عندما كان يعمل في الخارج، دلت النتائج أنه كان على تفاعل مستمر ومنتظم مع عائلته وقريته. فقد قام (٨٥%) من المهاجرين العائدين بقضاء إجازتهم مع عائلاتهم في قراهم تتراوح بين أسبوع واحد إلى ستة أسابيع سنوياً. كما قام حوالي ثلث الزوجات/الأمهات بزيارة أزواجهن/ابنائهن في أماكن عملهم في الخارج، وأقمن معهم من شهر واحد إلى أكثر من أربع سنوات. كما أقام (٧٣,٥%) ممن قمن بهذه الزيارات أكثر من سنتين مع أزاجهن/ابنائهن في الخارج.

تزايد الاهتمام حديثا بموضوع انتقال الأيدي العاملة، في العالم بشكل عام، وفي أقطار الوطن العربي بشكل خاص، بين الباحثين والمفكرين والجهات المحلية والإقليمية والدولية، يدل على ذلك الدراسات التي قام بها الباحثون والمراجع المتعلقة بالموضوع[1]، وكذلك الدراسات والندوات التي قامت بها منظمة العمل الدولية والبنك الدولي للإنشاء والتعمير ومنظمة العمل العربية واللجنة الاقتصادية لغربي آسيا ومركز دراسات الوحدة العربية والمعهد العربي للتخطيط في الكويت ومؤتمرات المغتربين في مصر والأردن والسودان والندوات القطرية العديدة[2].

وعلى المستوى الحكومي الرسمي تمثل هذا الاهتمام بموضوع انتقال القوى العاملة بين الدول اقتراح ولي العهد الأردني أمام المؤتمر الثالث والستين لمنظمة العمل الدولية عام ١٩٧٧ بإنشاء صندوق تمويل تعويض دولي للعمال تسهم فيه الدول المستقبلة للعمالة بنسب معينة وذلك لتعويض الدول المرسلة للعمالة عن الخسارة التي تصيبها بسبب هجرة عمالها[3]. كما أكد هذا الموضوع الرئيس محمد حسني مبارك في خطابه أمام مؤتمر العمل الدولي عام ١٩٨٣، حيث اقترح إنشاء صندوق دولي لتمويل تدريب العمال في بلدان المنشأ، مما يساعد في تزويد تلك البلدان، والبلدان المستقبلة للعمالة بالمهارات المناسبة لاحتياجاتها[4]. واقترح بوننغ حل مسألة عدم المساواة في الهجرة

---

[1]- W.R. Bohning, studies, in international migration, London: Macmillan press, 1984.

[2] ــ تيسير عبد الجابر "الموقف الراهن لتبادل العمالة في الوطن العربي واحتمالات المستقبل" في: العائدون من حقول النفط عمان: منتدى الفكر العربي، ١٩٨٦، ص٣٥.

[3] ــ أحمد قطنالي، "البدائل الاقتصادية في الهجرة" مجلة دراسات، عمان: الجامعة الأردنية، المجلد ١١، العدد الأول، ١٩٨٤، ص١٨٦، كذلك تيسير عبد الجابر "الموقف الراهن لتبادل العمالة..."المصدر السابق ص٣٥.

[4] ــ تيسير عبد الجابر، المصدر السابق، ص٣٦.

الدولية بين الدول من خلال التضامن الدولي المتمثل بدفع التعويض البديل عن الهجرة[٥].

وفي مؤتمر القمة العربي الحادي عشر الذي عقد في عمان عام ١٩٨٠، جرى ربط انتقال القوى العاملة بموضوع تنمية القوى البشرية. وأقر المؤتمر أن من أولويات استراتيجية العمل الاقتصادي العربي المشترك، "تنمية وتطوير القوى البشرية والقوى العاملة في الوطن العربي وضمان حريتها في الحركة وفقاً لمتطلبات التنمية الاقتصادية في الأقطار العربية، والحفاظ على هذه القوى داخل الوطن العربي، والتوسع في الاعتماد على العمالة العربية بهدف تقليص الاعتماد على العمالة الأجنبية"[٦].

لقد مس انتقال القوى العاملة بشكل مباشر نحو عشرة ملايين شخص يمثلون العمالة المهاجرة في الوطن العربي للفترة من (١٩٧٣ ــ ١٩٨٢) أي مع الطفرة في أسعار النفط وعوائده هذا بالاضافة إلى نحو خمسة أمثالهم على الأقل متمثلاً في أسرهم وذويهم الأقربين والأبعدين بشكل غير مباشر. ولعل الهجرة العمالية العربية خلال هذه العقد لم يشهد لها مثيل منذ الفتح الإسلامي الأول[٧]. وكان لهذه الهجرة العمالية ونتائجها الإيجابية والسلبية ــ اقتصادياً واجتماعياً ونفسياً، مما قد يختلف المحللون في مدى إيجابيتها أو سلبيتها[٨].

---

[5]- W.R. Bohning, "Elements of a theory of international migration and compensation" in ECWA seminar on population and Developmetn in ECWA Region, Amman 1978, pp. 11-13.

[٦] ــ تيسير عبد الجابر، المصدر السابق، ص٣٦.

[٧] ــ سعد الدين ابراهيم، العائدون من حقول النفط المصدر السابق، ص٥.

[٨] ــ محمد عبد الهادي العكل، "هجرة القوى العاملة بين النظرية والتطبيق، مع إشارة خاصة للتجربة الأردنية، مجلة العمل، عمان: وزارة العمل الأردنية، العدد ٣٤، السنة التاسعة، ١٩٨٦، ص٣٣، وتيسير عبد الجابر، المصدر السابق، ص٣٦ــ٤٣.

ومع مطلع عام ١٩٨٣ بدأت فترة التراجع الاقتصادي ـ نتيجة لتراجع أسعار النفط ـ عالمياً وعربياً. "وكما تأثر كل شيء تقريباً في الوطن العربي بمفاجأة الطفرة[٩] النفطية، فلابد أن يتأثر كل شيء تقريباً في الوطن نفسه بمفاجأة النكسة النفطية"، وخاصة هجرة العمالة العربية إلى الدول النفطية. إذ توقع بعض المحللين، أن يعود نصف المهاجرين من مجموع نحو عشرة ملايين شخص يمثلون العمالة المهاجرة في الوطن العربي، إلى أقطارهم الأصلية في السنوات القليلة القادمة"[١٠].

وقد شملت حركة الهجرة الدولية هذه في فترتي الصعود والتراجع الأردن، ففي فترة الصعود، قدرت بعض الدراسات أن ٤٠% من مجموع قوة العمل الأردنية في الداخل والخارج كانت تعمل في الخارج في عام ١٩٨٥[١١]، وكونت تحويلاتها ٢٢% من الناتج القومي الإجمالي GNP للعام نفسه[١٢]. وازداد أيضاً حجم الهجرة للخارج في نهاية السبعينيات ليصل معدلاً قدر بـ (١٠) آلاف عامل سنوياً، مما أدى بالأردن إلى استخدام غير الأردنيين لسد النقص في بعض الأعمال والمهن المطلوبة، إذ بلغ عدد العمال غير الأردنيين العاملين في الضفة الشرقية عام ١٩٨٤، ١٥٣ ألف عامل[١٣]. وفي فترة التراجع الاقتصادي، تراجعت معدلات هجرة العمالة الأردنية إلى دول الخليج العربي إلى ما يقدر بين ٤ـ٥ آلاف عامل سنوياً[١٤]. كذلك بدأت أعداد المهاجرين الأردنيين العائدين تتزايد بشكل ملحوظ.

---

[٩] ـ سعد الدين ابراهيم، المصدر السابق، ص٥.

[١٠] ـ سعد الدين ابراهيم، المصدر السابق ص٦.

[١١] ـ صالح خصاونة "واقع سوق العمل الأردني" بحث غير منشور، عمان، ١٩٨٦، ص٥.

[١٢] ـ البنك المركزي الأردني، النشرة الإحصائية الشهرية، عمان، المجلد الثالث والعشرون، العدد ١٠ ١٩٨٧ ص٤ـ٥، والتقرير السنوي الثالث والعشرون ١٩٨٦.

[١٣] ـ وزارة العمل الأردنية، التقرير السنوي لعام ١٩٨٥، عمان: دائرة الأبحاث، ١٩٨٥، ص٢٢.

[١٤] ـ صالح خصاونة، المصدر السابق، ص١٤.

إن الدراسات عن المهاجرين الأردنيين للعمل في الخارج قليلة نسبيا. وتركز بصورة أساسية على خصائصهم الاجتماعية أو نتائج هجرتهم الاقتصادية والاجتماعية، ولم تفرق غالبا بين الحضريين والريفيين منهم. كما أن دراسة المهاجرين الريفيين العائدين من العمل في الخارج لم تلق الاهتمام الكافي من الباحثين، وخاصة إمكانية دخولهم سوق العمل مرة أخرى بعد عودتهم. ويمكن القول نفسه تقريبا في الاهتمام بدراسة الهجرة بوصفها عملية متصلة ذات مكونات يمكن دراسة عناصرها الأساسية وتحليلها.

والدراسة الحالية للمهاجرين الأردنيين الريفيين العائدين من قرى منطقة شمال غرب إربد، هي محاولة متواضعة لسد هذه الثغرة المهمة في الهجرة الدولية الريفية للخارج، وتعرف خصائص المهاجرين الاجتماعية، ودراسة أسباب هجرتهم للعمل في الخارج، ومهنهم هناك وتفاعلهم مع عائلاتهم وقراهم، ومدى دخولهم سوق العمل في موطنهم الأصلي بعد عودتهم.

إن أهمية هذه الدراسة تأتي من كونها تعالج موضوع المهاجرين الأردنيين الريفيين الذين يكونون عنصرا مهما في هجرة العمل الدولية من الأردن، وكذلك لأنها تدرس المهاجرين الريفيين العائدين لقراهم الأصلية باعتبارهم الحلقة النهائية في حلقات عملية الهجرة الشاملة. وتهتم هذه الدراسة أيضا بزيادة المعرفة النظرية في ميدان الهجرة الدولية، وتقديم المعلومات والمعرفة في الموضوع لصانعي سياسات العمل، وواضعي خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية الذين عليهم التعامل مع ظاهرة الهجرة العائدة بأهمية بالغة ولسنوات قادمة.

ولأغراض هذه الدراسة، جرى تعريف المهاجر العائد بأنه الشخص الذي هاجر من قريته في الخارج مؤقتا، لمدة لا تقل عن ثلاثة شهور وقت إجراء الدراسة وعاد إليها واستقر فيها. أما العمل في الخارج، فالمقصود به العمل بأجر في القطاع العام

والخاص خارج الأردن. وكان تركيز الدراسة على المهاجرين الريفيين العائدين من دول الخليج العربي النفطية.

أهداف الدراسة:

رمت هذه الدراسة إلى تعرف ما يلي:

١- أهم الخصائص الاجتماعية للمهاجرين الأردنيين الريفيين العائدين من الخارج لقراهم الأصلية في منطقة شمال غرب إربد.

٢- أهم عناصر (مكانيزمات) حركة عملية هجرة الأردنيين الريفيين العائدين من العمل في الخارج.

٣- مقارنة هذه الخصائص والعناصر بمثيلاتها عند المهاجرين الأردنيين الريفيين الحاليين والعائدين من أجل العمل في الخارج في الدراسات الأخرى[١٥] ما أمكن ذلك.

محددات الدراسة:

١- اقتصرت الدراسة على المهاجرين الأردنيين الريفيين العائدين لقراهم الأصلية من العمل في الخارج من ست قرى مختلفة في شمال غرب منطقة إربد.

٢- إنها تفترض تمثيل العيّنة المختارة لمجتمعها.

[١٥] ــ على الزغل، هجرة الأردنيين الريفيين الحاليين للعمل في الخارج: دراسة ميدانية في قرى شمال غرب إربد، بحث مقبول للنشر في الأعداد القادمة من مجلة دراسات ١٩٨٨، وكذلك

Bassam K. Saket et al., Workers Migration Abroad: Scio-Economic Implaications for Househlds in Jordan, Amman: Royal Scientific Society, 1983.

٣- إن نتائج هذه الدراسة محددة بطبيعة أسلوب العينة التي استخدمتها، والمنطقة التي اختارتها، ودرجة دقة المعلومات التي أعطتها الزوجة/الأم عن موضوعات الدراسة. ولهذا فإن تعميمات الدراسة يجب أن لا تتعدى عينتها ومنطقتها. وإن طبيعة تحليل المعلومات المقدم هنا، هو تحليل استطلاعي وصفي، لاعتقادنا بأهمية هذا التحليل بوصفه خطوة أولية مهمة لخطوات وأساليب أكثر تطوراً في التحليل في دراسات مستقبلية عن الهجرة الريفية للخارج من أجل العمل.

الهجرة من أجل العمل: تقليد أردني:

إن مشاركة الأردنيين في الهجرة الدولية من أجل العمل بشكل مهم تعود إلى أوائل عشرينيات هذا القرن حيث فرض الانجليز انتدابهم على فلسطين والأردن[16]. إذ عملت عناصر الجذب المتمثلة في توفر فرص العمل، وارتفاع الأجور والاستثمار في مشروعات التنمية الاقتصادية في فلسطين تحت الانتداب من جهة، وعناصر الطرد من شرقي الأردن المتمثلة في استمرار جدب المواسم الزراعية بسبب قلة الأمطار، ونظام تقسيم الأراضي باسم الأشخاص بعد أن كانت الملكية جماعية، وسهولة الانتقال من الأردن إلى فلسطين، ووجود بعض صلات القربى والمصاهرة، وتعوّد الناس على عدّ بلاد الشام في ذلك فلسطين منطقة واحدة، من الجهة الأخرى ـ عملت على هجرة العمال الأردنيين إلى فلسطين من أجل العمل[17]. وتذكر إحصاءات فلسطين لعام

[16] - Ian J. Seccombe, "Emigration for Employment and Regional Disparity: Evidence from Al-Kura District of North-West Jordan", Unpublished paper, 1985, P. 21.

[17] ـ الزغل، المصدر السابق، ص٣.

(١٩٣١)[١٨] أن (٢٧٠٠) عامل أردني غالبيتهم العظمى من الذكور كانوا يعملون في فلسطين في ذلك العام، وهو رقم أقل بكثير من الرقم الحقيقي الموجود هناك.

وبعد حرب ١٩٤٨/١٩٤٩ وقيام الكيان الصهيوني، انعكس تيار الهجرة، وأصبح من فلسطين للأردن بضفتيه، وأصبحت هجرة الفلسطينيين قسرية نتيجة لاحتلال اسرائيل أراضيهم وطرد العدد الكبير منهم، ونتيجة لظروف الأردن الاقتصادية الصعبة عندئذ، ظهر نمط جديد من الهجرة للعمل في الخارج، مبتدئاً بالفلسطينيين من الضفة الغربية التي احتوت معظم اللاجئين الفلسطينيين، ثم تعداهم إلى الأردنيين، إذ نجد الإحصاءات الرسمية الأردنية لعام ١٩٦١، تسجل ولأول مرة (٦٣) ألف عامل أردني في الخارج لذلك العام، يعمل معظمهم في الدول الخليجية العربية النفطية وبخاصة الكويت والسعودية. وانتشر عدد آخر منهم ليصل إلى البرازيل وفنزويلا وكولومبيا وألمانية الغربية والولايات المتحدة. وقد حدد الزغل[١٩] أربع فترات لهجرات العمال الأردنيين من أجل العمل بعد عام ١٩٦١ هي:

أ ــ فترة ١٩٦١ ــ ١٩٧٢، حيث ازدادت فيها أعداد المهاجرين للعمل في الخارج باستمرار. وقد ساعد على ذلك، احتلال إسرائيل الضفة الغربية عام ١٩٦٧، والهجرة القسرية لمئات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين للأردن مرة ثانية، والظروف السياسية الصعبة التي سادت الأردن بين ١٩٦٧ و١٩٧١.

وارتفاع معدل البطالة إلى ١٤% في آخر هذه الفترة.

ب ــ فترة ١٩٧٣ــ١٩٨٠، وهي فترة استمرار الزيادة العالية في معدلات هجرة العمال الأردنيين للعمل في الخارج ولتصل القمة تقريباً بمعدلات قدرت بعشرة

[١٨] ــ حكومة فلسطين، الإحصاءات العامة.

[١٩] ــ الزغل، المصدر السابق، ص٣-٤.

آلاف عامل سنوياً، وخاصة في السنوات الخمس الأخيرة منها[٢٠]. ففي عام ١٩٨٠، قدرت وزارة العمل الأردنية حجم قوة العمل الأردنية في الخارج بـــ ٣٠٥ آلاف عامل[٢١]. وقد ساعدت عوامل ارتفاع أسعار النفط بعد عام ١٩٧٣، وارتفاع الأجور. وتوافر رأس المال، والخطط الاقتصادية والاجتماعية الطموح لبلدان الخليج، ونقص الأيدي العاملة المؤهلة فيها من جهة، وانخفاض الأجور، وارتفاع معدل البطالة إلى ١٤% في عام ١٩٧٢، ونقص رأس المال المستثمر، وتوافر الفائض في عرض الأيدي المؤهلة في الأردن، والقوانين والأنظمة المتساهلة في إعارة العمال الحكوميين والعسكريين للدول العربية المنتجة للنفط، والسياسة الأردنية المرنة في الهجرة الخارجية، والاعتقاد الذي تتبناه السياسة الأردنية والمتمثل في تعزيز التعاون العربي الإقليمي (مبادلة العمالة المطلوبة بالمساعدات المالية العربية) من جهة أخرى، كل ذلك أدى إلى تحول بارز في اتجاهات أعداد المهاجرين الأردنيين إلى الدول الخليجية. وفي هذه الفترة، تلاشت البطالة تقريباً، وظهر نقص في عرض قوى العمل في بعض القطاعات، وأصبح الأردن لأول مرة بلداً مرسلاً ومستقبلاً للقوى العاملة في آن واحد[٢٢].

ج ــ فترة ١٩٨١ــ١٩٨٢ وهي فترة توقف الزيادة السريعة والوصول إلى الاستقرار النسبي في أعداد المهاجرين الأردنيين للخارج.

---

[20]- Ian J. Seccombe, International Labour Migration and Skill Scarcity in the Hashemite Kingdom of Jordan, Geneva: International Labour Office, Working Paper MIG WP 14, 1984, P.12.

[٢١] ــ جواد العناني وتيسير عبد الجابر، تجربة الأردن وسياساته حول انتقال القوى العاملة، عمان: وزارة العمل ١٩٨١، ص٩٧.

[٢٢] ــ صالح خصاونة. المصدر السابق ص١٣.

د ـ فترة ١٩٨٣ وحتى الآن، وهي فترة التراجع في أعداد المهاجرين الأردنيين للخارج التي تتراوح بين ٤ـ٥ آلاف عامل سنويا، وعودة البطالة الهيكلية التي تقدر بـ ٨% من حجم القوى العاملة الأردنية، وبدء عودة بعض العاملين الأردنيين في الخارج للعمل في الأردن. ويمكن أن يعزى ذلك إلى ظروف الاقتصاد العالمي، وانخفاض أسعار البترول وأثره في الدول العربية النفطية المستقبلة للعمالة الأردنية، واستمرار الحرب العراقية ـ الإيرانية، وتراجع الإنفاق الاستثماري، والتراجع في معدلات الزيادة في فرص العمل المتاحة تراجعا ملحوظا[٢٣].

الدراسات السابقة:

تعد دراسات ميردال[٢٤] (Myrdal) وبوننغ[٢٥] (Bohning) من الدراسات المهمة في الهجرة وتقييم آثارها الإيجابية والسلبية في البلد المرسل والمستقبل للعمالة. وقد لخصا أهم آثار الهجرة الإيجابية للبلد المرسل للعمالة في توافر فرص العمل، والخبرة العملية، والأجور المرتفعة التي تقود إلى تحويلات من العملة الصعبة للوطن الأم. أما الآثار السلبية فتتمثل في إن عملية الهجرة تكون اختيارية حسب الجنس والعمر والتعليم والمهنة. ويريان أن محصلة عملية الهجرة النهائية إيجابية للبلد المرسل والمستقبل معا.

أما على مستوى دراسة العمالة العربية المهاجرة في الوطن العربي وتقييم نتائجها الإجمالية فيمكن رصد اتجاهين رئيسيين في هذا المجال، الأول يرى أن المحصلة

٢٣ ـ المصدر السابق، ص١٤.

24- G. Myrdal, Economic Theory and Under Developed Regions, London: Gerald Duckworth Ltd., 1957.

25- W.R. Bohning, "Some Thoughts on Emigration From the Mediterrranean Basin", International Labour Review, Vol. III, 1975, PP. 251-277.

النهائية لهجرة العمالة العربية إيجابية للبلد المرسل والمستقبل، ولعل دراسة إبراهيم وعبد الفضيل[٢٦].

وزغلول[٢٧] وعبد الجابر[٢٨] تقع ضمن هذا الاتجاه. والثاني يرى أن محصلة الهجرة العربية الكلية لم تكن بالضرورة مفيدة لدول الإرسال أو الاستقبال من زاوية الاعتماد على الذات وإنجاز تنمية حقيقية ومتواصلة تستجيب لاحتياجات المواطنين الأساسية كما يرى جلال الدين[٢٩]. وعلى مستوى الدول العربية، فيبدو أن الهجرة لم تكن في مصلحة التنمية الاقتصادية ــ الاجتماعية الشاملة، ذلك أن المهاجرين ينتقلون من مجالات إنتاجية إلى مجالات خدمية استهلاكية، أو من مجالات يرتفع فيها إنتاجهم ويقل أجرهم إلى مجالات يرتفع فيها أجرهم ويقل إنتاجهم الأمر الذي لا يؤدي إلى تحويل واسع للبنيات الإنتاجية، ولا إلى استخدام أفضل المهارات على مستوى البلدان العربية[٣٠]. ويرى فرجاني مثل هذا الرأي حيث يقول: "إن الهجرة الواسعة النطاق من الأقطار العربية لليد العاملة أشبه شيء بالتراجيديا التي يؤدي فيها السعي إلى فوائد

---

[٢٦] ــ إبراهيم سعد الدين ومحمود عبد الفضيل، انتقال العمالة العربية: المشاكل، الآثار، السياسات، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٣، ص٢٢١.

[٢٧] ــ إسماعيل سعيد زغلول، تحويلات الأردنيين وتأثيرها في الاقتصاد الأردني، عمان: البنك المركزي الأردني ١٩٨٤، ص٨٨.

[٢٨] ــ عبد الجابر، المصدر السابق، ص٣٧ــ٣٨.

[٢٩] ــ محمد العوض جلال الدين، تعقيب في: العائدون من حقوق النفط مصدر سابق ص٧٠.

[٣٠] ــ محمد العوض جلال الدين، "التكامل العربي في تنمية وتيسير انتقال العمالة بين الدول العربية" مجلة النفط والتعاون العربي، العدد الثالث، ١٩٨٤، ص٧٩.

فردية قصيرة المدى، إلى تدمير الموارد العاملة[31]"، ونضيف عـــدم تحقيــق التنميــة الاجتماعية والاقتصادية العربية الشاملة.

كما بينت دراسة فريق الخبراء[32] برعاية مؤتمر الأمــم المتحــدة للتجــارة والتنميــة (UNCTAD) أن تبادل الأيدي العاملة المدربة وانتقال العلماء لهما أسباب دفـــع فــي الدول المرسلة وأسباب جذب في الدول المستقبلة. وتوصلت إلى نتائج متعلقة بالكلفــة بينت أن الدول المرسلة تحقق خسارة على الرغم من المفهوم السائد بأن تصدير الأيدي العاملة ينطوي على ربح صاف للدول المرسلة. والسبب يعــود فــي الأســاس إلــى الأسلوب الانتقائي الذي تختار فيه الدول المضيفة العاملين لديها من الدول الأخرى.

وأكد مثل هذه الخسارة بالمقاييس المحاسبية البحــث بالنســبة للمــهاجرين العــاملين الأردنيين في الخارج الأمير الحسن ولي العهد الأردني حين ذكر أن الدراسات الأولية تقدر مجموع الاستثمار المادي لأعداد هؤلاء العمال المهاجرين ولغاية عـــام ١٩٨٦، وليصلوا إلى ما وصلوا إليه من تعليم وتأهيل وخبرة أكثر من (٢٢) بليـــون دينـــار أردني[33] بأسعار عام ١٩٨٤، في حين بلغ مجموع تحويلاتهم لـــلأردن للفــترة مــن ١٩٧١ــ١٩٨٦ ٣٣٨٣,٥ بليون دينار أردني[34]. ولا نتوقع أن تزيد تحويلاتهم للفـــترة السابقة لعام ١٩٧١ على ٥٠ مليون دينار أردني.

---

[31] ــ نادر فرجاني، "الهجرة والتنمية في أقطار الوطن العربي المصدرة لقوة العمل" المستقبل العربي، العدد ٣١، سبتمبر ١٩٨١، ص١٤٢، وكذلك فرجاني، الهجرة إلى النفط، بيروت: مركـــز دراســات الوحدة العربية، ١٩٨٣، ص٢٢.

[32] ــ كلمة سمو الأمير الحسن، ولي العهد الأردني في افتتاح ندوة العائدين من حقول النفط، العــائدون من حقول النفط، عمان: منتدى الفكر العربي، ١٩٨٦، ص١٠.

[33] ــ سمو الأمير الحسن، المصدر السابق، ص١٠.

[34] ــ احتسبت الأرقام من النشرة الإحصائية للبنك المركـــزي الأردنــي، عمــان، المجلــد الثــالث والعشرون، العدد ١٠، ت١، ١٩٨٧، وللفترة قبل ١٩٧١، احتسب معدل تحويلات ذلك العام البالغــة ٥ ملايين دينار ولغاية عام ١٩٦١.

أما الدراسات التفصيلية[٣٥] عن جوانب هجرة الأردنيين للخارج فلعل أهمها ما قام بـــه بريكس وسنكلير[٣٦] (Birks and Sinclair) في دراستهما للعلاقة بين الـــهجرة الدولية للخارج من الأردن والتنمية الاقتصادية فيه. وقد استعرضا بالتفصيل حجم المـــهاجرين الأردنيين للعمل في الخارج وخصائصهم الاجتماعية، ووجد أن مجمل نتائج الـــهجرة نعمة أبرز مظاهرها التحويلات النقدية الصعبة للوطن الأم والتي قدرت لعـــام ١٩٧٦ بـــ ٣١,٢% من قيمة الواردات، ونقمة من حيث هجرة القوة العاملة المؤهلة، وخلخلة سوق العمل واستقدام الأيدي العاملة الوافدة مما قد يؤثر في سير عملية التنمية فيه.

كما قام كيروان[٣٧](Kirwan) بتقدير حجم القوى العاملة الأردنية في الخارج، ووصـــف خصائصها الاجتماعية وأثر هذه الهجرة في الاقتصاد الأردنـــي، وخاصـــة قطـاعي الزراعة والإنشاءات.

ودرس سكمب[٣٨] (Seccombe) بالتفصيل اتجاهات هجرة القوى العاملة مـــن الضفـة الشرقية إلى الخارج وحجمها، وخصائصها الاجتماعية، والنقص الناتج فـــي بعـض المهن نتيجة لتلك الهجرة الواسعة في بعض مراحلها، واستجابة الحكومة لكل ذلـــك. كما درس الهجرة الدولية للخارج من قرية أردنية[٣٩]. حيث وجـــد أن الـــهجرة كـــانت

---

[٣٥] ـــ اعتمدنا في هذا الجزء من المراجعة على ما جاء في دراسة الزغل، المصدر السابق ص٣ــ٤.

[36]- J.S. Bikrs and A. Sinclair, International Migration Project, Country Case Study: The Hashemite Kingdom of Jordan, Durham: University of Durham, 1978, P. 53.

[37]- F. Kirwan, "Labour Exporting in the Middle East: The Jordanian Experience," Development and Change, London: SAGE, Vol. 13, 1982, PP.63-89.

[38]- Ian J. Seccombe, International Labour Migration and Skill Scarcity in the Hashemite Kingdom of Jordan, Geneva: International Labour Office, Working paper MIG WP 14, 1984.

[39]- Seccombe, 1985, OP. Cit., PP. 12-14.

اختيارية حسب الجنس والعمر والتعليم والخبرة، وأن المهاجرين الريفيين الحاليين في القرية يستثمرون في السكن فيها والعودة من أجل الاستقرار فيها.

وقد قام الزغل[٤٠] بدراسة للأردنيين المهاجرين الريفيين الحاليين للعمل في الخارج في سبع قرى في منطقة إربد، ووجد أن الهجرة تقوم على الاختيار على أساس من الجنس والعمر والتعليم والمهنة، وأن عناصر الهجرة الموضوعية في الطرد والجذب في بلدي الإرسال والاستقبال أدت دوراً في هجرتهم. كما ساعدت عوامل القرابة في بلد الاستقبال، على توفير فرص العمل والمساعدة فيه هناك. أما عوامل الهجرة التفاعلية بين المهاجر وعائلته فقد خففت من غربته ودعمت علاقاته بقريته وعائلته.

ودرس البنوي وأبو الشعر[٤١] حوالات العاملين الأردنيين في الخارج وبعض استخداماتها، وخاصة شراء الأراضي، إذ لاحظا ارتباطا واضحا بين التحويلات وكل من إيرادات دائرة الأراضي وعدد معاملات البيع والشراء. ودرس زغلول[٤٢] أهم الآثار التي نجمت عن ظاهرة الهجرة العمالية الأردنية للخارج والمتمثلة في تنامي تحويلاتهم، وما نجم عنها من تأثيرات إيجابية مختلفة في المتغيرات الكلية في الاقتصاد الوطني، لا سيما معدلات النمو في الناتج القومي الإجمالي والعمالة وميزان المدفوعات.

أما في دراسة الهجرة الأردنية العائدة، فلعل دراسة الساكت[٤٣] وزملائه هي الأولى في هذا المجال وأقرب ما تكون إلى موضوع هذه الدراسة. إذ قاموا بدراسة تفصيلية

[٤٠] ــ الزغل، المصدر السابق، ص٢٧ــ٢٨.

[٤١] ــ حربي البنوي وسليم أبو الشعر، حوالات العاملين في ضوء واقع هجرة الأردنيين إلى الخارج، عمان: البنك المركزي الأردني، ١٩٨٢، ص٩١.

[٤٢] ــ زغلول، المصدر السابق، ص٨٥-٨٨.

[43]- B.K. Saket, et al., Workers Migration Abroad. Op. Cit 1983.

للخصائص الاجتماعية لعينة من المهاجرين الحاليين، والعائدين، والذين لم يهاجروا مطلقا، وطرق استخدامهم لتحويلاتهم النقدية، مركزين بالدرجة الأساسية على منطقة عمان الحضرية. وقد وجدوا أن عملية الهجرة الدولية للخارج كانت انتقائية بينهم، حتى بين المهاجرين العائدين، حسب الجنس والعمر والمستوى التعليمي والمهني. وأشاروا إلى بعض صعوبات دخول المهاجرين العائدين سوق العمل بحرية مرة أخرى في موطنهم الأصلي.

كما قام فندلي وسمحة[44] (Findlay & Samha) بدراسة لأثر الهجرة الدولية من الأردن للعمل في كيان مدينة عمان وتوسعها العمراني. وقد شملت عينة الدراسة لديهما المهاجرين الحاليين والعائدين. جيث عزّوا توسع مدينة عمان العمراني، في جانب منه، إلى استثمار تحويلات المهاجرين الأردنيين في الخارج في مشاريع بناء بيت جديد أو توسيع البيت القديم، و خاصة العاملين منهم في السعودية والخليج.

[44]- A. Findlay and M. Samha, "Return Migration and Urban Development: A Jordanian Case Study, "a paper presented to a Coference on Return Migration, University of Leeds, Jan., 8 th, 1985.

إجراءات الدراسة

مجتمع الدراسة:

يتكون مجتمع الدراسة من جميع المهاجرين الأردنيين الريفيين العائدين من ست قرى من منطقة شمال غرب إربد، بلغ عددهم (٢٠٣) مهاجرين عائدين في عام ١٩٨٥. وبسبب عدم توافر إطار دقيق لمجتمع الدراسة، فقد اعتمد الباحثان على كشوف ضريبة النفايات في المجالس البلدية والقروية، وهي ضريبة إجبارية سنوية يندر أن تستثني أحدا، وعلى الخبراء وأهل المعرفة بالمهاجرين العائدين في القرى لحصر مجتمعهم آنذاك، وإيجاد القائمة النهائية التي كونت مجتمع الدراسة في كل قرية من القرى الست.

وقد اختيرت قرى هضبة منطقة إربد ميدانا للدراسة، لقربها من مدينة إربد مركز جامعة اليرموك حيث يعمل الباحث الرئيسي، إذ لا تزيد أبعد قرية شملتها الدراسة على ٢٢ كيلو مترا عنها، ولاحتوائها عددا كبيرا من القرى ذات الأحجام المختلفة. وقد اختيرت قرية النعيمة عشوائيا من القرى ذات الحجم الكبير (من ٥٠٠٠ ـ ٧,٥٠٠ نسمة) والتي بلغ عددها ثماني قرى، وحرثا وخرجا عشوائيا من طبقة القرى ذات الحجم المتوسط (من ٢٥٠٠ـ٤٩٩٩ نسمة) والتي بلغ عددها (٢١) قرية، وقم وكفرعان والرفيد عشوائيا من طبقة القرى ذات الحجم الصغيرة (أقل من ٢٥٠٠) نسمة والتي يبلغ عددها (٦٦) قرية.

عينة الدراسة:

تألفت عينة الدراسة من (١٥١) مهاجرا أردنيا ريفيا عائدا. ومثلت هذه العينة ٧٤,٤% من مجموع المهاجرين الأردنيين الريفيين العائدين في مجتمع الدراسة لعام ١٩٨٥. وقد تراوح حجم العينة في كل قرية بين (٥٣,٦%) من المهاجرين العائدين في ذلك العام، كما هو الحال في النعيمة إلى (٩٠%) منهم في قم. وقد اتبع أسلوب

العينة الفرضية في جمع المعلومات من أسر المهاجرين العائدين في كل قرية مع الحرص على تمثيل مختلف مناطق القرية فيها.

أداة الدراسة:

استخدم الباحثان استبانة احتوت على أسئلة تدور حول خمسة محاور رئيسية. تضمن المحور الأول أسئلة عن الخصائص الاجتماعية للمهاجر وعائلته، والثاني عن خصائص وعناصر عملية الهجرة، والثالث عن استعمالات أسرة المهاجر للتحويلات النقدية، والرابع عن دور أزواج المهاجرين العائدين في صنع القرارات في غياب أزواجهن وبعد عودتهم، والخامس عن نتائج عملية الهجرة. وقد نوقشت الاستبانة بشكلها الأولي مع باحث أجنبي، وأربعة باحثين متخصصين في جامعة اليرموك، وجرى بعض التعديل عليها. ثم طبقت الاستبانة على (١٨) مهاجرا ريفيا عائدا في قرية هضبة منطقة إربد استبعدت عن الدراسة، وقد جرى تعديل مهم آخر على الاستبانة نتيجة هذا التطبيق.

قام بجمع المعلومات المستخدمة في هذه الدراسة ثماني طالبات من جامعة اليرموك، قام أحد الباحثين بتدريبهن، وأجرى مقابلتين أمامهن، ورافقهن في زيارتهن للقرى، مع فئة من المسؤولين والأسر لإجراء المقابلات. وأشرف على تدقيق الاستبانات. وقد لمس الباحث والفتيات اللواتي جمعن المعلومات تعاونا جيدا من أرباب العائلات، وكانت المقابلات تجري في جو ودي. واستغرقت تعبئة الاستبانة (٤٠ـ٤٥) دقيقة في المعدل، وجمعت المعلومات بين ١٥ نيسان و٣٠ تموز من عام ١٩٨٥.

ومن أجل تقليل اختلاف المعلومات المقدمة من قبل الباحثة، واتباع نسق موحد في جمع المعلومات لغرض إجراء التحليلات والمقارنات اللازمة عليها، صممت الاستبانة، ووجهت الباحثة بضرورة جمع المعلومات من زوجة المهاجر العائد إذا كان متزوجا، ومن والدتها إذا كان عزبا.

تحليل النتائج وتوزيعها

أهم الخصائص الاجتماعية للمهاجرين العائدين:

يمكن تلخيص أهم الخصائص الاجتماعية للمهاجرين العائدين في عينة الدراسة بما يلي:

علاقة المهاجر العائد بالأسرة:

يرتبط المهاجر الريفي العائد بالأسرة إما عن طريق الدم أو عن طريق الزواج، وكل ذلك يبدوا ضمن إطار العائلة النووية الصغيرة. ويشير الجدول رقم (١) إلى أن الغالبية العظمى (٨٢,٨%) من عينة المهاجرين الريفيين العائدين في هذه الدراسة هم الأزواج في عائلاتهم، كما كان الأزواج (٧٥%) من عينة المهاجرين العائدين في دراسة الساكت[٤٥]، و(٦٥,٥%) من عينة المهاجرين الريفيين الحاليين الذين هم من نفس قرى عينة الدراسة الحالية نفسها – في دراسة الزغل[٤٦] أيضا. وبالمقابل يكون العزبون (١٧,٢%) و(٢٥%) و(٣٤,٥%) من الدراسات الثلاث المذكورة على التوالي.

الجدول رقم (١)

توزيع أفراد عينة المهاجرين الريفيين العائدين حسب العلاقة بالأسرة

علاقة المهاجر بالأسرة	العدد	%
الزوج	١٢٥	٨٢,٨
الابن	٢٦	١٧,٢
المجموع	١٥١	١٠٠,٠٠

جنس المهاجر الريفي العائد:

[45]- Saket, et al., Op. Cit., P. 22.

[٤٦] – الزغل المصدر السابق، ص٨.

لعل إحدى أهم خصائص قوى العمل الأردنية هي تدني مشاركة المرأة فيها، إذ تظهر الإحصاءات الرسمية أن مساهمة المرأة الأردنية في قوى العمل غير الزراعية في الضفة الشرقية لعام ١٩٨٥ تمثل ١٤% منها فقط[٤٧]. إن التأكيد المتواصل لأهمية تعليم المرأة وتدريبها وتأهيلها مهنيا في خطتي التنمية الاقتصادية والاجتماعية الأخيرتين، وارتفاع مستوى المعيشة، والأوضاع المستجدة للمطلقات والأرامل، وعدم كفاية دخل الزوج بصفته معيلا وحيدا في ظل النمط الاستهلاكي التفاخري الشائع، وبعض العوامل الأخرى، ستدفع بمزيد من النساء إلى دخول سوق العمل، وبالتالي إلى زيادة مشاركتهن في قوى العمل والإنتاج. غير أن نتائج هذه الدراسة أثبتت أن الذكور يسيطرون على أفراد عينة المهاجرين العائدين كلهم تقريبا (٩٨,٧%) وكذلك يكونون النسبة المئوية نفسها تقريبا (٩٧%)، من عينة المهاجرين العائدين في دراسة الساكت[٤٨] وعينة المهاجرين الحاليين (٩٧,٥) في دراسة الزغل[٤٩]، بينما تكون النساء النسب الباقية في الدراسات الثلاث من هؤلاء المهاجرين على التوالي.

إن هذه السيطرة شبه الكاملة لجنس الذكور بين المهاجرين العائدين والمهاجرين الحاليين، خاصة إذا ما قورن بتوزيع الجنس في قوى العمل الأردنية لعام ١٩٨٦، يمكن أن يعزى للعوامل التالية:

أ ـــ غلبة القيم المحافظة نسبيا بين الريفيين الأردنيين تجاه عمل المرأة خارج البيت بأجر عموما، وخارج الأردن خصوصا. وربما يكون وراء هذا الاتجاه المحافظ الخوف من اختلاطها بالرجل، والتصرف بما يسيء إلى سمعة العائلة وشرفها، ودرجة التعليم المتدنية لرب العائلة.

٤٧ ـــ دائرة الإحصاءات العامة، المملكة الأردنية الهاشمية، إحصاءات العمالة النسوية، عمان، ص٩،١١.

48- Saket et al., Op. Cit., P. 18.

٤٩ ـــ الزغل، المصدر السابق، ص٨.

ب ـ طبيعة المهن والوظائف المتوافرة في البلدان العربية المستقبلة للعمالة، إذ غالبا ما تكون المهن والوظائف محددة بالرجال، وتتطلب خبرة وتدريبا، لا تكون متوافرة عادة لدى النساء.

جـ ـ لقد وجدت دراسات أخرى، أنّ اختيار الهجرة الدولية لجنس واحد (الذكور) مرتبط بثلاثة عوامل هي: البعد، طول المدة الزمنية للهجرة، والنظام القيمي لمجتمع المهاجرين والمستقبلين[50]. ونعتقد أن محصلة هذه العوامل مشجعة لهجرة العمال الذكور الأردنيين، ومثبطة لهجرة العاملات الإناث الأردنيات. إذ المسافات بعيدة نسبيا، والفترة الزمنية للهجرة قصيرة (حيث هدف المهاجر الهجرة المؤقتة لفترة زمنية محدودة يجمع خلالها ما يستطيع من المال لتحسين أوضاعه الاجتماعية ثم يعود) ونظام القيم والعادات يشجع هجرة الرجل من أجل العمل دون المرأة.

عمر المهاجر الريفي العائد:

أن التعميم الشائع في دراسات الهجرة، هو غلبة ميل المهاجرين أن يكونوا في أعمار العمل الفتية ١٦ـ٣٥ سنة[51]. كما وجد الربايعة[52] إن ٤٤% من المهاجرين الريفيين من الأغوار الشمالية إلى مدينة إربد هم دون سن الأربعين سنة. ويرى البعض أن الهجرة الدولية تميل إلى اجتذاب مهاجرين أكبر عمرا من الهجرة الداخلية. ويعزو فنكل وماكنتوش هذا التعميم الأخير إلى الكلفة والحاجة إلى التخصص التعليمي أو

[50] ـ الساكت وزملاؤه، المصدر السابق، ص٢٠، الذي يقتبس عن (Finkle & Mcintosh).

[51] ـ محمد عبد الهادل العكل، المصدر السابق، ص١٣ also, Saket, et al.,op.cit. p.20.

[52] ـ أحمد الربايعة، هجرة الريفيين من الأغوار الشمالية إلى مدينة إربد، عمان: الجامعة ١٩٨٢، ص٤٠.

الخبرة، والحاجة إلى التنافس الاجتماعي، والحكمة العالية في اتخاذ قرار الهجرة الدولية[٥٣].

إن المهاجرين الريفيين العائدين الذي تناولتهم الدراسة، متوسطو العمر نسبيا، ويميل خط توزيعهم باتجاه جماعات العمر الأكبر سنا كما كان متوقعا. إذ بلغ متوسط العمر لكل أفراد العينة (٤٢) سنة، ووسيطه Median (٤٠) سنة. ويشير الجدول رقم (٢) إلى أن غالبيتهم (٥٦,٣%) هم فوق سن الأربعين سنة. وهذه النسبة أكبر بكثير مما وجده الساكت في دراسته عن المهاجرين العائدين حيث كانت نسبة (٢٩,٧%) من عينة دراسته فوق سن الأربعين سنة[٥٤]. وهي مساوية تقريبا لما وجده الربايعة[٥٥] في دراسته عن المهاجرين الداخلين لمدينة إربد، وأقل مما وجده الزغل[٥٦] عن المهاجرين الريفيين الحاليين للخارج، حيث كانت النسب لمن كانوا فوق سن الأربعينة سنة في دراستيهما هي (٥٦%) و(٣٢,٦%) على التوالي. أما الفئة العمرية الأكثر تكرارا (المنوال) في هذه الدراسة (حوالي ٢٠%) فهي ٤٠ـ٤٤ سنة.

53- J.L. Finkle and C.A. Mcintosh, The Consequences of International Migration for Sending Countries in thd Third World, The Center for Population Planning, University of Michigan, 1982, as quoted in Saket et al., P. 20.

54- Saket et al., Op. Cit., P.40.

٥٥ ـ أحمد الربايعة، المصدر السابق، ص٤٠.

٥٦ ـ علي الزغل، المصدر السابق، ص٨.

الجدول رقم (٢)

توزيع أفراد عينة المهاجرين الريفيين العائدين حسب العمر

فئات العمر بالسنوات	العدد	%	عينة إحصاءات قوى العمل الأردنية المحلية%*
١٥-١٩	–	–	٩,٤
٢٠-٢٤	٨	٥,٣	١٧,٤
٢٥-٢٩	١٢	٧,٩	١٤,٢
٣٠-٣٤	١٩	١٢,٦	١٣,٥
٣٥-٣٩	٢٧	١٧,٩	١٢,٤
٤٠-٤٤	٣٠	١٩,٩	١٠,٥
٤٥-٤٩	٢٢	١٤,٦	٨,١
٥٠-٥٤	١٧	١١,٢	٦,٢
٥٥-٥٩	٥	٣.٣	٣,٦
٦٠-٦٤	٥	٣.٣	٢,٦
٦٥- فأكثر	٥	٣.٣	٢.٢
دون جواب	١	٠,٧	–
المجموع	١٥١	١٠٠	١٠٠

*** H.K. of Jordan, Dept. of Statistics, Main Findings of Advanced Tabulations: Housing and Population Census 1979, Amman, 1981, P. 57.**

ويشير الجدول رقم (٢) إلى أن الهجرة الدولية تجتذب عمالاً أردنيين ريفيين وبأعداد مهمة دون سن الأربعين، حيث نجد أن (٤٣,٧%) من أفراد عينة المهاجرين الذين

شملتهم الدراسة هم بين سن (٢٠ـــ٣٩). إن التركيب العمري للمـــــهاجرين الريفييـــن العائدين قيد البحث في عام ١٩٨٥ يختلف عن التركيب العمري لقوى العمل الأردنيـــة المحلية حسب إحصاءات عام ١٩٧٩. فالنسب المئوية في كل فئة عمرية مـــن قـــوى العمل الأردنية المحلية هي أكبر مما هي عليه بكثير في الفئات العمرية المماثلة مـــن عينة الدراسة الحالية ولغاية سن ٣٤ سنة، ثم ينعكس الاتجاه بحيث تزيد النسب المئوية في الفئات العمرية بين أفراد العينة الحالية على ما هي عليه في قوى العمل الأردنيـــة المحلية. وربما يفسر هذا الاختلاف. الاتجاه نحو إنهاء عقود المهاجرين الأكبر سناً في البلدان المستقبلة، مما قد يقود إلى الاستنتاج أن بداية عملية الهجرة انتقائية حسب صغر السن، ونهايتها انتقائية أيضاً حسب كبر السن. كما قد يشير من ناحيـــة أخـــرى إلـــى صعوبة استيعاب المهاجرين العائدين في سوق العمل في بلدهم الأصلي مـــرة أخـــرى ويضيف عبئاً آخر على معدلات البطالة المرتفعة نسبياً فيه.

الوضع الزواجي للمهاجر الريفي العائد:

تفيد معظم دراسات الهجرة، أن أحد أهم أسبابها هو توفير المال للاستقرار من خـــلال الزواج وتوفير المسكن، وبعض الحاجات الأساسية الأخرى. ولما كانت عينة الدراســة الحالية من المهاجرين العائدين، فنتوقع أنهم حققوا من خلال هجرتهم هدف الـــزواج أو أن بعضهم كان متزوجاً قبل هجرته. وهذا ما نجـــده فـــي الجـــدول رقـــم (٣) إذ إن المهاجرين العائدين في هذه الدراسة جميعهم كانوا متزوجين ما عـــدا واحـــداً، وهـــذه النسبة أعلى بكثير من نسبة (٨٥,٣%) من عينة دراسة الســـاكت علـــى المـــهاجرين والعائدين. إلا أن نسبة العازبين التي كونت (١٤,٨%) من عينة المهاجرين العـــائدين في دراسته هي أعلى من نسبتهم (٠,٧%) في هذه الدارسة. وربما كان هذا الاختـــلاف في نسب العزوبة بين الدراستين هو بسبب الاختلاف في القيم الحضرية والريفية حـــول أهمية الزواج وأولويته في كليهما. ولما كانت عينة دراسة الســـاكت حضريـــة فـــي غالبيتها العظمى، (بينما هذه ريفية كلها) فإن هذه النسبة من العازبين العائدين قد تكون

متوقعة ومعقولة إذا ما أخذنا بالحسبان أن أهل الحضر يتأخرون في الزواج عادة بينما أهل الريف يبكرون فيه.

الجدول رقم (٣)

توزيع أفراد عينة المهاجرين الريفيين العائدين حسب الوضع الزواجي

الوضع الزواجي	العدد	%
متزوج	١٤٥	٩٦,٠٠
أرمل	٥	٣.٣
أعزب	١	٠,٧
المجموع	١٥١	١٠٠,٠٠

مستوى التعليم عند المهاجر الريفي العائد:

تشير تقديرات دائرة الإحصاءات العامة الأردنية لعام ١٩٧٩* إلى أن نسبة الأمية في الأردن هي (٣٤,٦%) من مجموع السكان الذين هم فو سن الخامسة عشرة. وأن هذه النسبة للذكور هي (١٩,٩%) من مجموع السكان الذكور، وينسب مختلفة في الحضر والريف، إذ تكون نسبة الأمية بين رجال المدن (١٣,٣%) منهم، بينما هي (٢٩,٨%) من مجموع رجال الريف[٥٧]. ويظهر الجدول رقم (٤) أن حجم الأمية (٣٣,٨%) بين المهاجرين العائدين في هذه الدراسة هو أكبر من حجمها بين الريفيين الذكور عموما، وهي ثلاثة أمثال ونصف المثل نسبة (١٠,٦%) التي وجدها الساكت في عينة دراسته على المهاجرين العائدين[٥٨]. وأقل من نسبة (٤٥,٨%) التي وجدها الربايعة[٥٩] بين

* لم تتوفر للباحثين إحصاءات أحدث من هذه عن الأمية في الأردن.

[٥٧] ــ المملكة الأردنية الهاشمية، نتائج عينة التعداد العام للمساكن والسكان، عمان: دائرة الإحصاءات العامة، ١٩٨١.

[58]- Saket et al., Op. Cit., P. 44.

[٥٩] ــ أحمد الربايعة، المصدر السابق، ص٤١.

المهاجرين من الأغوار الشمالية إلى مدينة إربد. كما ويشير الجدول رقم (٤) بوضوح إلى تدني مستوى التعليم لدى المهاجرين العائدين المشمولين بهذه الدراسة، إذ إن (٣٤,٤%) منهم لم يتجاوز تعليمهم المرحلة الإلزامية إضافة إلى أن (٣٣,٨%) أميون. كما أن متوسط سني تحصيلهم العلمي هو ٦,٣ سنة. أما نسبة من يحملون تعليما ثانويا (١٠ـ١٢) سنة، وتعليما أكثر من المرحلة الثانوية بينهم فكانت (١٥,٢%) و(١٥,٩%) على التوالي، وهما نسبتان أقل بكثير من (٢٩,٥%) و(٣٣%) التي وجدها الساكت في عينته المماثلة لموضوع هذه الدراسة.

إن ارتفاع مستوى الأمية وتدني المستويات التعليمية بين المشمولين بهذه الدراسة، قد يؤديان إلى انخفاض مستوى الإنتاجية في النشاطات المختلفة التي يقومون بها، وربما إلى انخفاض درجة الإتقان والأداء والتعامل مع العمليات الإنتاجية التي يقومون بها. وبالتالي ربما كانت من بين الأسباب التي أدت إلى الاستغناء عن خدماتهم في البلدان المضيفة، وبذلك أضيف لعامل كبر السن النسبي بينهم عامل الأمية وتدني المستوى التعليمي كعاملين أساسيين في اختيار من أنهيت عقودهم في عملية الهجرة.

الجدول رقم (٤)

توزيع أفراد عينة المهاجرين الريفيين العائدين حسب مستوى التعليم

مستوى التعليم للعائدين بالسنوات	العدد	%
أميون	٥١	٣٣,٨
١-٦	٢٨	١٨,٥
٧-٩	٢٤	١٥,٩
١٠-١٢	٢٣	١٥,٢
١٣- فأكثر	٢٤	١٥,٩
دون جواب	١	٠,٧
المجموع	١٥١	١٠٠,٠٠

مهنة المهاجر الريفي العائد:

إن الغالبية العظمى من المهاجرين العائدين (٩٢,٧%) كانوا يعملــــون فـــي وطنـــهم الأصلي قبل الهجرة. وإن هذا العمل قد أكسبهم بعض المهارة والخبرة وساعدهم فـــي الحصول على وظيفة في الخارج، ويؤكد هذا ما توصل إليه الســاكت وســكمب فـــي دراستيهما. ويتبين ذلك من الشبه الكبير بين التوزيع الوظيفي للمهاجرين العائدين مــن الخارج وتوزيعهم الوظيفي في وطنهم الأصلي قبل هجرتـــهم، إذ نجـــد أن (٣٣,١%) منهم عملوا في الخدمة المدنية، و(٢٥,٢%) منهم في القوات المسلحة، و(١٩,٩%) في الأعمال الحرة، و(٢,٦%) منهم في العمل العادي في الخارج، بينما كانت النسب لمن عمل منهم في الوظائف نفسها في وطنهم الأصلي قبـــل هجرتـــهم هـــي (٣١,١%)، و(٣٣,١%)، و(١٧,٢%)، و(٤%) على التوالي. ويبدو واضحا أيضا مـــن البيانـــات الواردة في الجدول رقم (٥) الصفة الاختيارية للهجرة في اختيار المهاجرين العـــائدين للعمل من حيث مهنهم ابتداء، إذ ركزت على من عملوا في الخدمة المدنية، والقـــوات المسلحة، والشركات والمصارف، والأعمال الحرة، وبنسبة ضئيلة لا تعتبر من العمـــال العاديين. كما وأن نسب هذا التوزيع الوظيفي لمهن العائدين في الخـــارج لا تتطـــابق تماما مع نسب التوزيع الوظيفي لقوة العمل الأردنية في الداخل. ومما تجدر ملاحظتـــه هنا أن الذين عملوا في الخارج وكانوا دون عمل أو خبرة عملية في وطنهم الأصلـــي كانت نسبتهم ٢,٧% من المهاجرين العائدين فقط.

والخلاصة أن الانسياب المهني بين المهاجرين الريفيين العائدين كان من المهن التـــي عملوا فيها في وطنهم الأصلي قبل الهجرة إلى المهن نفسها في بلد الاستقبال، وبنسب متقاربة جدا، ما عدا الحراك المهني الصاعد في قطاع الشركات والمصارف حيث زاد نصيب العاملين فيه في الخارج عمن عملوا فيه في وطنهم الأصلي بشكل ملحوظ.

أما الأسباب التي ذكرها المهاجرون الريفيون العائدون وراء عودتهم فكانت أسبابا فوق إرادتهم متمثلة في إنهاء عقودهم (٣٩,٧%)، وأسبابا عائلية شخصية (٢٣,٨%)، وأسبابا تتعلق بعدم الحصول على وظيفة مناسبة (١٢%)، وأخرى تتعلق بتربية الأطفال وتنشئتهم (١٠,٦٥%)، وتوفير ما فيه الكفاية، والمعاملة السيئة، والأسباب المرضية بمعدل (٧,٣%) لكل منها، وبعض الأسباب الأخرى (٦.٦%).

ماذا حدث لهؤلاء المهاجرين الريفيين العائدين عند عودتهم للأردن، وما مدى دخولهم سوق العمل مرة أخرى؟ تشير البيانات في الجدول رقم (٥) والتي تمثل الإجابة عن سؤالنا، "ما أول وظيفة حصل عليها زوجك/ابنك بعد عودته للأردن" إلى أن غالبية المهاجرين العائدين المسيطرة (٨٤,٧%) دخلت سوق العمل مرة أخرى، وإن (١٥,٧%) كانوا عاطلين عن العمل. ويبدو أن ارتفاع هذه النسبة في دخول سوق العمل يعود إلى أن عددا مهما حصلوا على عقود عملهم قبل سفرهم عن طريق الانتداب/الإعارة، وممن عملوا في القوات المسلحة أو سلك التعليم، وبالتالي عادوا إلى وظائفهم بعد انتهاء مدة إعارتهم المحدودة ــ خاصة إذا ما عرفنا أن (٣٨,٤%) منهم حصلوا على عقودهم بهذه الوسيلة.

أما بالنسبة لقطاعات استخدام المهاجرين الريفيين العائدين في الأردن، فقد احتلت الأعمال المتمثلة في بقالة صغيرة المرتبة الأولى، واستخدمت (٣١,٨%) منهم، ثم الشركات والمصارف (٢٤,٥%)، والقوات المسلحة الأردنية (١٥,٢%) والخدمة المدنية)١٣,٢%). ويبدو أن قطاع الخدمات بمفهومه الواسع (الخدمة المدنية، الشركات/المصارف والأعمال الحرة) استوعب ثلاثة أرباع من دخلوا سوق العمل الأردني، وهي نسبة أعلى مما وجده الساكت بين المهاجرين العائدين في دراسته الحضرية حيث وجد أن (٥١%) منهم دخلوا البيع والخدمات بعد العودة. كما لاحظت الدراسة الحالية أن نسبة مهمة من المهاجرين العائدين (٢٨,٥%) يودون العمل في الخارج إذا أتيحت لهم الظروف مرة أخرى، وكأنهم يهربون من الظروف التي

واجهتهم عند هجرتهم الأولى مرة أخرى. إن الحراك المهني الرئيسي بين المهاجرين العائدين هو في تناقص أعداد العاملين في الخدمة المدنية والقوات المسلحة وتزايد أعداد العاملين في الشركات والمصارف والأعمال الحرة وظهور البطالة بشكل ملحوظ بعد عودتهم للأردن، مقابل ما كانوا يقومون به في الخارج.

إن عدم قدرة سوق العمل الأردني على استيعاب المهاجرين العائدين كلهم سيزيد ولا شك بارتفاع نسبة البطالة الحالية التي تزيد على (٩%) حسب الإحصاءات الرسمية الأردنية، وتخلق صعوبات اقتصادية جديدة، إلا أن الجانب الإيجابي في عودة المهاجرين الريفيين موضوع الدراسة، هو أنهم يعودون ويستقرون في قراهم الأصلية، وليس في المراكز الحضرية الكبيرة كما توقع فرجاني[٦٠].

الجدول رقم (٥)

توزيع أفراد عينة المهاجرين الريفيين العائدين حسب نوع العمل وزمانه ومكانه

زمان العمل ومكانه / عمل المهاجر العائد	العمل في وطنه قبل الهجرة (N=١٥١)	العمل في الخارج (N=١٥١)	العمل في وطنه بعد العودة (N=١٥١)
الخدمة المدنية	٣١,١	٣٣,١	١٣,٢
القوات المسلحة	٣٣,١	٢٥,٣	١٥.٢
شركة/مصرف	٧,٣	١٧,٢	٢٤,٥
أعمال حرة	٧,٣	١٩,٩	٣١,٨
عامل	٤,٠٠	٢,٦	–
دون عمل	٢,٧	–	١٥,٣
دون جواب	٤,٦	٢,٠٠	–
المجموع	١٠٠,٠٠	١٠٠,٠٠	١٠٠,٠٠

[٦٠] ـــ نادر فرجاني، المستقبل العربي، مصدر سابق، ص١٤٠.

مكان عمل المهاجر الريفي العائد:

إن الغالبية المسيطرة لأفراد عينة المهاجرين الريفيين العائدين عملت في دول الخليج العربية (٨٦,٨%) بينما عمل (١١,٩%) منهم في الدول الأجنبية، كما يشير إلى ذلك الجدول رقم (٦). وتحتل السعودية المرتبة الأولى بين الدول العربية في استخدام المهاجرين الريفيين العائدين منهم (٣٩,١%) منهم. ولعل أهم الأسباب في ذلك هي القرب الجغرافي، وتوافر الخبرات الوظيفية المطلوبة والتعاون الثنائي بين البلدين وخاصة في مجال الإعارة والانتداب الحكومي. وتحتل الإمارات العربية المرتبة الثانية وقطر المرتبة الثالثة والكويت المرتبة الرابعة وبنسب استخدام مقدارها (٢٢,٥%) و(٩,٣%) و(٦.٦%) ممن شملتهم الدراسة الحالية على التوالي. وقد احتلت السعودية المرتبة الأولى أيضا في استخدام المهاجرين العائدين في دراسة الساكت[٦١] وبنسب مئوية مماثلة تقريبا، بينما احتلت الكويت والإمارات العربية المرتبتين الثانية والثالثة.

ومما تجدر ملاحظته أن من بين الدول العربية الأخرى التي استخدمت المهاجرين الريفيين العائدين في هذه الدراسة ليبيا حوالي (٣%) منهم، بينما كانت نسبتهم في دراسة الساكت المشار إليها أكبر من ذلك بكثير ووصلت إلى (١٧%) من عينة المهاجرين العائدين عنده. ولعل سياسة ليبيا العامة، وسياستها تجاه العمال العرب خاصة، والقيود المفروضة على التحويلات الخارجية للعمال، هي وراء اختفاء دورها كمصدر من مصادر استخدام العمالة الأردنية لاحقا[٦٢].

61- Saket, et al., Op. Cit., P.58.

٦٢ ــ على الزغل، المصدر السابق، ص١٥.

الجدول رقم (٦)

توزيع أفراد عينة المهاجرين الريفيين العائدين حسب مكان عملهم في الخارج

مكان العمل في الخارج	العدد	%
السعودية	٥٩	٣٩,١
الإمارات العربية المتحدة	٣٤	٢٢,٥
قطر	١٤	٩,٣
الكويت	١٠	٦.٦
آخر (بلاد عربية أخرى)	١٤	٩,٣
بلاد أجنبية	١٨	١١,٩
دون جواب	٢	١,٣
المجموع	١٥١	١٠٠,٠٠

دخل عائلة المهاجر الريفي العائد السنوي:

تقع غالبية عائلات المهاجرين الريفيين العائدين (٥٩,٦%) في فئة الدخل السنوي الدنيا وهي لغاية (٢٠٠٠) دينار أردني، ويقع أكثر من ربعهم بقليل (٢٧,٢%) في فئة الدخل السنوي الوسطي (٢٠٠١-٤٠٠٠) دينار. ولا يقع في فئة الدخل العليا ٤٠٠١ فأكثر إلا (٨,٦%) منهم. أما متوسط دخل عائلة المهاجر الريفي العائد من جميع المصادر فكان (٢١٢٠) دينارا، وهو دخل أقل بكثير من متوسط دخل العائلة السنوي في مجموع عينة دراسة الساكت[٦٣] على المهاجرين العائدين والبالغ ٣١٢٣ دينارا. ويمكن أن يكون هذا الفرق بسبب كثرة فرص العمل الأخرى المتوافرة في مدينة عمان حيث غالبية العينة منها، بينما فرص العمل الأخرى محدودة في الريف.

[63]- Saket, et al., Op. Cit., P. 167.

الجدول رقم (٧)

توزيع أفراد عينة المهاجرين الريفيين العائدين حسب دخل العائلة السنوي

دخل العائلة السنوي بالدنانير	العـــدد	%
٧٠٠–٢٠٠٠	٩٠	٥٩,٦
٢٠٠١–٤٠٠٠	٤١	٢٧,٣
٤٠٠١–٦٠٠٠	٠٨	٥,٣
٦٠٠١ ـ فأكثر	٠٥	٣.٣
دون جـــواب	٠٧	٤,٦
المجمـــــوع	١٥١	١٠٠,٠٠

* متوسط دخل عائلة المهاجر الريفي العائد السنوي (٢١٢٠) دينارا.

وتملك الغالبية المسيطرة من أفراد عينة المهاجرين الريفيين العائدين (٩٤%) بيوتـــها التي تسكنها، بينما تستأجر منهم نسبة ضئيلة (٣.٣%) فقط. إن هذه النســـبة العاليـــة لامتلاك البيوت بينهم بما تفسرها القيم والعادات الريفية التي تعدها أولوية مهمة جدا قد تكون الأولى أو مساوية لأولوية الزواج عندهم أما الساكت[٦٤] فقد وجـــد أن (٦٤,٣%) من عينة المهاجرين العائدين الحضرية في دراسته يملكون بيوتهم، والآخريـــن كـــانوا يستأجرون.

[64]- Saket, et al., Op. Cit., P.167.

عناصر الهجرة الموضوعية

يمكن دراسة عملية الهجرة للخارج من خلال عناصرها الموضوعيـــة المتمثلـــة فـــي أسباب الهجرة، وسنواتها، وخبرة العمل السابقة للمهاجر في وطنه، وطريقة الحصـــول على عمله في الخارج، وسنوات العودة، وأسبابها، ومدة عمله في الخارج، والمدة بيـــن عودته للوطن وحصوله على أول عمل له في سوق العمل الأردني.

أسباب هجرة المهاجر الريفي العائد:

لقد كانت الأسباب المالية هي الأسباب المسيطرة والتي عبرت عنها زوجات/أمـــــهات المهاجرين الريفيين العائدين عن سؤالهن عن الأسباب وراء هجرة أزواجهن/أبنائـــــهن للعمل في الخارج. إذ يظهر الجدول (٨) أن كل أفراد عينة الدراسة الحاليـــــة تقريبـــا (٩٩,٣%) هاجروا لسداد ديونهم. هاجروا لسداد ديونهم، وأن (٧٠,٨%) منهم هاجروا لارتفاع الأجور وتوفير المال. أما ربعهم فقد هاجروا للحصول على وظيفة مهمة فـــي الخارج، و(١٥,٢%) منهم بسبب البطالة وعدم توفر العمل في الأردن.

ولعل مثل هذه الإجابات متوقعة في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التي عانى منـــها الريف الأردني مؤخرا بسبب عدم المردود الإيجابي للإنتاج الزراعي وصغـــر حجـــم الملكيات الزراعية وارتفاع الكلفة، وارتفاع معدلات البطالة فـــي الأردن فـــي أوائـــل السبعينيات. إن ارتفاع الأجور بوصفه سببا رئيسيا دافعا للهجرة يتفق مع مـــا وجـــده الساكت[٦٥] في دراسته للمهاجرين الأردنيين العائدين عند سؤالهم عن أسباب هجرتـــــهم للعمل في الخارج.

65- Saket, et al., Op. Cit., P.30.

الجدول رقم (٨)

توزيع أفراد عينة المهاجرين الريفيين العائدين* ـــ حسب أسباب الهجرة

أسباب الهجرة للخارج	العدد*	%
عدم توفر عمل في الأردن	٢٣	١٥,٣
ارتفاع الأجور/توفير المال	١٠٧	٧٠,٨
انتداب/إعارة	٠٦	٤,٠٠
وظيفة مهمة	٣٩	٢٥,٨
سداد الديون	١٥٠	٩٩,٣

* مجموع النسب لا يساوي ١٠٠% بسبب تعدد الإجابات أما مجموع أفراد العينة فهو (١٥١).

سنوات هجرة المهاجر الريفي العائد:

لقد بين عدد من الباحثين أن ذروة هجرة الأردنيين من أجل العمل في الخارج كـــانت في الفترة من ١٩٧٤ إلى نهاية ١٩٨٢ مع اختلاف بسيط بينهم في تحديد سنة القمة في هذه الفترة[٦٦]. وكذلك أجمعوا على ظهور فترة ركود في هجرتهم بـــدأت مـــع بدايـــة الثمانينيات. إن البيانات الواردة في الجدول رقم (٩) عن سنوات هجـــرة المـــهاجرين العائدين المشمولين في هذه الدراسة تؤيد ما توصلت إليه الدراسات السابقة في هـــذا الاتجاه حيث، إن أكثر من نصفهم هاجروا بين ١٩٧٤ــ١٩٧٩، إلا أنها، في الوقـــت نفسه، لا تتفق مع ما توصلت إليه دراسة الزغل[٦٧] عن هجرة المـــهاجرين الأردنييـــن الريفيين الحاليين إلى الخارج حيث كانت قمة هجرتهم في السنوات ١٩٨٠ــ١٩٨٥.

[66]- Birks & Sinclair, Op. Cit., P. 34. Seccombe, 1984 Op. Cit., P. 11.

وكذلك سعد الدين إبراهيم، النظام الاجتماعي العربي الجديد، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيـــة ١٩٨٢، وصالح خصاونة، المصدر السابق، ص١٣، والساكت المصدر السابق ص٤٩.

[٦٧] ـــ على الزغل، المصدر السابق، ص١٦.

الجدول رقم (٩)

توزيع أفراد عينة المهاجرين الريفيين العائدين حسب سنة الهجرة للخارج

سنوات هجرة المهاجرين العائدين	العـــدد	%
- ١٩٦٧	١٣	٨,٦
١٩٦٨_١٩٧٣	١٤	٩,٣
١٩٧٤-١٩٧٩	٧٩	٥٢,٣
١٩٨٠-١٩٨٥	٤١	٢٧,١
دون جواب	٠٤	٢,٧
المجموع	١٥١	١٠٠,٠٠

خبرة العمل السابقة للهجرة:

هل تزيد خبرة العمل السابقة في وطن المهاجر الأصلي فرصته في الحصول على عمل في الخارج لو رغب في ذلك؟ إن البيانات الواردة في الجدول رقم (١٠) تشير بوضوح إلى أن العمل قبل الهجرة وفي قطاعات القوات المسلحة والخدمة المدنية والشركات والبنوك هي وسيلة ضرورية لحصول المهاجرين الريفيين العائدين على عمل في الخارج. إذ إن (٨٢,٧%) من أفراد العينة الحالية كانوا قد عملوا في أوطانهم الأصلية قبل هجرتهم. إن مثل هذه العلاقة القوية بين خبرة العمل السابقة في الوطن الأصلي قبل الهجرة والحصول على عمل في بلد الاستقبال للمهاجرين، وجدها كل من الساكت[٦٨] وسكمب[٦٩] والزغل[٧٠]. ومع اشتداد منافسة العمل الآسيوية للعمال الأردنيين والعرب في الدول الخليجية، وتناقص فرص العمل، وانخفاض مستويات الأجور هناك،

68- Saket, et al., Op. Cit., P.72.

69- Seccomb, 1985, Op. Cit., P. 11.

٧٠ – الزغل، المصدر السابق، ص١٨.

يمكن أن نتوقع دورا متزايدا لخبرة العمل ـــ وخاصة الفنية والماهرة ـــ قبل الـــهجرة في البلد الأصلي للمهاجر بوصفها وسيلة مهمة للحصول على عمل في الخارج.

طريقة الحصول على عمل في الخارج:

تشير بعض الدراسات السابقة[٧١]، إلى وجود وسيلتين قد يتبعهما المهاجر للحصول على العمل في الخارج، الأولى حصوله على عمل وهو في وطنه الأصلي، وتوقيعه عقـــد العمل قبل تركه بلده، وهي الأسلوب الآمن والمفضل. والثانية سفر المـــهاجر كزائـــر أولا، ومحاولته الحصول على عمل بعد وصوله هناك، وقد اتبع ثلاثة أربـــاع عينـــة المهاجرين الريفيين العائدين في هذه الدراسة الطريقة الأولى في توقيع عقود عملهم في قراهم قبل سفرهم، كما فعلت غالبية أفراد عينتي دراسة الساكت والزغل[٧٢].

ويبدو أن الانتداب/الإعارة الحكومية كانت الوسيلة الأكثر شـــيوعا بيـــن المـــهاجرين الريفيين العائدين في حصولهم على عقود عملهم قبل سفرهم(٣٨,٤%)، ويليها وجـــود الأقارب والأصدقاء في بلد العمل في الخارج (٢١,٩%)، وأخـــيرا وكالـــة التوظيـــف والاستخدام (١٥,٢%) وكما يشير إلى ذلك الجدول رقم (١٠). إن مثل هذه النتيجة في أهمية الانتداب/الإعارة الحكومية ووجود الأقارب والأصدقاء في الخارج، في الحصول على عمل المهاجر قبل ترك بلده، وجدها الزغل في دراسته على المهاجرين الأردنيين الريفيين الحاليين[٧٣]. أما الساكت[٧٤]، فقد وجد أن الغالبية المسيطرة لعينة دراســـته مـــن المهاجرين العائدين في عمان (٨٣,٥%) حصلوا على عقودهم قبل ســـفرهم بواســـطة وكالة الاستخدام، وأن (١١,٢%) منهم فقط، حصلوا على الشيء نفسه عـــن طريـــق

---

[٧١] ـــ الزغل، المصدر السابق. ص١٩، وكذلك الساكت، ص٥٤.

[٧٢] ـــ الساكت، المصدر السابق، ص٥٤، والزغل، المصدر السابق ص١٩.

[٧٣] ـــ الزغل، المصدر السابق، ص١٩-٢٠.

[٧٤] ـــ الساكت، المصدر السابق، ص٥٤.

الانتداب/الإعارة الحكومية. ويبدو أن الاختلاف بين أهمية الانتداب/الإعارة الحكومية ووجود الأقارب في حصولهم على عمل في الخارج من جهة، وأهمية وكالة الاستخدام في هذه الدراسة ودراسة الساكت من جهة أخرى هو لكون الغالبية العظمى لعينة الدراسة الأخيرة حضرية، ولذا كان ازدياد اعتماد الحضريين على الوسائل الرسمية أكثر من اعتمادهم على الوسائل الشخصية في حصولهم على العمل المنشود.

الجدول رقم (١٠)

توزيع أفراد عينة المهاجرين الريفيين العائدين حسب طريقة الحصول على عمل قبل تركهم قراهم

طريقة الحصول على الوظيفة قبل ترك القرية	العدد	%
انتداب/إعارة	٥٨	٣٨,٤
وكالة استخدام	٢٣	١٥,٢
الأقارب	٢١	١٣,٩
صديق غير الأقارب	١٢	٨,٠٠
لا ينطبق/دون جواب	٣٧	٢٤,٥
المجموع	١٥١	١٠٠,٠٠

سنوات عودة المهاجر الريفي:

تظهر البيانات الواردة في الجدول رقم (١١) أن قمة فترة عودة المهاجرين الريفيين في هذه الدراسة هي بين عامي ١٩٨٠ و١٩٨٥، حيث إن (٧٢,٨%) منهم عادوا لوطنهم الأصلي في هذه الفترة. ولعل هذه النتيجة تؤكد ما توقعته بعض الدراسات[٧٥] الأخرى عن هجرة العمالة الأردنية المعاكسة ابتداء من مطلع الثمانينيات.

[٧٥] ـ سعد الدين ابراهيم، النظام الاجتماعي العربي الجديد، مصدر سابق، ونادر فرجاني، الهجرة والتنمية في أقطار الوطن العربي، مصدر سابق، ص١٤٠١، بيركس وسنكلر المصدر السابق ص٥٣.

ويرى رضوان[٧٦] أن هناك رأيين بالنسبة لحجم ظاهرة عودة المهاجرين العرب إلى بلادهم: أحدهما يرى أنها أصبحت ظاهرة مهمة وخطيرة في التاريخ الذي أشرنا إليه، والآخر يرى أن العمالة العائدة الصافية ما زالت تيارا ضعيفا، ولم يبدأ بالفعل إلا في عام ١٩٨٥، وأنه على الرغم من انحسار الانتعاش الاقتصادي في بلدان الاستقبال، إلا أن الطلب على العمالة الوافدة ظل مستمرا من بداية الكساد وحتى عام ١٩٨٥، وأن الأرقام المتوافرة عن حالتي مصر والأردن تشير إلى صحة الرأي الأخير.

وفي دراسة أخيرة للعكل[٧٧] بين أن الأرقام بالنسبة لعودة العمال الأردنيين من الخارج قد بدأت في منتصف عام ١٩٨٦، وقد بلغ عدد من عادوا حتى سبتمبر/أيلول من العام نفسه ١١٢٥ شخصا. إن الفترة التي استوفتها دراسة العكل هي ثلاثة شهور، وإذا ما استمر نمط العودة على الوتيرة نفسها، فيقدر عدد العمال العائدين الأردنيين بـ (٤٥٠٠) شخصا لعام ١٩٨٦، وهذا الرقم منسجم مع تقديرات خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية الأردنية للفترة ١٩٨٦ــ١٩٩٠ حيث قدرت عدد العمال الأردنيين العائدين بـ (٢٥) ألف عامل لفترة الخطة[٧٨].

وأيا كانت صحة أرقام العمالة الأردنية العائدة، فإن من المؤكد أنها ظاهرة مهمة وخطيرة وواقعة فعلا، كما يتوق لها الاستمرار. وهذا يقتضي من الأردن التخطيط والعمل جديا لرسم الخطط الملائمة لاستيعابهم في سوق العمل الأردني.

---

[٧٦] ــ سمير رضوان، "القوى العاملة العربية: الواقع وآفاق المستقبل" المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، السنة ١٠، العدد ١٠٩، آذار ١٩٨٨، ص٥٧.

[٧٧] ــ محمد عبد الهادي العكل، "سوق العمل والتشغيل بين الهجرة وجزرها: التجربة الأردنية". ورقة قدمت إلى ندوة الهجرة العربية العائدة تونس ص ٨٨.

[٧٨] ــ المملكة الأردنية الهاشمية، وزارة التخطيط خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ١٩٨٦ــ١٩٩٠ عمان، كذلك صالح خصاونة المصدر السابق ص٢٠.

الجدول رقم (١١)

توزيع أفراد عينة المهاجرين الريفيين العائدين حسب تاريخ عودتهم لقراهم الأصلية

تاريخ عودة المهاجر للقرية	العدد	%
ـ ١٩٦٧	٠٥	٣.٣
١٩٦٨ـ١٩٧٣	٠٣	٢,٠٠
١٩٧٤ـ١٩٧٩	٢٩	١٩,٢
١٩٨٠ـ١٩٨٥	١١٠	٧٢,٨
دون جواب	٠٤	٢,٧
المجموع	١٥١	١٠٠,٠٠

مدة إقامة المهاجر الريفي العائد من الخارج:

بلغ متوسط إقامة العمل في الخارج للمهاجر الريفي العائد في هذه الدراسة نحو خمس سنوات (٤,٧)، وهي نسبة قريبة جدا من نسبة (٤,٥) سنة للمهاجرين العائدين في عينة دراسة الساكت[٧٩]. أما فندلي وسمحة فلم يذكر معدل إقامة العمل في الخارج لعينة المهاجرين العائدين عندهما، واكتفيا بذكر أن مدة إقامة العائدين كانت قصيرة، وأن ٤٣% منهم قضوا دون أربع سنوات[٨٠]. وإذا ما اتبعنا التصنيف الأخير في مدة العمل في الخارج للمشمولين بهذه الدراسة، فيكون نحو ثلاثة أرباعهم قد قضوا من سنة إلى خمس سنوات، وربعهم الآخر أكثر من خمس سنوات من العمل قبل عودتهم (الجدول رقم ١٢). إن معدل الإقامة من أجل العمل القصير نسبيا ربما تأثر بعدد العوامل لعل أهمها المستوى التعليمي المتدني لغالبية أفراد العينة، والخبرة المهنية المتوسطة لديهم. ونظام الانتداب والإعارة (٣٨,٤%) منهم حصلوا على وظائفهم عن هذا الطريق، الذي لا يسمح بأكثر من ٤ـ٥ سنوات من العمل في الخارج.

[79]- Saket, et al., Op. Cit. P. 51.

[80]- Findlay & Samha, Op. Cit., P., 6.

الجدول رقم (١٢)

توزيع أفراد عينة المهاجرين الريفيين العائدين حسب مدة العمل في الخارج

مدة العمل في الخارج	العدد*	%
١ـــ٥	١١٢	٧٥,٧
٦ـــ١٠	٢٣	١٥,٥
١١ـــ فأكثر	١٣	٨.٨
المجموع	١٤٨	١٠٠,٠٠

- هناك ثلاث حالات لم تجب عن السؤال.

أسباب عودة المهاجر العائد:

احتلت الأسباب الموضوعية الخارجة عن إرادة المهاجرين، والمتمثلة في إنهاء عقـــود عملهم صدارة النسب المئوية (٣٩,٧%)، ويلي ذلك في الفئة نفسها تخفيض الأجـــور (١٤,٥%)، وعدم الحصول على الوظيفة المناسبة (١٢%)، والمعاملة السيئة للعـــاملين في الخارج (٧,٣%). أما الأسباب الأخرى، فكانت غالبيتها العظمى عائلية شـــخصية (٢٣,٨%)، تربية وتنشئة الأطفال (١٠,٦%)، والقناعة المتمثلة بتوفير المال الكـــافي لسد الاحتياجات الأساسية والأسباب المرضية وبنسبة (٧,٣%) لكل منـــها (لـــم يـــرد الجدول). ويبدو واضحا أن نسبة كبيرة من المهاجرين الريفيين العائدين كان يمكـــن أن تستمر في العمل لو توافرت لها الظروف الموضوعية الاجتماعية الملائمة.

مدة الانتظار للحصول على عمل بعد العودة:

استطاعت الدراسة الحصول على المدة التي انقضت بين عودة المهاجر الريفي العـــائد وحصوله على أول وظيفة/عمل في الأردن. وتفيـــد المعلومـــات أن نصـــف العينـــة المشمولة بهذه الدراسة حصلت على عمل في الأردن خلال ستة الشهور الأولى مـــن عودتها في الخارج. أما معدل الانتظار لمجموع أفراد العينة الحالية للحصـــول علـــى

عمل في الأردن فكان أربعة شهور، وهي فترة الانتظار نفسها التي وجدها الساكت[81] في دراسته على عينة المهاجرين العائدين إلى عمان.

عناصر الهجرة القرابية

تكون الخصائص الاجتماعية، وعناصر الهجرة الموضوعية للمهاجرين الريفيين العائدين جوانب أساسية من عملية الهجرة الدولية للخارج. إلا أن الصورة قد تكون أكثر وضوحا وكمالا إذا درس الباحث بالإضافة إلى ذلك أهم عناصر الهجرة الدولية القرابية التفاعلية بين المهاجر الريفي وأقاربه في الداخل والخارج. ولعل أهم هذه العناصر القرابية التفاعلية هي: وجود الأقارب وأبناء البلدة والأصدقاء في بلد الاستقبال ونوع المساعدة التي قدموها للمهاجر الريفي هناك، وقضاء المهاجرين إجازاتهم في قراهم وتكرار هذه الزيارات، ومدتها، واستشارة المهاجرين الريفيين زوجاتهم/أمهاتهم قبل تولي عملهم في الخارج، واستجابتهن لهذه الاستشارة، ومدى زيارة الزوجة /الأم لزوجها/ ابنها خلال عمله في الخارج.

وجود الأقارب وأبناء البلدة والأصدقاء في مكان العمل:

إن وجود الأقارب وأبناء البلدة والأصدقاء في مكان العمل في الخارج، قد يشجع المهاجرين على اتخاذ قرار الهجرة الدولية، ويقدم أحد عناصر الاطمئنان في عالم جديد سيدخله، ورصيدا إضافيا قد يعتمد عليه وقت الحاجة لنشدان المساعدة والعون.

وتظهر المعلومات الواردة في الجدول رقم (١٣) عن المهاجرين العائدين المشمولين بهذه الدراسة، أن نحو نصفهم (٤٨,٣%) كان لهم أقارب أو أصدقاء من أبناء بلدتهم في مكان العمل الذي هاجروا إليه في الخارج. أضف إلى ذلك، أن (٧,٣%) منهم ذكروا أن لهم أصدقاء في مكان العمل من غير أبناء القرية، وبهذا يصبح لـ

[81]- Saket et al., Op. Cit., P., 70.

(٥٥%) من المهاجرين الريفيين العائدين أقارب وأصدقاء من البلدة وخارجها في مكان العمل الذي ذهبوا إليه. وهي نسبة مئوية عالية نسبياً، وتشير إلى أن أثر علاقة القربى في الهجرة الدولية بين أفراد العينة الحالية كانوا قد حصلوا على عملهم في الخارج بواسطة الأقارب (الجدول رقم ١٠) وقد وجد الساكت[٨٢] في دراسته عن المهاجرين العائدين في عمان أن ١٠,٥% منهم كانوا قد حصلوا على وظائفهم عن طريق الأقارب، وكذلك وجد الزغل[٨٣] في دراسته عن المهاجرين الريفيين الحاليين أن (٢٢,٧%) منهم حصلوا على عملهم بواسطة الأقارب في الخارج. وأن (٥٨,٤%) منهم ذكروا أن لهم أقارب من قراهم يعملون في البلاد التي هاجروا إليها.

الجدول رقم (١٣)

توزيع أفراد عينة المهاجرين الريفيين العائدين حسب وجود الأقارب وأبناء البلدة والأصدقاء في الخارج

الأقارب والأصدقاء في الخارج	العدد	%
أبو الزوجة	١	٠,٧
أخو المهاجر	٢٠	١٣,٢
ابن عم المهاجر	١٣	٨,٦
أخو الزوجة	٠٢	١,٣
أقارب آخرون	٢٧	١٧,٩
أصدقاء من القرية	١٠	٦.٦
صديق من غير القرية	١١	٧,٣
لا ينطبق دون جواب	٦٧	٤٤,٤
المجموع	١٥١	١٠٠,-

[82]- Saket, et al., Op. Cit, P. 54.

[٨٣] ــ على الزغل، المصدر السابق ص١٨.

أنواع المساعدة من الأقارب وأبناء البلدة والأصدقاء في الخارج:

إن غالبية عينة المهاجرين الريفيين العائدين كان لهم أقارب وأبناء بلدة وأصدقاء في مكان العمل الذي هاجروا إليه. وعند سؤال الأهل، هل ساعد أي من هؤلاء الأقارب والأصدقاء زوجك /ابنك في الحصول على عمل في الخارج؟ أجاب ثلث أفراد العينة بأن أزواجهن /أبناءهن حصلوا على بعض المساعدة من هؤلاء الأقارب وأبناء البلدة والأصدقاء (الجدول غير وارد).

إن المساعدة في البحث عن عمل احتلت المرتبة الأولى، بين ما قدم للمهاجرين الريفيين العائدين من أقاربهم وأبناء بلدتهم وأصدقائهم في الخارج، إذ ذكرها ثلثا من أجابوا عن السؤال، واحتلت المساعدة في تأشيرة العمل المرتبة الثانية وذكرها (٥٦%) ممن أجابوا عن السؤال. بينما كونت المساعدة في السكن والمساعدات الأخرى وإقراض النقود، (٢٦%)، و (١٤%)، و (٦%) ممن أجابوا عن السؤال على التوالي، الجدول رقم (١٤). ومما يجدر التنويه به هنا، أن هذه الإجابات متعددة، ويمكن أن يكون المهاجر قد تلقى أكثر من نوع من أنواع المساعدة المذكورة، ولعل أهم ما توضحه هذه البيانات هو أهمية وجود الأقارب وأبناء البلدة والأصدقاء، في تأمين عمل، والمساعدة المتنوعة التي يقدمونها للمهاجر الريفي عند اتخاذ قرار الهجرة للعمل في الخارج.

الجدول رقم (١٤)

توزيع أفراد عينة المهاجرين الريفيين العائدين حسب نوع المساعدة التي قدمها الأقارب وأبناء البلدة والأصدقاء من القرية في الخارج

نوع المساعدة التي قدمها الأقارب والأصدقاء	العدد*	%
البحث عن عمل	٣٣	٦٦
المساعدة في لسكن	١٣	٢٦
المساعدة في النقود	٠٣	٠٦
المساعدة في التأشيرة	٢٨	٥٦
مساعدات أخرى	٠٧	١٤

*بلغ عدد الذين أجابوا عن السؤال بنعم أو لا (٥٠) شخصاً.

الاستشارة قبل تولي العمل في الخارج:

عندما يفكر الفرد الريفي في الحصول على عمل، أو تلوح له فرصة عمل في الخارج، فمن هم الأشخاص الذين يستشيرهم في هذا الأمر. إن الغالبية العظمى (٨١,٥%) من أفراد عينة الدراسة الحالية استشارت أزواجها قبل اتخاذ قرار العمل في الخارج. وقد وجد الساكت[٨٤] في دراسته عن المهاجرين الحاليين والعائدين الأردنيين أن خمسهم استشاروا عائلتهم الصغيرة، عام ١٩٨٠، كما وجد الزغل[٨٥] في دراسته للمهاجرين الأردنيين الريفيين الحاليين نتيجة مشابهة لهذه في هذا المجال. وقد كانت استجابة الزوجات لاستشارة أزواجهن لهن في العمل في الخارج إيجابية جداً. إذ شجعت ثلاثة أرباعهن أزواجهن على العمل في الخارج، ولم تشجعه (٦%) منهن فقط (الجدول رقم ١٥).

Saket, et al., op. Cit., p.53 [٨٤]

وبالإضافة إلى استشارة الزوجة، فقد استشار المهاجر الريفي أفراد العائلة المباشرين، فقد استشار (٣٥,٨%) من عينة المهاجرين العائدين آباءهم، و (٢٣,٢%) منهم إخوانهم وأمهات زوجاتهم، و (١٠,٦%) منهم أمهاتهم (لم يرد الجدول). إن الملاحظة الواضحة من هذه البيانات هي غلبة قيم الأسرة الصغيرة النووية ممثلة باستشارة الزوجة، إلا أن تأثير الأسرة الكبيرة لا زال قائما، ولكن في تضاؤل مثلته النسب المئوية لاستشارة الوالدين.

الجدول رقم (١٥)

توزيع أفراد عينة المهاجرين الريفيين العائدين حسب استجابة الزوجة /الأم عندما استشارها زوجها /ابنها للعمل في الخارج

شعور الزوجة اتجاه الهجرة	العدد	%
شجعته على الهجرة	١١٦	٧٦,٨
محايدة اتجاه الهجرة	٠٢	١,٣
لم تشجعه على الهجرة	٠٩	٦ –
لا ينطبق / دون جواب	٢٤	١٥,٩
المجموع	١٥١	١٠٠–

زيارة الريفي المهاجر العائد قريته الأصلية:

لم يكن المهاجرون العائدون في العينة الحالية منقطعي الصلة بعائلاتهم وقراهم الأصلية، بل أقاموا معهم علاقات تفاعلية قوية من خلال زيارات العطل المتكررة. إذ أفادت الغالبية العظمى منهم (٨٥%)، أنهم يقضون إجازاتهم مع عائلاتهم في قراهم الأصلية، كما يبين الجدول رقم (١٦) أن عدد مرات زياراتهم عائلاتهم وقراهم في هذه الإجازات متغير كثيرا، ويتراوح بين زيارة واحدة كل سنتين إلى خمس زيارات في

[٨٠] علي الزغل، المصدر السابق، ص٢١.

السنة الواحدة. وعند تفصيل هذه الزيارات، نجد أن (٤٤,٤%) من المهاجرين الريفيين العائدين كانوا يقضون إجازاتهم السنوية كل سنة مع عائلاتهم وفي قراهـــم الأصليـــة، وأن ربعهم كانوا يقومون بذلك مرتين في السنة، وأن (٧,٢%) منهم كانوا يـــزورون عائلاتهم وقراهم من (٤ ــ ٥) مرات في السنة الواحدة. وقد وجد الزغل في دراســته المشار إليها عن المهاجرين الريفيين الحاليين نتائج مشابهة في هذا المجال.

الجدول رقم (١٦)

توزيع أفراد عينة المهاجرين الريفيين العائدين حسب عدد مرات زيارة قراهم الأصلية

الزيارات للقرية	العدد	%
خمس مرات في السنة	٤	٢,٦
أربع مرات في السنة	٧	٤,٦
مرتان في السنة	٣٩	٢٥,٨
مرة واحدة في السنة	٦٧	٤٤,٤
مرة كل سنتين	٠٩	٦,٠
لم يزر بلدته	٠٤	٢,٦
دون جواب	٢١	١٤,٠
المجموع	١٥١	١٠٠,٠

مدة زيارة المهاجر الريفي العائد عائلته:

تفيد البيانات الواردة في الجدول رقم (١٧) أن طول مدة زيارة المهاجر الريفي العـــائد عائلته وقريته الأصلية كانت متفاوتة كثيرا، إذ تراوحت بين إســـبوع وســـتة أســـابيع سنويا. وأن مدة الزيارة الأكثر تكرارا بين أفراد العينة الحالية هي أربعة أسابيع، حيـــث ذكرت من قبل (٤٥,٧%) منهم، ويلي ذلك مدة الإجازة لأكثر من إســـبوع وحســـب الحاجة حيث ذكرها (١٤,٦%) منهم. وفي العموم، فإن (٧٤,٢%) من أفـــراد عينـــة

المهاجرين الريفيين العائدين كانوا يقضون إجازات سنوية من إسبوع إلى ستة أسـابيع في قراهم الأصلية. ولعل هذا التفاعل المتواصل بين المهاجر الريفي العائد وعائلتـه، كان يسهم في استمرار دوره في صنع القرارات العائلية رغم بعده النسبي عنها.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا، هو عدم قضاء المهاجرين العائدين إجازة مدتـها تسـعة أسابيع، كما هو الحال في دراسة الزغل للمهاجرين الريفيين الحاليين. وربمـا يعـود السبب في ذلك، إلى انعدام عنصر المعلمين الذين يتمتعون بمثل هذه الإجازة السـنوية الطويلة عادة. وفيما عدا هذه، فإن النتائج الحالية لمدد الزيارات ونسبتها المئوية تكـاد تكون متشابهة لما وجده الزغل[٨٦] في دراسته المشار إليها.

الجدول رقم (١٧)

توزيع أفراد عينة المهاجرين الريفيين العائدين حسب طول مدة الزيارة لقراهم الأصلية

مدة الزيارة للقرية	العدد	%
أسبوع واحد	٢	١,٣
أسبوعان	٨	٥,٣
ثلاثة أسابيع	٥	٣.٣
أربعة أسابيع	٦٩	٤٥,٧
خمسة أسابيع	٠٣	٢,٠
ستة أسابيع	٠٣	٢,٠
حسب الحاجة لأكثر من أسبوع	٢٢	١٤,٦
دون جواب	٣٩	٢٥,٨
المجموع	١٥١	١٠٠,٠

[٨٦] علي الزغل، المصدر السابق، ص٢٠ ــ ٢١.

زيارة زوجة /أم المهاجر الريفي العائد له في الخارج:

لم تكن درجة تفاعل زوجات /أمهات المهاجرين الريفيين العائدين مع أزواجهن /ابنائهن المهاجرين العائدين خلال عملهم في الخارج من خلال زياراتهن لهم، بمثل درجة تفاعل المهاجرين العائدين مع عائلاتهم من خلال زياراتهم السنوية لهن. إذ بينت الدراسة أن أقل من ثلث الزوجات /الأمهات (٢٩,٨%) زرن أو رافقن أزواجهن /أبناءهن خلال عملهم في الخارج. وقد تراوحت مدة الزيارة /الإقامة بين ثلاثة شهور وأكثر من أربع سنوات. ويميل نمط الزيارة /الإقامة إلى أن يكون طويلاً نسبياً، إذ إن (٨٨%) ممن زرن أزواجهن /أبناءهن أقمن معهم فترة تزيد على سنة واحدة، وإن (٤٢,٤%) منهن أقمن لفترة تزيد على أربع سنوات، الجدول رقم (١٨).

وبالمقابل، فقد وجد الزغل[٨٧] في دراسته أن كل أمهات /زوجات المهاجرين الريفيين الحاليين ما عدا واحدة، زرن أزواجهن /أبناءهن في أماكن عملهم في الخارج، وأن (٨٠%) منهن أقمن معهم فترة قصيرة في تلك الزيارات من شهر إلى ثلاثة شهور.

(٨٧) علي الزغل، المصدر السابق، ص٢٣.

الجدول رقم (١٨)

توزيع أفراد عينة المهاجرين الريفيين حسب مدة إقامة الزوجة /الأم

مع زوجها /ابنها عندما كان يعمل في الخارج

مدة إقامة الزوجة /الأم بالشهور	العدد	%
١ ـ ٣	٥	١١,١
٤ ـ ٦	٢	٤,٥
٧ ـ ١٢	١	٢.٢
١٣ ـ ٢٤	٤	٨.٨
٢٥ ـ ٣٦	٧	١٥,٦
٣٧ ـ ٤٨	٧	١٥,٦
٤٩ ـ فأكثر	١٩	٤٢,٢
المجموع	٤٥	١٠٠,٠

تلخيص النتائج

إن هجرة الأردنيين من أجل العمل تقليد أردني قديم، بدأت في أوائل العشرينيات من هذا القرن إلى فلسطين في ظل الانتداب البريطاني. إلا أن تيار الهجرة انعكس بعد أعوام ١٩٤٨ و١٩٦٧ نتيجة لقيام الكيان الصهيوني واحتلال الضفة الغربية، وأصبح من فلسطين للأردن، كما أصبحت طبيعة الهجرة قسرية وليست اختيارية. وأدت العوامل الكيانية الطارئة في المجتمع الأردني، كنقص رأس المال المستثمر، وارتفاع معدل البطالة، وزيادة عرض سوق العمل نتيجة النهضة التعليمية الواسعة، وسياسة الحكومة الأردنية المرنة في هجرة القوى العاملة، من جهة، وارتفاع الأجور نتيجة لارتفاع أسعار النفط وعائداته بعد عام ١٩٧٣، والمشاريع التنموية الطموح نتيجة لعائدات النفط المذهلة ونقص الأيدي العاملة الوطنية المؤهلة، والانفتاح على العمالة العربية في الدول العربية الخليجية بصفتها عوامل جاذبة من جهة أخرى، أدت إلى هجرة أعداد كبيرة من العمال الأردنيين إلى هناك.

ولما كانت الهجرة مؤقتة، فقد كانت الأسباب المادية المتمثلة في توفير المال، وسداد الديون هي العوامل الرئيسية وراء هجرة الريفيين الأردنيين العائدين. وهذه النتيجة تتفق مع ما توصل إليه الساكت[٨٨] وسكمب[٨٩]والزغل[٩٠] . إذ كان هدف المهاجر الريفي هو توفير القدر الكافي من النقود لتحسين أوضاعه وأوضاع عائلته السكنية والمعيشية بالدرجة الأولى. وبسبب منع قوانين الدول الخليجية المضيفة منح الجنسية، تعززت لدى المهاجرين إقامة العمل المؤقتة هناك.

[٨٨] Saket, et. Al., op. Cit., p.49

[٨٩]Seccombe, 1984, op. , p.11

[٩٠] علي الزغل، المصدر السابق، ص١٦.

لقد بينت الدراسة الحالية الصفة الاختيارية لعملية هجرة الأردنيين الريفيين العائدين إلى الخارج حسب الجنس والعمر والمهنة، حيث كانت الغالبية المسيطرة من المهاجرين الريفيين العائدين من الذكور، وفي سن الرشد وعملت في الخدمة المدنية والقوات المسلحة والشركات والأعمال الحرة. وهي في ذلك تتفق مع ما توصل إليه كل من الساكت[٩١]وسكمب[٩٢]والزغل في هذا الإطار. وبالمقابل، بينت الدراسة الحالية المستوى التعليمي المتدني لغالبية أفراد العينة الحالية. وهي بهذا لا تتفق مع ما توصل إليه الباحثون الثلاثة المذكورين آنفا، حيث بينت دراساتهم الصفة التعليمية العالية لعينات المهاجرين الأردنيين في دراساتهم. كما كان المهاجرون الريفيون العائدون كلهم متزوجين ما عدا واحدا. وقد بينت الدراسة أن خبرة العمل قبل الهجرة في القطاع العام (الخدمة المدنية والقوات المسلحة)، والقطاع الخاص (الشركات والمصارف والأعمال الحرة) لبلد الأصلي للمهاجر العائد، كانت ضرورية في الحصول على عمل في الخارج، وغالبا ما كان هذا العمل في القطاع نفسه. وهي بذلك تتفق مع ما توصل إليه الساكت[٩٤]، وسكمب[٩٥] والزغل[٩٦] في هذا المجال. وكانت السعودية المستخدم الأول للمهاجرين الريفيين العائدين، وتليها الإمارات العربية المتحدة ثم قطر. وهذا ما وجده الساكت[٩٧] وسكمب[٩٨] في دراستيهما، إلا أن الزغل[٩٩] وجد أن الإمارات العربية

(٩١) Saket, et. al., op. Cit., p.20
(٩٢)Seccombe, 1985, op. , p.12
(٩٣) على الزغل المصدر السابق ص١٥.
(٩٤)Saket, et. al., op. Cit., p.66
(٩٥)Seccombe, 1985, op. , p.11
(٩٦) علي الزغل، المصدر السابق، ص١٥.
(٩٧)Saket, et. al., op. Cit., p.
(٩٨)Seccombe, 1985, op. Cit., p.11
(٩٩) علي الزغل، المصدر السابق، ص١٤.

المتحدة احتلت المرتبة الأولى وأتت بعدها السعودية في استخدام المهاجرين الريفيين الحاليين الأردنيين. وقد كان متوسط دخل عائلاتهم السنوي (٢١٢٠) ديناراً، وهو أقل مما وجده الساكت[١٠٠]، كما وقعت غالبيتهم العظمى في فئة الدخل السنوي الدنيا (دون ٢٠٠٠ دينار) وربعهم في فئة الدخل الوسطى (٢٠٠١ ـ ٤٠٠٠ دينار) وامتلك (٩٤%) منهم بيوتهم التي يسكنونها.

وبالنسبة لعناصر هجرة الريفيين العائدين الموضوعية، فقد بينت الدراسة أن عوامل الطرد في الضفة الشرقية وعوامل الجذب في الدول الخليجية النفطية الوارد ذكرها في مطلع هذا التلخيص كانت الأسباب الرئيسية وراء هجرتهم. وكانت قمة سنوات هجرتهم هي الفترة بين ١٩٧٤ ـ ١٩٧٩، وهي بهذا تتفق مع ما توصل إليه الساكت[١٠١] وبيركس وسنكلير[١٠٢]، وسكمب[١٠٣] ١٩٨٤، وابراهيم[١٠٤]، وخضاونة[١٠٥]، إلا إنها لا تتفق مع ما توصل إليه سكمب[١٠٦] في السموع، والزغل في دراسة المهاجرين الريفيين الحاليين. بينت الدراسة ان ثلاثة أرباع أفراد العينة الحالية، حصلوا على عقود عملهم قبل أن يتركوا قراهم الأصلية. وهي بهذا تتفق مع ما توصل إليه الساكت[١٠٧] والزغل[١٠٨] في هذا الأمر. وكان الانتداب /الإعارة الحكومية، ووجود

---

(١٠٠) Saket, et. al., op. Cit., p.167

(١٠١) Saket, et. al., op. Cit., p.49

(١٠٢) Birks & Sinclair, op. Cit., p.34.

(١٠٣) Seccombe, 1984, op. Cit., p.11

(١٠٤) سعد الدين إبراهيم، المصدر السابق.

(١٠٥) صالح خصاونة، المصدر السابق، ص١٣.

(١٠٦) Seccombe, 1985, op. Cit., p.10

(١٠٧) Saket, et. al., op. Cit., p.54

(١٠٨) علي الزغل، المصدر السابق ص١٩.

الأقارب في الخارج، ووكالة التوظيف هي أهم طرق الحصول على عقد العمل عند المهاجرين الريفيين العائدين حسب هذا الترتيب. وتتفق هذه النتيجة مع ما توصل إليه الساكت وسكمب والزغل. أما ذروة سنوات عودة المهاجرين الريفيين في هذه الدراسة (٧٢,٨%) منهم فكانت بين الأعوام ١٩٨٠ ــ ١٩٨٥، وهي بهذا تؤكد ما توقعته بعض الدراسات الأخرى[١٠٩] عن تراجع أعداد العمالة الأردنية المهاجرة، وبداية هجرتهم المعاكسة ابتداء من مطلع الثمانينيات. إن عودة ما يقدر بخمسة آلاف عامل أردني سنويا أصبح ظاهرة حقيقية وخطيرة ويتوقع لها الاستمرار حتى عام ١٩٩٠.

وكان معدل إقامة المهاجرين الريفيين العائدين من أجل العمل في الخارج قصيرة نسبيا (٤,٧) سنة. وهذه النتيجة تتفق مع ما توصل إليه الساكت[١١٠] ولا تتفق مع ما توصل إليه الزغل[١١١]. وربما كان وراء هذه الإقامة القصيرة، المستوى التعليمي المتدني للمهاجرين العائدين، وخبرتهم المهنية المتوسطة ونظام الانتداب /الإعارة الحكومي الأردني الذي لا يسمح للمهاجر بالعمل في الخارج لأكثر من خمس سنوات. وقد ذكر المهاجرون العائدون أسبابا موضوعية لعودتهم أهمها: إنهاء عقودهم، وتخفيض أجورهم، وعدم حصولهم على الأجور المناسبة، وأسبابا شخصية أهمها الظروف العائلية، وتنشئة الأطفال وتربيتهم وتوفير المال الكافي لسد الاحتياجات الأساسية، والظروف المرضية. أما معدل انتظار المهاجر الريفي العائد بين عودته لوطنه ودخوله سوق العمل فيه فكانت أربعة شهور، وإن (٨٤,٧%) منهم دخلوا سوق العمل الأردني مرة أخرى وفي قطاع الخدمات منه.

---

[١٠٩] سعد الدين ابراهيم ١٩٨٦، المصدر السابق، ص٦، ونادر فرجاني، الهجرة والتنمية في الوطن العربي، المصدر السابق ص١٤٠، بيركس وسنكلير، مصدر سابق، ص٥٣.

[١١٠] Saket, et. al., op. Cit., p.51

[١١١] علي الزغل، المصدر السابق، ص٢٥.

وبينت الدراسة كذلك أن أكثر من نصف المهاجرين الريفيين العائدين كان لهم أقارب أو أبناء بلدة أو أصدقاء في مكان العمل الذي هاجروا إليه، وأن ثلثهم حصلوا على نوع أو أكثر من مساعدة الأقارب /الأصدقاء هناك في البحث عن عمل، والمساعدة في تأشيرة الدخول، والسكن وإقراض النقود وغيرها خاصة لمن لم يكن لديه عقد عمل مسبق. واستشارت غالبيتهم المسيطرة زوجاتهم /أمهاتهم قبل أن يقرروا الهجرة للعمل. كما استشاروا في هذا الأمر وبدرجات معقولة كلا من آبائهم وإخوانهم وأمهات زوجاتهم حسب هذا الترتيب وشجعت الغالبية العظمى من الزوجات/الأمهات أزواجهن/ أبناءهن على الهجرة من أجل العمل. وهم في كل هذا يشبهون ولو بدرجة أقل نسبيا أقرانهم من المهاجرين الريفيين الحاليين الذين يعملون في الخارج[١١٢].

وقد بينت الدراسة أن التفاعل العائلي القروي المتبادل بين المهاجر العائد وعائلته وقريته، كان مستمرا ومنتظما عند الغالبية العظمى منهم، تمثل ذلك في قضاء إجازاتهم السنوية مع عائلاتهم في قراهم الأصلية. حيث زار أقل من نصفهم بقليل عائلته وقريته سنويا وزار ثلثهم عائلته وقريته بين مرتين إلى خمس مرات سنويا. وهذه النتيجة تؤكد ما توصل إليه الزغل[١١٣] بهذا الصدد. وقد كانت مدة إجازتهم مع عائلاتهم في قراهم تتراوح بين أسبوع واحد وستة أسابيع ولحوالي (٧٥%) منهم. ويلاحظ أن مدة إجازاتهم كانت أقل مما كان يقضيه أقرانهم من المهاجرين الريفيين الحاليين من القرى نفسها في دراسة الزغل. وفيما عدا هذه، تتفق نتائج هذه الدراسة، حول عدد الزيارات ونسبها المئوية مع ما توصل إليه الزغل[١١٤] في الدراسة المشار إليها. أما تفاعل الزوجات /الأمهات مع أزواجهن /أبنائهن المهاجرين العائدين عندما كانوا في الخارج من خلال زيارتهن لهم أو إقامتهن معهم فقد كان أقل درجة، إلا إنه مهم. فقد زارت

---

[١١٢] المصدر السابق، ص٢٨.

[١١٣] المصدر السابق، ص٢٤.

[١١٤] المصدر السابق، ص٢٥.

نحو ثلث الزوجات /الأمهات أزواجهن /أبناءهن في أماكن عملهم في الخارج وأقمن معهم من شهر واحد إلى أكثر من أربع سنوات. إن هذه النتيجة لا تتفق مع ما وجده الزغل[١١٥] عند المهاجرين الريفيين الحاليين، حيث كانت نسبة زيارة زوجات المهاجرين الريفيين الحاليين لأزواجهن أعلى من هذه النسبة بكثير، ومدة إقامتهن معهم كانت أقصر من ذلك بكثير.

إن أهم ما توصي به نتائج هذه الدراسة، هي العمل الجاد على زيادة مدة عمل المهاجرين الأردنيين في الدول العربية الخليجية إلى أطول فترة ممكنة. ولعل أهم الأسباب الفاعلة في هذا السبيل، هو توفير القوى العاملة المؤهلة والمدربة فنيا لسد احتياجات سوق العمل الخليجي، إذ لم تعد الأيدي العاملة العادية وذات التعليم الجامعي النظري مطلوبة هناك. ويبدو أن أتباع سياسة حكومية مرنة تجاه نظام الإعارة والانتداب الأردني حيث تصبح مدته من ٨ ــ ١٠ سنوات قد تكون مثمرة في هذا الإطار. زد على ذلك، عقد اتفاقات ثنائية بين الأردن وبعض الدول العربية لتسويق بعض أصناف الأيدي العاملة المؤهلة كما هو الحال في الاتفاقية الأردنية ــ اليمنية حول الأطباء الأردنيين. ويضاف إلى ذلك، إنشاء وكالات استخدام متخصصة لتسويق الأيدي العاملة الأردنية الفائضة في الخارج بأسلوب علمي وواقعي.

---

[١١٥] المصدر السابق، ص٢٣ ــ ٢٤

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٨٨/١٢/١١.

"التلفزيون كما نتحدث عنه"

تأليف: جون ماري بيام

ترجمة: نصر الدين لعياضي

عرض: د.أديب خضور

قسم الصحافة ـــ كلية الآداب

جامعة دمشق

ملخص

لا يتألف كتاب «التلفزيون كما نتحدث عنه» من فصول متعاقبة ومتسلسلة، ولا يحصر نفسه داخل إطار التلفزيون، كما يوحي عنوانه، ولذلك فقد تعطي النظرة الأولى انطباعاً خادعاً بالتفتت والمحدودية. ولكن القراءة المعمقة تؤكد أن الكتاب يحقق وحدته وتكامله من خلال تعرضه لجوانب نظرية وتطبيقية من العملية الإعلامية ـــ الاتصالية، منطلقاً من موقف نقدي صارم. يحمل الكتاب وجهة نظر محددة، ويعالج قضايا وثيقة الصلة بالمجتمعات الصناعية المتطورة، ومع ذلك تبقى آراء الباحث جديرة بالدراسة والتأمل، وليس النسخ والتقليد، والنقل للتطبيق الآلي في مجتمعات لها ظروف مختلفة.

أولاً ـ أوهام الاتصال:

يستعرض المؤلف في هذا البحث النظرتين السائدتين إلى التلفزيون (وإلى الاتصال عموماً).

النظرة الأولى هي النظرة الطوباوية، التي تتكشف في الميادين التالية:

أ ـ اعتبار كل وسيلة اتصال في حد ذاتها مرحلة حاسمة في الاتصال.

ب ـ الاعتقاد بأن وسائل الاتصال تحدث آثاراً لا تخضع إلا لمنطقها الخاص، وبالتالي تم فصل هذه الوسائل عن الواقع الاجتماعي والجغرافي وعن الظرف التاريخي المعين وعن التشكيلة الاجتماعية المعينة.

جـ ـ تبدو كل وسيلة اتصال كعلاج للنقص الأساسي متمثلاً في «الاتصال»، على الرغم من التطور المتزايد لتقنية التوصيل والاتصال يتجه الإنسان ليكون كائناً حياً معزولاً ومجهولاً.

د ـ القول إن كل وسيلة اتصال جديدة هي الأداة التي حلمت بها الإنسانية.

النظرة الثانية هي الفردوس المفقود: ـ بظهور التلفزيون ـ ساد مفهوم «الصورة مفتاح الأمل» و«الصورة وسيلة إيصال الآنية والمباشرة، وفي الوقت نفسه، وللجميع». وتم التأكيد على أن قوة التلفزيون تنبع من المباشرة (الصورة، بعكس الكلمة، لا تتطلب الرجوع إلى الرمز أو إلى التدرب. إنها ترهف أحاسيسنا مباشرة دون مرحلة انتقالية، دون الرجوع إلى العقل... وهكذا يتم فهم طابع الصورة الآني والمباشر، الذي يجعلها لغة مباشرة تخاطب الجميع). كما تم ترويج مقولة إن التلفزيون قادر على أن يحقق مشاركة المشاهد في الأحداث ولكن واقع التلفزيون يجسد الخيبة التي تتمثل في الجوانب التالية:

أ ــ بات واضحا أن المشاركة ليست سوى وهم أو خداع... والخداع هنا هـو فقـدان المشاهدين استقلالهم الذاتي الفكري، وذلك في استسلامهم طوعا أو كرهـا إلـى ديناميكية الصور الفيلمية في حالة لا يشارك فيها الفكر.

ب ــ سقط أمل مقدرة التلفزيون (والاتصال عموما) على نشر الثقافة والإبداع وبـات واضحا أن.. الثقافة الجماهيرية ليست سوى إفراز الاتصال الذي يرثى لـه، لأن نمط صناعتها ونظامها الرمزي، وسلم قيمها، لا يمكن أن تتماشى بتاتا مع إنتـاج تجربة أصيلة.. والتلفزيون، وسيلة الاتصال الممتازة في استهلاك الإنتاج الحرفي والبرامج النمطية، تحـول التقاء المشاهدين مع الذاتية المبدعة، ففي توجهها إلـى الجمهور لا تقدم التلفزة إلا الخطاب الذي يمس أكبر عدد منه... وهكذا، فإن قـوة التلفزيون هي ضعفه.

جـ ــ يمثل التلفزيون اتصالا مخفقا أيضا لعدم قدرته على التحكم في مسار الإعـلام الذي شرع في تقديمه. وأصبح، بالتالي، إنسان التلفزيون لا يعرف شيئا من كـثرة معرفته لكل شيء، وغرق وعيه الناقد في بحر الأخبار الذي غطى فيه الـهامش الأساسي، واحتل وصف الأحداث مكان شرحها.

د ــ يعجل التلفزيون في عملية تغريب المجتمعات بعد الصناعيـة. يقـوم التلفزيـون بدوره النشيط والمتعاون مع بقية وسائل الإعلام لتقليص الرفض لدى الإنسـان، ذلك الرفض الذي منه ينطلق التفكير في التغيير الاجتمـاعي، وبالتـالي يسـاهم التلفزيون في ميلاد المجتمع ذي البعد الواحد.

هـ ــ وأخيرا فإن التلفزيون اتصال خائب نتيجة لنشاط مختلف ميكانيزمات المراقبـة التي تحد من نشاطه (المراقبة السياسية المباشرة والمراقبة الذاتيـة، والخضـوع لمتطلبات وبيروقراطية الهياكل...الخ)، وينتج عن ذلـك أن النمـط الاجتمـاعي

لوجود التلفزيون ودمجه في ميكانيزمات السلطة يحوّلانه عن إمكانياته، ويجعلانه أحياناً حتى ضد أكبر عدد ممّن وجب أن يخدمهم.

يرى جون ماري بيام أن هاتين النظرتين إلى التلفزيون (الطوباوية والفردوس المفقود) تشكلان جانبين للموقف المثالي في موضوع الإعلام. حيث يظهر في كليهما الحلم بالتقنية التي لا تخضع إلا لمنطق تطورها الذاتي الخالص. وكأن الحديث عن الاتصال يتطلب أما النظر إلى الاتصال من زاوية لا تاريخية لوصف آثاره. واستطاعته (موضوع الطوباوية) أو تحليل وجوده الاجتماعي واندماجه الحقيقي أيضاً كاتفاق ووئام أو خسارة أو بتر (موضوع الفردوس المفقود).

يرفض المؤلف النظرتين، ويدعو إلى ضرورة ربط الاتصال بالعلاقات الاجتماعية، ويقول: «إذا قبلنا الفكرة التي تقول أن كل وسيلة اتصال جديدة محددة دائماً بوضع العلاقات الاجتماعية في ظرف تاريخي محدد، فإن فكرة الاستطاعة اللا متناهية لوسائل الاتصال تضمحل، وتندثر فكرة نجاح الاتصال في جعل آثاره شفافة. لتنهض على أنقاضها أسئلة أخرى ترتكز على أرضية مادية: ما هي الوظائف التي تقوم بها وسيلة الاتصال في صراع الطبقات؟ وكيف تتدخل في المسار المتناقض لإعادة الإنتاج، وتغيير التشكيلة الاجتماعية؟... الخ».

ثانياً ـ غموض التلفزيون التفاهة:

ثمة من يتحدث عن «تلفزيون التفاهة» (... وتكون النتيجة توالي الصور التي لا تشد الانتباه، ولا تستدعي المشاركة، ولا تحفّز الذاكرة)، وثمة من يتحدث عن التلفزيون بوصفه أداة تكييف المجتمع، وكالة تسوية نحو الأسفل، أي أداة لتسطيح الفكر. وبعد ذلك يتعرض المؤلف لمسألة الشكل الذي تقدم فيه المادة، مؤكداً أن الشكل هو دائماً إيديولوجيا... والشكل ليس الناقل المحايد للمضمون... والشكل، مثل المضمون، صنع

من التزام في الكتابة المرتبطة بالطبقات الاجتماعية وبصراعها. ثم يستعرض الأنماط السائدة في الدراما التلفزيونية:

أ ــ سيطرة نمط القراءة الأفقية (لا يركز المشاهد اهتمامه على مضمون المشهد، بل ينصرف إلى تخيّل ما يلي ناسخاً بذلك علاقات الاستمرارية أن يكشفها).

ب ــ سيطرة السيكولوجيا بوصفها نمطاً في تنظيم العالم المتخيّل، وتوظيف الاجتماعي ذريعة للرد فقط.

جـ ــ سيطرة الكتابة التلفزيونية التي تجعل الأفلام ذات طابع حقائقي في المظهر فقط.

د ــ سيطرة (التقمص) في الكتابة للتلفاز: يقول المشاهد وهو يرى البطل يتقمص شخصية المشاهد (هذا ما أردت أن أكونه، وما لم أجرؤ على أن أكونه) وبذلك يتعزز نزوع المرء نحو إدراك نفسه، والتفكير في ذاته ضمن الحدود التي لم تكف الإيديولوجيا عن وضعه فيها، ويعلق المؤلف قائلاً إن رفض تلفاز الخيال وتلفاز الهرب من الواقع والتوجه للحديث عن تلفاز يتحدث عن واقعنا ومشكلاتنا، أمر يضايق السلطات الحاكمة غالباً.

ثالثاً ـ الاتصال بين البنية والتاريخ:

يستعرض المؤلف الصيغتين الأساسيتين السائدتين في سوسيولوجيا الإعلام الأمريكي في معرض دراستها لوظائف الاتصال.

الصيغة الأولى هي الصيغة التكنولوجية، التي يمثلها مارشال ماكلوهان، والتي تقول «بتغير الإنسان بواسطة التكنولوجيا، وخلال استخدامه لها» ويكون الإنسان الملكل وهاني في صيرورة الاتصال مادة مستخدمة وشرطاً لاستمرار الآلة في الحياة في آن

واحد. «الإنسان هو ما تقوم به الآلة»، إذن للتكنولوجيا الموقف المحدد والحاسم على الإنسان. ولكن المفارقة، كما يلاحظ المؤلف، إن هذه التكنولوجيا لا تستمد قوتها الكلية والعلمية إلا من خضوعها وتبعيتها المباشرة للإنسان الذي ــ تشكله ــ، فالآلة ليست سوى امتداد للإنسان، ونظراً لكونها امتداداً لحواسه، يجب عليه أن يخضع لها. يقول الإنسان للآلة: سدى حاجتي وسأكون المادة التي تصنعينها.

الصيغة الثابتة هي الصيغة السوسيولوجية، التي يمثلها العالم الأمريكي هارولد لازويل صاحب صيغة (من، يقول ماذا، بأية قناة، لمن، وبأي تأثير)، والذي حدد وظائف الاتصال (مراقبة المحيط، وربط تشكيلات المجتمع ببعضها لإنتاج الاستجابة على المحيط، وتداول الإرث الاجتماعي).

ينتقد المؤلف الصيغتين «هذا هو مبدأ السببية فوق التاريخ في النظرية التفسيرية التي يلجأ إليها عادة وبشكل نظامي كل فهم مثالي للاتصال، ويقوم هذا المبدأ بدور العائق الابستيمولوجي في الحقل السوسيولوجي، وفي تسرع هذا المبدأ للإجابة عن كل شيء لا يظهر إلا تعجله لمنح الاستقلال الذاتي للحقل الاتصالي والاعتراف بظهور المنطق التجريدي والتكراري داخل كل حدث اتصالي»، ويضيف «أن الفلسفة التي تغفو في إحدى زوايا هذا التاريخ هي الفلسفة الانتقائية، التي نعرف أن آثارها الأساسية هي تحييد التناقضات ــ وتشكيل التاريخ دون انكسار ــ حسب الطلب الإيديولوجي، تاريخ دون استمرارية، دون جدلية».

أما فيما يتعلق ببنية الاتصال يؤكد المؤلف أن الاتجاه المهيمن في هذا الميدان يكمن في بناء النماذج الشكلية التي لم يكشف علم الاجتماعي الأمريكي أو الأوروبي عن إنتاجها (نموذج شانون ويفر، نموذج اسجود، نموذج شرام وغيرها). النقد الأساسي الذي يوجهه بيام إلى هذه النماذج «غياب التاريخ عنها، وسيطرة الطابع اللا زمني عليها، وكونها ناجمة عن التجريد التجريبي».

رابعاً- أوهام الترفيه:

يعالج المؤلف في هذا البحث الاتصال من خلال تأثيره. ويستعرض نظرية الترفيه واتجاهاتها المختلفة في علم الاجتماع الإعلامي الأمريكي. ويرى أن السؤال الأساسي في هذه الاتجاهات هو: هل التلفزيون (أو وسائل الاتصال عموماً) وسيلة الترفيه، التي بواسطتها يدير الجمهور ظهره للواقع، أم لا؟ ثم يستعرض المؤلف النقاش المحتدم حول الوظائف النفسية ـ الاجتماعية للترفيه، وهل الترفيه وسيلة للهروب من الواقع، أم أنه طريقة غير مباشرة للتكيف مع الواقع. ويقول إننا نجد أنفسنا أمام نظرتين للترفيه. ترى الأولى أن الترفيه يؤدي إلى الانفلات من الواقع والهرب منه، وذلك لأن الترفيه يقدم صورة مظللة ومزورة للواقع، ويجرد المشكلات من طابعها الواقعي، وبالتالي يضعف إحساس المشاهد بالواقع ويصبح أقل مقدرة على مواجهة مشكلاته، وهكذا تعزز وسائل الإعلام التوجه نحو اللامبالاة إلى درجة يمكن تشبيهها بالمخدرات.

أما النظرة الثانية فترى أنّ أصحاب نظرة اللامبالاة الاجتماعية يستنبطون تأثير وسائل الإعلام من طبيعة محتواها، وتؤكد على عدم وجود أي ارتباط متبادل وضروري بين وجود مادة ترفيهية وآثار الترفيه. صحيح أن محللي المضمون يكشفون بكل تأكيد عن تشويه كبير في تقديم الواقع بيد أنه لا يمكن الاستنتاج آلياً أن التشويه يؤثر سلبياً على الأشخاص الذين يتعرضون له، بل يمكن لمواد الترفيه أن تقوم في بعض الظروف بدور عوامل الإنتاج.

يبرز المؤلف بخصوص دوافع مشاهدة مواد الترفيه الاتجاهين التاليين. يطرح الأول مشكلة الترفيه على أرضية سيكولوجية. ويطرح سؤالاً: لماذا يرى المشاهد البرامج الترفيهية التي ليست لها سوى علاقة ضعيفة جداً بالواقع؟ ثمة من يجيب: بأنه لا يجد فيها ما يبحث عنه. وهذا من شأنه أن يوجد حالة التغريب، ويعززها. لأن أصحاب هذا

الاتجاه يرون أن التغريب ينتج عنه الرغبة في الترفيه والهروب من الواقع. وتكون وسائل الإعلام أداة لتلبية هذه الرغبة، تلبية وهمية أو حقيقية. يعلّق المؤلف: وهكذا نرى أن علم الاجتماع الأمريكي لا يجد تفسيراً لوظيفة وسائل الإعلام ولبعض ما تنتجه في بنيان التشكيلة الاجتماعية، بل يجده في الإنسان ذاته. وبالنسبة للترفيه يصبح المشاهد هو الشخص الذي يقع عليه التأثير، وفي الوقت ذاته هو الشخص الذي يقف وراء وجود المواد المنتجة لمثل هذا التأثير.

أما الاتجاه الثاني الذي يمثله دنيس مكاي، فيطرح المشكلة على أرضية اجتماعية (إن بنية المجتمعات المعاصرة جعلت الأغلبية في وضع المحروم من المكافآت المادية، وفي هذه الحالة يتم تعويض تلبية هذه الحاجة بتقمص نجوم وأبطال عالم الترفيه، أو بالمشاركة المزيفة في حياتهم الناجحة)، وبالتالي فإن تقديم مواد الترفيه هذه المرة لا ينطلق من حاجة الفرد بل من البنية الاجتماعية التي تميز المجتمعات المعاصرة... ليس الإنسان الفرد الذي «غُرِّب» بل الجماعة هي التي «غُرِّبت» هذه المرة.

ويناقش المؤلف: ورغم هذا الاختلاف بين الاتجاهين يظل المسار نفسه. أن التغريب يولد الرغبة في الترفيه، ويحل اللاتوازن في الجسم الاجتماعي محل العوز الفردي. وهذا ليس سوى طبيعة سوسيولوجية التحديات الخاصة التي تصقل الطلب. يعتقد البعض أن السيكولوجية هي المهيمنة، ويعتقد آخرون أن الوسط الاجتماعي هو المهيمن، بينما يعتقد آخرون أن بنية المجتمعات المعاصرة هي المهيمنة. ويعلق المؤلف: يبدو أن السوسيولوجيا الانجلوساكسونية تحاول ابعاد الطلب عن بنية التشكيلة الاجتماعية (المشاهد مغترب، لهذا يشاهد كثيراً مواد الترفيه، ولكن من أين يأتي الاغتراب. وتكاد الإجابة أن تغوينا للقول أنه يأتي من وسائل الإعلام)، يقوم هذا التفسير على أساس النظرة إلى وسائل الإعلام في المجتمع كشيء مجرد ومطلق، وبمعزل عن كل إحالة إلى نوع من التشكيلة الاجتماعية التي توجد فيها هذه الوسائل. الآن يتم فصل وسائل الإعلام وجعلها مستودعاً لسلطة قوية غامضة. إن هذه

الدراسات جميعها تقودنا إلى السقطة نفسها: تستجيب وسائل الإعلام لمحرضات مختلفة الأسباب. لقد أخفقت السوسيولوجيا الأمريكية في إصابة الموضوع، ثم أن الموضوع هو نفسه خاطيء. إن الهدف الذي حددته نظرية وسائل الإعلام هو: وصف العلاقات الموجودة بين وسائل الإعلام والمجتمع. وفي هذا السياق برز تصوران للمجتمع، تصور يعتبر المجتمع كجسم كبيرة مشكل عضوياً تمارس فيه وسائل الإعلام تأثيرها. والتصور الثاني يرى المجتمع عبارة عن ركام من الأشخاص. هذان التصوران يشكلان الأسس التي قامت عليها الطريقتان اللتان تدرس بهما السوسيولوجيا الأمريكية وسائل الإعلام، والتي يمكن تلخيصها في السؤالين التاليين: ما هو تأثير وسائل الإعلام على المجتمع؟ والثاني، ماذا يفعل الناس المجتمع بوسائل الإعلام؟ تضع الطريقتان وسائل الإعلام والمجتمع وجهاً لوجه، بعد أن قامت بفصلهما عن بعضهما من قبل، وجعلت كل عنصر منهما مستقلاً ذاتياً عن العنصر الآخر وبعدها تتساءل عن علاقتهما. مرة أخرى نجد الحديث عن وسائل الإعلام خارج هيئات التشكيلات الاجتماعية وبمعزل عنها. وهكذا تبدو الأمور في النظرة الأمريكية لوسائل الاتصال وكأن هذه الوسائل لا علاقة لها بالسلطة التي تمنح للتشكيلة الاجتماعية المظهر الخاص، وتتجاهل هذه النظرة أن وسائل الإعلام هي جزء أساسي من التناقضات الاجتماعية.

خامساً ـ جون كزانوف بين الملاحظة والتحذير:

يناقض المؤلف في هذا البحث آراء الباحث الفرنسي جون كزانوف، صاحب نظرية «إن الوظيفة الأساسية لوسائل الإعلام، والتي من دونها لا يمكن أن نفهم جيداً الوظائف الأخرى هي وظيفة الاستعراض ــ التمشهد، الاستعراض الذي يرقى إلى مستوى المجتمع الشامل». تمثل عملية تحويل الواقع إلى عرض «La spectaculcerisation du réek» الوظيفة الأولى في كل الوظائف والاستعراض ليس الواقع،

لكنه نسخة مطابقة للأصل بهذا القرار أو ذاك. إنه ليس خطاباً، وليس تدخلاً، إنه تماثل، أن انعكاس صادق أو منحرف بهذا القدر أو ذاك. الاستعراض يحاكي الواقع لأنه يشبهه، لكنه ليس الواقع. وهو يقوم بدور انتروبولوجي، فمن خلال الاستعراض نؤلف الواقع. الواقع حاضر بقوة، وفي الوقت ذاته غائب بقوة.

ويتساءل المؤلف، ولكن إذا كان جوهر التشابه هو الاختلاف، يجب التساؤل عن طبيعة ما يفصل الاستعراض عن الواقع. صحيح أن كزانوف يؤكد: الاستعراض هو الواقع والخيال. هو الواقع المستثمر من قبل الخيال، أو الخيال الرازح تحت أثقال الواقع. ويستنتج المؤلف «ففي هذا الخلط بالذات يقوم الاستعراض بوظيفته الانتروبولوجية التي تلخص الحاجتين: الحاجة للانغلاق داخل الظروف الإنسانية، والحاجة للانفلات منها. إذن الاستعراض يعارض الواقع، ولكنه لا يكون استعراضاً إلا إذا كان من الواقع، أو بالتحديد شكلاً مزوراً عنه». ولكن كزانوف يضيف محذراً: أن الاستعراض يمكن أن يعزز وهماً مخادعاً إذا لم يلازم تطوره فكر نقدي. ويعلق بيام «إنها الثقة العجيبة بعقلانية الأنا»، بذلك يكون الإنسان، ــ حسب كزانوف ــ، هو المتسبب في اغترابه، وهو المتسبب في تحرره في آن واحد.

يتعرض المؤلف بعد ذلك لمفهوم كزانوف «الإنسان المتداخل». حين يفكر كزانوف في الظاهرة الاستعراضية spectacul arisation فإنه يمنح التلفزيون وظيفة اجتماعية. حيث يلاحظ أن الواقع والخيال يختلطان في مسار إعادة تحويل محيطنا. إنه يعترف للتلفاز بقدرته على إنتاج الأسطورة. وهذه المقدرة شديدة الخطورة لأنها تتجسد في الوسيلة الإعلامية المؤهلة خصيصاً لمحو الاختلاف بين سرد ما هو واقعي وبين الخيال. والأسطورة المكونة بهذا الشكل تتجذر في طبيعة الإنسان وفي الحركة المتناقضة للحاجات المحددة بظرفه الإنساني. هذا التضامن بين الأسطورة والظرف الإنساني يستند إلى خطاب من النوع الانتروبولوجي. يعلق بيام «في التحليل الهادف إلى توضيح وظيفة التلفاز الاجتماعية يتم الرجوع بجلاء إلى المعطيات الانتروبولوجية».

يوضح المؤلف أن كزانوف يبلور نظاما من التفسير ذا مستويات ثلاثة، كل مستوى منها يشمل المستوى الذي يليه. يبدأ بالإنسان بصفة عامة، ثم بالإنسان الاجتماعي، ليصل إلى الإنسان الفردي. لا يوجد على مستوى الشخص بصفة عامة سوى الظروف الإنسانية، وتشتته التراجيدي. في هذا المستوى لا دخل للتلفاز في مشكلات السلطة. ولا تظهر هذه المشكلات إلا في المستوى الثاني الذي نتذكر فيه أن الإنسان ليس مخلوقا لازمنيا فحسب، بل أنه حيوان يعيش في المجتمع. هذا التقسيم للمستويات يمنح بجلاء مكانة ثانوية للسلطة، والتي هي في كل الأحوال بعيدة عن إشكالية تحويل الواقع إلى استعراض. هكذا تكون السلطة والاستعراضية منفصلتين من خلال نظرية المستويات الثلاثة، وبواسطتها.

ويتساءل المؤلف عن السبب الذي يدفع كزانوف إلى أن يحدد أن الاستعراض هو تماثل وليس خطابا. ويجيب: أن الخطاب يفرض عملية تلفظ، وحيزا نتحدث منه، كما يفترض أيضا وجهة نظر، بالمعنى الذي تحدده الوظيفة الموضوعية. أما الاستعراض الذي يعتبر تماثلا فإنه لا يفترض إلا مادية الحيز العاكس لعناصر التماثل المحايد، ويحيل مسؤولية الانعكاس إلى حالة غير شخصية وهي «نحن» وهذا ما نلاحظه في قول كزانوف «إن المشاهد لا ينتج الأسطورة بحلمه الخالص، لكنه مستعد لقبول ما تقدم له (مفبركا). ويتساءل المؤلف، ولكن من هذا الذي يقدم له؟ إننا لا نعرفه أبدا، ليس لان كزانوف نسي أن يقدم لنا الإجابة، بل لأن في إشكاليته، إشكالية الإنسان المتداخل لا يطرح أبدا هذا السؤال، والآراء المهيمنة بالنسبة له ليست آراء الطبقة المهيمنة واعترافه بأن الواقع موسوم بعلاقات السلطة لا يأتي في وقته. إنه اعتراف متأخر، ومجتمع الاستعراض لا يعرف صراعا طبقيا ولا صراعات إيديولوجية لاعادة تحويل العلاقات الاجتماعية، وكل ما يظهر على الشاشة الصغيرة لا يتعلق بالممارسة الإيديولوجية، حسب كزانوف، بل يرتبط بالشروط الإنسانية.

الخاتمة:

يرفض المؤلف النزعة (الانسانوية) اليمينية، لأنها عندما نتحدث عن ظاهرة التلفزيون لا تأخذ بعين الاعتبار مسار صراع الطبقات. فترى انحطاطا في الثقافة وفي القيم الأساسية، وتنسبه للصورة تارة ولتجارية المنتوج تارة أخرى، وإلى الإنتاج الجماعي تارة ثالثة. وتعد بتجسيد القيم الأساسية للثقافة بواسطة التلفزيون بمجرد أن يتجاوز وضعه الحالي.

كما يرفض المؤلف النزعة (الانسانوية) اليسارية، التي رغم أنها تستند إلى صراع الطبقات فإنها تعتبر التلفزيون أداة لهذا الصراع وليس ميدانه وموضوع الرهانات. ويحجم التلفزيون ضمن هذه الرؤية إلى درجة اعتباره حلقة الوصل الإيديولوجية التي تفرزها الطبقة المهيمنة بعيدا عنه. هكذا تجد هذه الوسيلة نفسها في صف إعادة إنتاج علاقات الإنتاج. ويرى المؤلف أن هذا الموقف ليس جدليا بتاتا، لأنه لا يفهم السلطة إلا في تكرار ميكانيزماتها، وليس في إنتاج ذاتها في ظرف تاريخي محدد. أن سلطة الطبقة المهيمنة موجودة دائما هنا، وللتلفزيون وظيفة إعادة إنتاجها والحفاظ على ديمومتها.

يؤكد المؤلف: وجوب تغيير علاقة التلفزيون بالناس، وأن يتغير المنتوج النهائي، فلا يشكل مثلما تشكل السلعة القابلة للتصدير لأكبر سوق ممكنة. كما يجب أن يتغير نمط قراءة المنتوج، وبالتالي وضعية المشاهد. حقيقة في هذه الحالات تندثر المسافة الفاصلة بين التلفزة وجمهورها، والمتزامنة مع الفصل بين الواقع اليومي والطريقة السياسية لإدراكه، وجعل التلفاز يتحدث لابراز علاقة جديدة بين الحياة اليومية والكلمة السياسية.

ويضيف في النهاية: إذا كان علم الاتصال التقليدي يميز بين اتجاهين متعارضين: (الأمركة) والتسجيل السوسيولوجي، فإن التحليل المادي يهتم بالخطاب التلفزيوني

وأشكاله ونمط إنتاجه.وقدراته على إعادة الإنتاج أو تحويله الإيديولوجيـــة المهيمنـــة. هكذا يمكن أن يصاغ خطاب آخر حول التلفاز، والذي يمكن أن يساعد في تطوير تلفاز آخر في ظل جدلية النظرية والتطبيق.

تعليم حضارة من خلال قواميس اللغة الفرنسية

ـ كلغة أجنبية ـ

د. محمد خير الفوال
كلية التربية ــ جامعة دمشق

الملخص

*على المرء أن يذكر دوماً العلاقة القائمة بين القاموس اللغوي الخاص بلغة من اللغات ــ ونخص بدراستنا هذه اللغة الفرنسية ــ وبين الحضارة. وبما أن الغاية الأساسية لقاموس لغوي تكمن في إعطاء المعلومات عن اللغة التي يتكلم عنها ذلك القاموس وأن اللغة والحضارة مرتبطان أشد الارتباط فلا بد أن يكون القاموس أداة فعالة من أجل إعطاء صورة عن حضارة اللغة التي يتكلم عنها. من أجل تحقيق ذلك الغرض، وقع الاختيار على قاموس اللغة الفرنسية ــ كلغة أجنبية. لمؤلفه ج ــ ديبوا ــ المستوى الأول والثاني ــ فكانت هناك دراسة تحليلية للحضارة الفرنسية من خلال ذلك القاموس عن طريق الأمثلة والمعاني المعطاة تساعد على تصوير تلك الحضارة**

* يرد هذا البحث بالتفصيل باللغة الفرنسية في الصفحات (45-23) من هذا العدد.

صورة الأتراك العثمانيين

د. مفيد حوامدة
قسم اللغة الإنكليزية ــ كلية الآداب
جامعة اليرموك

ملخص

يدرس هذا البحث صورة الأتراك العثمانيين ودورهم الفني في مسرحية تيمورلنك العظيم بجزأيها الأول والثاني. حيث يصور كريستوف مارلو الأتراك على أنهم متغطرسون ومعادون لأوربا المسيحية. ويختلف مارلو عن غيره من كتاب عصره باختياره صفات العنف والعسكرية كصفات نمطية للأتراك المسلمين في مسرحيته.

كما يبرز البحث خاصية هامة في تعامل الكاتب مع الشخوص التركية في مسرحية تيمور ألا وهي استخدامه لها كوسائل مساعدة لإبراز دور بطله العملاق الطموح تيمورلنك، إذ أنه لولا انتصار تيمورلنك على بايزيد الأول في المسرحية لما كان ممكناً أو معقولاً أن يفوز تيمورلنك بالمصداقية التي يتمتع بها في الأرض لمعاقبة المذنبين.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المسرحية كتبت للجمهور الأليزابيثي المحافظ الذي ما كان يمكن أن يرحب بشخصية تيمورلنك غير المسيحية لولا انتصاره على بايزيد سلطان العثمانيين الذين كانوا مصدر رعب للأوربيين آنذاك. ولذلك فقد أبرز الكاتب وأفرد مساحة كبيرة في المسرحية للمعاملة المهنية التي عانى منها بايزيد من أجل الحصول على تعاطف الجمهور مع تيمورلنك رغم خروج الأخير على كل ما آمن به الجمهور الأليزابيثي.

* يرد هذا البحث بالتفصيل باللغة الإنكليزية في الصفحات (٤٧-٧٠).

رسائل الدكتوراه والماجستير

حيرب، حنان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة دمشق

إشراف: أ.د.م. علي دياب

الموضوع: الاغتراب في الشعر الأندلسي "عصري الطوائف والمرابطين" دراسة في الظاهرة والبنية الفنية.

Alienation in Andalosian Poetry(The ages of Altawa'aef and Almurabeteen).

حظيَ الأدب الأندلسي بعد عهد طويل من الإغفال، بنخبة من الدارسين والأساتذة المحققين الذين أخرجوا مخطوطاته الثمينة إلى النور، لتكون بعد ذلك عماد الدراسات الأدبية التحليلية التي جاءت لاحقاً.

لكن هذه الدراسات كانت ــ غالباً ــ دراسات تأريخية سردية تدور حول المحاور الظاهرة التي ميزت الأدب الأندلسي في عصوره المختلفة، مما ولد لدي إحساساً بأهمية دراسة بعض الظواهر الخفية وإثباتها علامة بارزة من علامات الخريطة الأندلسية.

ومن هذه الظواهر ظاهرة الاغتراب التي تعدّ ظاهرة إنسانية تشترك فيها الشعوب من العصور القديمة حتى اليوم. حيث قمت بتتبع هذا المصطلح وتطوره في الفلسفة العالمية والعربية ثم قدمت وجهة نظري في فهم الاغتراب وأبعاده وجدلياته وجعلتها تحت عنوان "احتمالات الذات".

بعد ذلك درست الاغتراب بأبعاده الاجتماعية والمكانية والزمانية والنفسية عند شعراء الطوائف والمرابطين (ممن طبع لهم ديوان). وقد اخترت هذين العهدين الطوائف والمرابطين لسببين:

أولهما: أنهما العهدان المتهمان بالسطحية والبعد عن العمق الفكري.

وثانيهما: أنهما عصران متتاليان انضم معظم الشعراء لكليهما معاً.

لهذا فإن دراسة الأول لا تتم دون دراسة الثاني.

ومن ثم استخلصت النتائج بعد استقراء الظاهرة، وقمت بدراسة بعض المشاهد الاغترابية دراسة فنية، ورصدت المعجم الاغترابي (اللفظ، المعنى) لدى عينة من الشعراء وزودت البحث بالجداول الإحصائية الدقيقة المعبرة. كذلك الفهارس التفصيلية لعناوين البحث وثبت مفصل بالمصادر والمراجع. وأردت من خلال هذا البحث أن أعيد للشعر الأندلسي بعداً منه عندما أشيع عنه أنه شعر اللهو والغزل والطبيعة فحسب.

الطرابلسي، محمد فرحان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية
إشراف: أ.د. منى الياس
الموضوع: الشهاب الخفاجي حياته وآثاره ودراسة في كتابه "طراز المجالس".
Al-Sheheab Al-Khafaji: His life,Works, and a Study of his Teraz Al-Majales

يُعدّ كتاب طراز الأمالي للشهاب الخفاجي ظاهرة متفردة في أدبنا العربي، لأنه يمثّل مظهراً لما كان يدور في المجالس من تدوين لأقوال العلماء والمتصدرين للتعليم آنذاك. وقد جرى الشهاب فيه على تقليد القدماء من أصحاب الأمالي وحذا حذوهم وسار على سننهم. إلاّ أن الكتاب يتميّز عنها بغنى موضوعاته، وما تناوله من آراء وأحكام.

ويتضمن الكتاب مباحث كثيرة في النحو واللغة والبلاغة والأصول يتخلّلها فنون من الأخبار، وضروب من الأشعار والحكم والأمثال... مع شيء غير قليل من تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف. ويغلب على ذلك كله الطابع الانتقائي.

وتتجلّى أهميّة الكتاب في أنه يضمُّ كثيراً من النصوص والنقول التي أصبحت مفقودة، وأخرى ما زالت في دور الكتب مخطوطة. كما حفل الكتاب أيضاً بنصيب وافر من الشعر تتمثل فيه مقدرة الشهاب على الاختيار والتذوق.

وهو ــ يعدّ ــ صورة حيّة لعصر المؤلف الذي أُولع أدباؤنا فيه بالصنعة البديعية وافتتنوا بها في كتاباتهم وتآليفهم حتى غدا سمة بارزة من سمات التأليف في ذلك العصر.

خدام، رزان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة دمشق

إشراف: أ.د. مزيد نعيم

الموضوع: النكت النحوية (قسم الصرف).

Al-Nukat Al-Nahawyet (aL- Sarf Part)

كتاب النكت النحوية واحد من الكتب المهمة التي رفد بها السيوطي ٩١١هـ المكتبة العربية وهو عبارة عن مجموعة من التعاليق والشروح التي أجراها على كتب النحاة الثلاثة: ابن الحاجب، ابن مالك وابن هشام.

القسم الصرفي: يبدأ القسم الصرفي من باب التصريف وينتهي بباب الخط، أما منهجه في "النكت" فهو أن يورد عبارة الشافية لابن الحاجب، أو الألفية لابن مالك، أو النزهة لابن هشام ثم يورد عليها تعليقات واستثناءات من كتب النحاة الثلاثة الأخرى أو عن كتب النحاة المتقدمين على السيوطي كشروح الألفية والتسهيل والارتشاف...

يبدأ السيوطي الباب باسمه ثم يورد ما يوضح معناه أو يستثني منه صوراً، أو يقيد إطلاقاً في الحكم.

أما أسلوبه فيميل إلى الطابع العلمي الموضوعي، حيث يتسم بسمة تنظيم الأفكار وترتيبها وتبويبها بإيجاز شديد غير مخلّ ــ غالباً ــ بالمعنى.

اعتمد السيوطي في النكت على السماع، فاستشهد بالقرآن الكريم والقراءات القرآنية والحديث النبوي الشريف والأمثال والأشعار وكان غنياً بمسائل الخلاف. وبعد فإن الكتاب يعدُّ بمنزلة موسوعة صرفية إذ حوى كثيراً من مسائل الصرف التي أغفلتها الكتب الصرفية.

عارف جناد، روعة، كلية التربية، جامعة دمشق

إشراف: أ.د. فخر الدين القلا، ومشاركة الدكتور أحمد الهبسي

الموضوع: أثر نموذج جانييه في تعلّم مفاهيم العلوم في الصف الثالث الابتدائي.

The Effect of Gane's Model In Learning The Concepte of Science in the Bred Primary Grade.

يهدف البحث إلى الكشف عن أثر "نموذج جانييه" في تعلم مفاهيم العلوم في الصف الثالث الابتدائي وفق ثلاثة مستويات تحصيلية. وضمت عينته (١٣٣) تلميذاً من مدرسة في دمشق، وقسمت إلى مجموعتين ضمت الأولى (٦٠) تلميذاً تعلموا بنموذج جانييه (التجريبية)، أما الضابطة فتألفت من (٧٣) تلميذاً تعلموا بطريقة الشرح والتلخيص المألوفة والمسماة أحياناً (التقليدية)، ثم قسمت كل مجموعة داخلياً إلى ثلاثة مستويات تحصيلية (مرتفع، متوسط، منخفض)، تم اختبار المجموعتين قبلياً باختبار تحصيلي صممته الباحثة لمفاهيم وحدة القشرة الأرضية، وتحققت من صدقه، وثباته (موثوقيته) (٠,٨٣) وقد طبق بعد التعلّم، ومؤجلاً بعد ١٥ يوماً، ودرست المجموعتان المفاهيم خلال (١٥) حصة درسية في سبعة أسابيع، وقد أظهرت النتائج تفوّق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة، إجمالياً بفرق ٢٦ درجة في الاختبار المباشر و٢٣ درجة في المؤجل، وهو فرق دال إحصائياً، كل مستوى تحصيلي فيها على نظيره في الضابطة في تعلم المفاهيم، أما من حيث الكسب في المجموعة التجريبية فكان التفوق مطرداً بين كل من المستوى التحصيلي والمستوى الأدنى منه، ولكن بفروق ضئيلة لم تكن دالة إحصائياً، واقترحت الباحثة إجراء دراسات على عينات أوسع، وتشجيع استخدام نموذج جانييه وطريقته في تعليم المفاهيم العلمية وتعلمها في المرحلة الدنيا من التعليم الابتدائي، وتصميم المناهج بحيث تركز على أسس المعلومات من مفاهيم ومبادئ، وحقائق عامة.

لحام، مظهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة دمشق

إشراف: د. شوقي المعري

الموضوع: شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد الأزهري (ت٩٠٥هـ). دراسة وتحقيق.

Sharh Ak-Tassrih Ala- Altauddeeh (Al-Shikh Kallid Al-Azhari).

هذا البحث هو الجزء السادس من تحقيق كتاب "التصريح بمضمون التوضيح" للشيخ خالد بن عبد الله الأزهري (ت٩٠٥هـ) مع دراسة موجزة، فقد جعلت البحث في بابين اثنين:

ــ أولهما: باب الدراسة، ويضم فصولاً ثلاثة، يسبقها تمهيد عن مؤلف الكتاب (حياته، أثاره، شيوخه، تلاميذه).

أما الفصل الأول فيوضح المصادر التي عوّل عليها الأزهري في نقوله. و ثاني الفصول يقوم على توضيح منهج الأزهري في ذلك. أما ثالثهما فيبحث في موقف الأزهري من السماع والقياس والعلة.

ــ ثانيهما: باب التحقيق وفيه وصف للنسخ المعتمدة، مع تفصيل المنهج المعتمد في ذلك، حيث نسخت النص وضبطته، و أخرجت آياته، وقراءاته، و الأشعار و الأرجاز الموجودة فيه، مترجما للأعلام،متقصيا ما استطعت لاخراج النص على الشكل الأفضل. بعد ذلك ألحقت البحث بفهارس فينة عامه مع ثبت للمصادر و المراجع.

علاء الدين، غسان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة دمشق

إشراف: أ.د. عادل العوا

الموضوع: الأخلاق عند إخوان الصفاء وخلان الوفاء.

Al-Akhlaq Inda Ekhwan Al-Safaą Wa khillan Al-Wafaa

يتمحور الحديث في تلك الرسالة عن أهم المفاهيم الأخلاقية التي يمكن أن تساهم في تأسيس نظرية فلسفية أخلاقية عند إخوان الصفاء، بعد الكشف عن دلالاتها ومعانيها وقد ارتأينا أن نتحدث في الفصل الأول عن المناخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي انبثق عن فكر إخوان الصفاء فحمل سماته ومظاهره. وقد كان من أهمية البحث الحديث عن ترتيب المفاهيم الأخلاقية حسب أهميتها العلمية والنظرية بآن واحد، لهذا الحديث في الفصل الثاني عن المفاهيم الطبيعية للأخلاق، مثلنا لها بمفهومين أساسيين هما: الطبع والاعتقاد. وفي الفصل الثالث تكلمنا عن المفاهيم الاجتماعية والدينية للكشف عن العمق الفلسفي والأخلاقي فيها من جهة، وللإبانة عن الصبغة السياسية التي أحاطت بتلك المفاهيم من جهة أخرى. وفي الفصل الرابع تناول الحديث المفهوم الأساسي الذي اعتبرنا أنه يشكل الموجة الأهم لإخوان الصفاء ويقصد به، مفهوم الإمامة، والذي أمكن لنا بموجبه أن نقربهم من الناحيتين بشكل كبير.

وأخيرا قارنا في الفصل الخامس بين نظرية إخوان الصفاء وبين النظريات الأخلاقية عند معاصريهم من الفلاسفة كالتوحيدي والفارابي وابن مسكويه.

وتوصلنا إلى الخاتمة التي كشفنا فيها ضرورة أن ينقب الباحث عن التأويل الباطني في الرسائل حتى يكون بإمكانه التوصل إلى نتيجة مرضية فيما يخص نظريتهم الأخلاقية دون اعتماد تلك الوسيلة لن يقدم ما هو جوهري وهام لديهم.

النسر، عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة دمشق

إشراف: أ. د. حامد خليل

الموضوع: الشيء في ذاته عند كنط.

The Thing In Itself With Kunt

إن حدسنا هو في حقيقته ليس سوى تصور للظاهر، فالأشياء في ذاتها ليست كما نحدسها وليست في علاقاتها في ذاتها كما تظهر لنا، أي أن الأشياء في ذاتها ــ بعيداً عن استقبال حساسيتنا ــ تبقى غير معروفة لنا أبداً، والشيء في ذاته عند كنط هو أساس الظاهر، فهو يمنح تصوراتنا أساسها المادي. ولكن التمييز بين الشيء في ذاته والظاهر هو تمييز ذاتي معرفي لا موضوعي، وهذا يرجع فقط إلى أن مجال إدراكاتنا مقصور على الظواهر فقط لا إلى أن الشيء في ذاته والظاهر إنهما متمايزان في الواقع.

إذن لا يمكننا معرفة الحقيقة الواقعية، أي الحقيقة كما هي في ذاتها، لأن الشيء في ذاته هو هذه الحقيقة، فالمنهج المعرفي السليم يلزمنا أن نطبق تلك المقولات على الظاهر فقط، ومع أن العقل المفكر يضطر خلال بناءه للمعرفة إلى إنشاء وحدة بين الظاهرات، واستخدام هذه التصورات للمساعدة في إنشاء المعرفة شيء، والاعتقاد بأنها تمتلك أساساً أو وجوداً موضوعياً حقيقياً شيء آخر.

مسعود، حنان، كلية التربية، جامعة دمشق

إشراف: أ. د. غسان دارب نصر

الموضوع: اتجاهات طلبة المرحلة الثانوية نحو التعليم الثانوي العام والفني والمهني وعلاقتها بالتحصيل الدراسي "دراسة ميدانية في محافظة السويداء".

Attitudes of Secondary school Pupils towards general, Vocational and technical study and its relation to their School achievement

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن اتجاهات طلبة المرحلة الثانوية نحو التعليم الثانوي العام والفني والمهني في ضوء المتغيرات التالية (الجنس، البيئة الجغرافية، التحصيل الدراسي) وقد تألفت عينة الدراسة من (٧٩٤) طالب وطالبة منهم" (٣٦٠) في التعليم الثانوي العام، (٢٩٩) في التعليم الثانوي الفني، و (١٣٥) في التعليم الثانوي المهني.

ولجمع المعلومات الميدانية تم تصميم ثلاثة للاتجاهات وفق طريقة ليكرت، وقد تضمن كل مقياس (٣٦) عبارة تختلف وجهات النظر في الإجابة عنها وتتدرج من الموافقة بشدة إلى عدم الموافقة بشدة.

وللتحقق من فروض الدراسة تم استخدام اختبار (كا) واختبار (تّ)، وكذلك استخدمت بعض الإحصائيات الوصفية التي تساعد في إبراز النتائج ومناقشتها وقد أظهرت نتائج البحث ألا فروق بين عينة الذكور وعينة الإناث في الاتجاه نحو التعليم الثانوي العام، وفروقاً دالة إحصائياً بين عينة الذكور وعينة الإناث في الاتجاه نحو التعليم الفني والتعليم المهني، لصالح عينة الذكور. كما أظهرت النتائج وألاّ فروق بين عينة طلبة الريف وعينة طلبة المدينة في الاتجاه نحو كل من التعليم الثانوي العام والتعليم الثانوي المهني، وفروقاً دالة إحصائيا بين عينة طلبة الريف وعينة طلبة المدينة في الاتجاه نحو التعليم الثانوي الفني ولصالح عينة الريف. كما بينت النتائج أن لا أثراً دالاً إحصائياً لمتغير الاتجاه نحو كل من التعليم الثانوي العام والفني والمهني في التحصيل الدراسي للطلبة. هذا وقد نوقشت النتائج في ضوء بعض المفاهيم الاجتماعية والنفسية، وقد اختتم البحث بوضع عدد من المقترحات تسهم في تطوير الاتجاه نحو التعليم الثانوي العام والفني والمهني.

السيد أحمد، عزت، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة دمشق
إشراف: أ.د. بديع الكسم
الموضوع: فلسفة الجمال عند التَّوحيدي

Al-Tawhedi's Aesthetic

تتناول الأُطروحة فلسفة أبي حيَّان التَّوحيدي الجماليّة آخذة بعين الاعتبار معالجة هذه الفلسفة على ضوء معطيات علم الجمال بالمعنى المعاصر من جهة وضمن الأُفق الزَّمكاني للفيلسوف من جهة ثانية؛ لتكشف من خلال ذلك عن إسهامات هذا المفكِّر العربيّ الكبير في هذا الميدان الذي استطاع بحقٍّ به أن يكون مفكِّراً معاصراً متجدد الأهمية بأصالة طروحاته وعمقها وأسبقيّتها، وهذا ما دعانا إلى الاهتمام به والكشف عن ثمين مضامين آثاره، إلى جانب أهمية العودة إلى التراث للنّهل من فيض تدفُّقه الّذي لا ينضب أبداً.

وعلى هذا الأساس كشفت الرِّسالة عن الأسس القيمية الجماليّة عند التَّوحيدي؛ التي تعدُّ بحقٍّ إحدى أهم دعامات علم الجمال العربي الأمر الذي دعا كثيراً من المفكِّرين إلى القول باستحقاق أبي حيَّان لقب مؤسس علم الجمال العربي، وبعد ذلك تعمد إلى سبر مواقفه وآرائه في جماليات بعض الفنون كالموسيقى والغناء والخط العربي والبلاغة والنَّقد الأدبي.... ولتعرج في خلال ذلك على تطبيقات جماليّة في أدب التَّوحيدي وفلسفته مثل التَّهكم وفن الإضحاك، ولتخلص من ذلك إلى مجمل نظريَّته الجماليّة التي تستحق الوقوف شامخة بين النظريات الجمالية التي قدمها كبار المفكرين العرب والغربيين أمثال الجاحظ وابن خلدون وكروتشة ولالو وسانتيانا وغيرهم.

شحود، سامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة دمشق

إشراف: أ.د. محمد بديع الكسم

الموضوع: مشكلة الجهة في المنطق.

Problem of Modality in Logic

يتضمن هذا المقال، وصفاً عاماً، لمفهوم الجهة المنطقية، كما هو في نسق المنطق الصوري. إذ أن ثمة تعريف، وتحديداً للمفهوم، وما يندرج تحته من ماصدقات ثم وصفاً لهذه الماصدقات، وتعريفاً لها تحديداً، في إطار المفهوم العام الكلي، وهذه الماصدقات هي الضرورة والإمكان والاحتمال والامتناع، فالمفهوم العام الكلي يحدد بها، وهي تشير إلى هذا المفهوم، سواء أكانت كلها مجتمعة، أم كل منها على حدة. وذلك بوصفها تحديدات جزئية له، تكتسب في إطاره معنى ودلالة، إذ إن الضرورة مثلاً تشير إلى جانب من جوانب المفهوم العام الكلي، وكذلك الإمكان والاحتمال والامتناع. وهذا يعني أن الجهة ليست سوى هذه الماصدقات ذاتها في ترابطها وتآلفها مشيرة إلى هذا الجانب الجزئي أو ذاك من جوانب المفهوم العام الكلي.

الشريف، أحمد سليمان،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة عربية، جامعة دمشق

إشراف: أ.د. مزيد نعيم

الموضوع: دلالة الصيغ في ضوء علم اللغة الحديث (اللسانيات)

The Signification of Language Formulas In the Light Of Modern Linguistic

ينحصر مجال دراستي في: إحصاء الصيغ الإفرادية في اللسان العربي (باستنباطها من مجموع المفردات التي تتكون منها اللغة) وبيان درجة دورانها، ما أمكن (من خلال عدد المفردات المبنية عليها من مختلف الأصول ــ المواد الأصلية ــ المستعملة في اللغة)، وتَتَبُّع (استقصاء) وحصر معاني مجموعة فمنها (وذلك باستقراء ومقارنة وموازنة معاني مجموعة الألفاظ المصوغة على هيئة معينة (=الألفاظ المتكافئة المتحدة في الصيغة)، للتوصل إلى استنباط (أو استنتاج) معنى ــ أو معاني ــ هذه الصيغة، أو تلك، في الكثير الغالب). وبيان كيفية تحليل الكلمة العربية (=المفردة) للوصول إلى كل من الأصل والصيغة؛ بوساطة إجراء (التحليل العمودي التصريفي)؛ ومقارنة هذا التحليل بما يقابله في اللسانيات الغربية الوصفية: (التحليل الأفقي التقطيعي) للوصول إلى ما يقابل الصيغ في اللغات (الهندو أوربية)ــ أعني: السوابق واللواحق... ونحوها ــ.

ولتحقيق ذلك ــ كله ــ: استعنت ببعض الكتب الحديثة والمجلات والدوريات التي تتناول الدراسات اللسانية؛ وخاصة في علم الدلالة، والتحليل اللغوي...، وبالمعاجم والكتب اللغوية القديمة المتوافرة؛ لاستقصاء الصيغ واستخراجها واستقرائها واستنباط دلالاتها... وانصب الاهتمام على التعمق في ما لم يتطرق إليه القدامى والمتأخرون والمحدثون من دلالات الصيغ ــ اسمية كانت أم فعلية ــ، والتثبت مما قيل في ما درست دلالته منها...

واقتضت طبيعة البحث أن يكون في : مقدمة، وفصل تمهيدي، وأربعة أبـــواب، ثـــم الخاتمة وقد تضمنت المقدمة: اختيار الموضوع، وأهميته، والغاية منه، وحظ البحـــث من الدراسات (القديمة والحديثة)... وتناولتُ في الفصل التمهيدي بعض المسائل التـــي تتعلق بالبحث؛ كاعتباطية الدلالة اللغوية، والأجناس الدلالية: (المـــترادف والمشـــترك والضد). وانتظم الباب الأول في فصلين: الأول: خصائص الوضع اللغوي ودلالتـــه. والثاني: الأصول والصيغ؛ لأنها من المكونات الأساسية للمفردات العربية، وتنـــاولت فيه تعريف الأصول والصيغ، ونوعها وعددها (تصنيفها) وبسطت القول في (التحليـــل العمودي التصريفي ــ العربي ــ)، وما يقابله في اللســـانيات الغربيـــة الوصفيـــة... واشتمل الباب الثاني على دلالة الصيغ الثلاثية المجردة ــ الفعلية والاســـمية ــ، ثـــم دراسة وجيزة للصيغ الثلاثية ــ الاسمية ــ المزيدة بالتاء. واختص الباب الثالث بدلالة صيغ الثلاثي المزيد الفعلية؛ الصيغ المزيدة بحرف واحد، ثم بحرفيـــن، ثـــم بـــأحرف ثلاثة...، مع بعض صيغ الأسماء المزيدة. واختص البـــاب الرابـــع بدلالـــة الصيـــغ الرباعية المجردة والمزيدة... مع الإشارة إلى الصيغ الخماسية. وتوصلت إلى بعـــض الملحوظات والنتائج المتعلقة بالصيغ ودلالتها، فأثبتها في الخاتمة.

Morgan, David. *The Mongols*. 1986.- Oxford: Basil Blackwell, 1990.

Smith, Byron. *Islam in English Literature*. 1939. New York; Craven, 1977.

Steane, J. B. *Marlowe: A Critical Study*. Cambridge: Cambridge UP, 1964.

Southern, R. W. *Western Views of Islam in The Middle Ages*. 1962; Cambridge, Mass.: Harvard UP, 1978.

Wann, Louis. "The Oriental in Elizabethan Drama." *Modern Philology*. (January 1915): 423-447.

Wazzan, Adnan M. *Essays in Comparative Literature*. London: Ithaca Press, 1985

Received, 5/4/1993

Bibliography

Battenhouse, Roy W. *Marlowe's Tamburlaine: A Study in Renaissance Moral Philosophy.* 1941. Nashville: Vanderbilt UP, 1964.

Callaghan, Dympna. *Woman and Gender in Renaissance Tragedy.* New York: Harvester Wheatsheaf, 1989.

Chew, Samuel. *The Crescent and The Rose.* 1937. New York: Octagon, 1974.

Daniel, Norman. *Islam and The West.* Edinburgh: Edinburgh UP, 1960.

Dollimore, Jonathan. *Radical Tragedy: Religion, Ideology, and Power in The Drama of Shakespeare and His Contemporaries.* 2nd ed. New York: Harvester Wheatsheaf, 1989.

Hashim, Salah Al-Din, trans. "Timurlank: A Biographical Overview." by A. U. Ukubovski. *Dirasat* XV (7) July 1988: 92-148.

Hawamdeh, Mufeed. "Shakespeare's Treatment of The Moor in *Othello.*" *International Journal of Islamic and Arabic Studies* IV (1) 1987: 93-114.

____________ "The Treatment of The Turks in Shakespeare." *International Journal of Islamic and Arabic Studies* (Forthcoming).

____________ "Allusions To Muhammad in Shakespeare: A Lexico-Cultural Study." Damascus University Journal 13 (1988): 53-72.

Jensen, Godfrey H. *Militant Islam.* New York: Harper & Row, 1979.

Jones, Meredith. "The Convention Saracen of the Song of Geste." *Speculum* 17 (1942): 201-225.

Kritzeck, James. *Peter The Venerable And Islam.* Princeton: Princeton UP, 1964.

[23] For a different opinion on the issue of structure, see Battenhouse 2-6.

[24] On the Elizabethan perception of the Wheel of Fortune in the play, see Battenhouse 88-92.

[25] Battenhouse 88-92.

[26] Battenhouse 88-92.

[27] Dollimore 112.

[12] Hawamdeh, "Shakespeare's Treatment of the·Moor in *Othello*: An Oriental Perspective," *International Journal of Islamic and Arabic Studies* 4.1 (1987): 94.

[13] Epithets like "pagan" and "infidel" used in the text to modify the noun "Turk(s)" are mainly derived from medieval stereotyped images of Muslims in general.

[14] Swearing "by Mahomet" is a usual form of oath attributed to the Muslims in Medieval and Renaissance literature; see Smith 2.

[15] See Daniel 268; Chew 521; and Hawamdeh 95, 97.

[16] See R.W. Southern, *Western Views of Islam in the Middle Ages* (1962; Cambridge, Mass: Harvard UP, 1978), 65; and David Morgan, *The Mongols* (1986; Cambridge, Mass.: Basil Blackwill, 1990), 180.

[17] Quoted in Southern 68. Lullus is quoted further in stating that "it is much to be feared lest the Tartars receive the Law of Mahomet, for they do this, either by their own volition or because the Saracens induce them to do so, the whole of Christendom will be in great danger" (68).

[18] Southern 44.

[19] Salah Al-Din Hashim, trans., "Timurlank: A Biographical Overview," by A. U. Ukubovski, *Dirasat* XV (7) July 1988: 92-148. This study reviews the historical sources on the life and conquests of Timur. Among the major biographies reviewed is the "Zafarname," or "The Book of Triumph" by Nizam Al-Din Shami; the "Zafaraname," by Sharaf Al-Din Alyazdi; and *Tarikh Al-Maqdur Fi Ajaib Timur* by Iben Arabshah.

[20] See Hawamdeh 98-9.

[21] On this point, see Battenhouse 257.

[22] See Steane, Christopher Marlowe: The Complete Plays , 10-18.

Moral Philosophy (1941; Nashville: Vanderbilt UP, 1964), 243-57; for a different opinion, see J. B. Steane, *Marlowe: A Critical Study* (Cambridge: Cambridge UP, 1964), 63-113.

[7] Chew 469.

[8] Chew 469-70.

[9] Steane, ed., *Christopher Marlowe: The Complete Plays* (1969; Penguin, 1977), 18-19.

[10] Steane 18-27. Steane here argues that the play is religious and morally didactic. For a detailed analysis of the character of Tamburlaine within the context of Elizabethan culture, see Battenhouse's study; Dympna Callaghan, *Woman and Gender in Renaissance Tragedy* (New York: Harvester Wheatsheaf, 1989), 50-2. Callaghan establishes the argument of how tragedy was thought of in the Renaissance as a form of providential punishment. She argues that "In the Renaissance, medieval ideas of fortune, providence and the tragic transience of human life combine with the new humanist tragedy of the overreacher" (51); and Jonathan Dollimore, *Radical Tragedy: Religion, Ideology, and Power in the Drama of Shakespeare and His Contemporaries*, 2nd ed., (New York: Harvester Wheatsheaf, 1989). Dollimore argues that "Tamburlaine really does approximate to the self-determining hero bent on transcendent autonomy" "with his will to power and warrior prowess." (112). He goes on to say that

> ***Tamburlaine* as a transgressive text liberates from its Christian and ethical framework the humanist conception of Man as essentially free, dynamic and aspiring; more contentiously, this conception of man is not only liberated from a Christian framework but reestablished in open defiance of it. (112)**

[11] The unity of the two parts of *Tamburlaine* has attracted a number of critics. For a review of these critics, see Battenhouse 3-4.

Notes

[1] See Samuel Chew, *The Crescent and The Rose: Islam and England During The Renaissance* (1937; New York: Octagon, 1974), 469-503. In these pages, Chew surveys the Turkish characters in the drama of the English Renaissance. See also Byron Smith, *Islam in English Literature* (1939; New York: Craven, 1977), 16; Louis Wann, "The Oriental in Elizabethan Drama," *Modern Philology* (January, 1915): 444; and Mufeed Hawamdeh, "The Treatment of the Turks in Shakespeare," *International Journal of Islamic & Arabic Studies* (Forthcoming).

[2] Cf. Godfrey H. Jansen, *Militant Islam* (New York: Harper & Row, 1979), 13, 50; Wann 444.

[3] On the traditional treatment of Muslim orientals see Norman Daniel, *Islam and The West* (Edinburgh: Edinburgh UP, 1960); Meredith Jones, "The Conventional Saracen of the Song of Geste," *Speculum* 17 (1942): 201-225.

[4] Christopher Marlowe, *Tamburlaine the Great, Parts I & II*, ed. John D. Jump (Lincoln: Nebraska UP, 1967), Pt I, 3.1. 26. All quotations from the play are taken from this text, and I will hereafter put part, act, scene, and line numbers between brackets ( ) immediately after each quotation.

[5] The Latin phrase is originally derived from Giovanni Boccaccio's *De Casibus Vivorum Illustrium*, which gives an account of the most popular blows of fate to memorable persons in history or mythology. Lydgate adapted the Italian masterpiece in *The Fall of Princes* (1438/9). The two works were originally written as parables to warn cruel leaders of the mutability of fortune.

[6] For an elaborate discussion of this theme, see Roy W. Battenhouse, *Marlowe's Tamburlaine: A Study in Renaissance*

Elizabethan codes of morality, religion, and even race, by triumphing over the Turks.

Calyphas (*Pt. II.* 4. 1). At the end, the conqueror himself conquered by death, and the parable is fulfilled.[26]

Despite major differences, the Turks in *Tamburlaine* are similar to their counterparts in Shakespeare's *Othello*. They supply the political, historical, and ethnic background for the drama. Yet, from an artistic point of view, they have specific dramatic functions. In *Othello*, their encroachment upon the realm of Venice sanctions legal approval for the marriage of Othello and Desdimona despite the strong racial barriers against Moors in Venice or rather in Europe. Even the appeal of the influencial Brabantio against the marriage is overruled by the need for a general to confront the invading Turks. The martial interests of Othello thus become integrated with the national interests of Venice. The Duke and the senate in a session of emergency have to choose between permitting a marriage that violates the Venetian socio-ethical codes or jeopardizing the national interests threatened by the approaching Turks. So despite their presence in the background, the Turks and their religion are not the subject of *Othello*, but interracial marriage and the resultant conflicts. Once this marriage of aliens secures societal and official approval, the presence of the Turks becomes irrelevant. Shakespeare swiftly drops them out of the plot by having them shipwreck in a tempestuous sea.

Marlowe's Turks in *Tamburlaine* are catalysts that win admiration for Tamburlaine. He comes to embody the Marlovian belief in the infinite potential of man's achievement--man's will to power, transcending the limitations of the religious and ethical traditions of the Renaissance and simultaneously implying their defiance of these rules, as Dollimore suggests.[27] Marlowe succeeds in winning his rebellious and non-conformist views the consent, applause, and glorification of a possible resisting audience as he appeals to it by smashing the reputedly invincible Turks. Marlowe's aspiring, ruthless, and blasphemous protagonist could triumph over the

of Fortune" and pushes Bajazeth to its bottom.[24] During this ritual humiliation, Bajazeth warns Tamburlaine, prophesying the latter's similar descent:

> **Great Tamburlaine, great in my overthrow,**
> **Ambitious pride shall make thee fall as low,**
> **For treading on the back of Bajazeth**
> **That should be horsed on four mighty kings.**
> **(*Pt. I.* 4. 2. 75-8)**

A similar prophecy is later uttered by Zenocrate as she pities the pathetic end of Bajazeth and his empress:

> **Ah, Tamburlaine, my love, sweet Tamburlaine,**
> **That fights for scepters and for slippery crowns,**
> **Behold the Turk and his great empress!**
> **(*Pt. I.* 5. 1. 355-57)**

Zenocrate here senses the mutability of fortune that will bring down Tamburlaine as it has done the Turkish Sultan.

The Ottoman sovereign thus fulfills a number of important dramatic and ideological purposes in *Part I.* First, his defeat satisfies the anti-Turkish sentiments of the audience possessed

with fear and abhorrence of the menacing Turks. Second, his fall propels the rise of the Marlovian titan that becomes the prototype for others in Marlowe's canon. Third, the story of his fate adds to the stock of such parables as those presented in Lydgate's *The Fall of Princes*, which warned corrupt and ruthless power-seekers of the inconstancy of fortune if they did not need the examples they were to read.[25]

Tamburlaine himself does not heed and pursues his ruthless and gory conquests until he turns repulsively monstrous, as when he orders the murder of the virgins of Damascus (*Pt. I.* 5. 1), butchers the people of Babylon (*Pt. II.* 5. 1), burns the town where Zenocrate dies (*Pt. II I.* 2), and slaughters his humane son

received the audience's applause. These issues include Tamburlaine's crushing victory and humiliation over the Turks, his contempt and scorn of their religion, and his sympathy with the Christians, whom he might emancipate of the menace of the Turks.

Indeed, *Part II* meets all these expectations. The play turns harsher against all Muslim peoples. Tamburlaine is shown crushing them one after the other (Soria, Natolia, Jerusalem, Trebizon, Babylon) and finally burning their holy books. Yet he dies at the end before completely smashing the Turks, who regather their army under the leadership of Callapine to regain their conquered realms. Marlowe knew from history that the sons of Bayazid restored what their father lost to Tamburlaine, who survived only three years after the battle against Bayazid. And since that time, the Turks had resumed their attacks against Europe.

IV

Part I is primarily devoted to the building up of the Marlovian titan, a process in which the Sultan of the Turks functions as the main catalyst toward the fulfillment of that goal. In the interchange of rhetorical insults prior to the decisive battle between the two camps, Tamburlaine warns Bajazeth that

Thy fall shall make me famous through the world.
(*Pt. I.* 3.3. 83)

Only the fall of Bajazeth assures Tamburlaine his status as supreme ruler of the world. In witness thereof, Tamburlaine celebrates his achievement, ascends to his throne on the back of the defeated world monarch, and proclaims:

Now clear the triple region of the air,
And let the majesty of heaven behold
Their scourge and terror tread on emperors.
(*Pt. I.* 4. 2. 30-32)

Ascending to his throne on the back of "the high and highest monarch of the world," Tamburlaine symbolically turns the "Wheel

Steane's words, set a prototype for his Marlovian successors.[22] Moreover, Marlowe's thrill over the stunning defeat of Bajazeth markedly infuenced the structure of the play as well as its main premise. At the outset, he probably planned to write a tragedy of Tamburlaine, similar to the De Casibus parable . He promises in the prologue to *Part I*:

> **We'll lead you to the stately tent of war,**
> **Where you shall hear the Scythian Tamburlaine**
> **Threat'ning the world high astounding terms**
> **And scourging kingdoms with his conquering sword.**
> **View but his picture in this tragic glass,**
> **And then applaud his fortunes as you please.**
> ***Pt.II*,(3-8)**

But his preoccupation with the highly celebrated defeat and fall of the mighty Turks, took up too much space: the whole of Act III, two out of four scenes of Act IV, and around one-third of Act V and crowded out the generic fall of the tragic hero in the final Act. As a result he did not end up with the usual five-act tragedy, but with the first installment of a larger piece, with the tragic hero only coming to his fate in the second installment.[23]

> **The general welcomes Tamburlaine receiv'd**
> **When he arrived last upon our stage**
> **Hath made our poet pen his second part,**
> **Where death cuts off the progress of his pomp**
> **And murd'rous fates throw all his triumphs down.**
> ***Pt. II*,(1-5)**

A number of observations can be drawn from this prologue: first, *Part II* was written a year later than *Part I*. Second, Marlowe wrote *Part II* bearing in mind the enthusiastic and positive response of the audience to *Part I*. Third, the playwright renews promises to come to the usual tragic end with the hero's downfall. And finally, the playwright could feature in *Part II* the issues in *Part I* that had

Theridamas, who has earlier considered him greater than both "Mahomet" and the Greek gods, to Olympia says:

> **And thou shalt see a man greater than Mahomet,**
> **In whose high looks is much more majesty**
> **Than from the concave superficies**
> **Of Jove's vast palace, the empyreal orb,**
> **(*Pt. II.*3. 4. 46-49)**

At his death-bed Theridamas is ordered to summon Apollo to cure him lest he go himself to pull Apollo down:

> **Theridamas, haste to the court of Jove;**
> **Will him to send Apollo hither straight**
> **To cure me, or I'll fetch him down myself.**
> **(*Pt. II.* 5. 3. 61-3)**

In line with his megalomania, Tamburlaine assigns himself cosmic and universal dimensions. His queen becomes like Juno on her throne (*Pt. I.* 5. 1. 512); and when she dies, cosmic arrangements are made to receive her soul in heaven (*Pt. II.* 2. 4). On that sad occasion, he, in a fit of madness, gives his leaders orders to shoot their cannos at the firmament in order to destroy it and slaughter the gods, who have snatched away his wife (*Pt. II.* 2. 4. 103-08).

Even his enemies acknowledge his colossal power. The Soldan of Egypt compares him to a "Demogorgon" (*Pt. I.* 4. 1. 18) and to Themis' "monster of five hundred thousand heads" (*Pt. I.* 4. 1. 7). Meander describes him in the same fashion:

> **Some powers divine, or else infernal, mix'd**
> **Their angry seeds at his conception.**
> **(*Pt. I.* 2. 6. 9-10)**

III

It is important to emphasize at this point that this monumental portrayal of Tamburlaine depended on his historical victory over Bayazid I (Bajazeth) in 1402. This historical fact inflamed the boundless imagination of Marlowe to depict an overreacher who, in

And when he gains successive victories over the Turkish leaders, Bajazeth, Callapine, and their allies, he swells with arrogance, defying and challenging the gods themselves, even the god of war:

> **Though Mars himself, the angry god of arms,**
> **And all the earthly potentates conspire**
> **To dispossess me of this diadem,**
> **Yet will I wear it in despite of them**
> **As great commander of this eastern world,**
> **If you but say that Tamburlaine shall reign.**
> **(*Pt. I*.2. 7. 58-63)**

And he dares Jove:

> **Zenocrate, were Egypt Jove's own land,**
> **Yet would I with my sword make Jove to stoop.**
> **(*Pt. I*. 4.4. 71-2)**

He imagines that Mars flies, and Jove is afraid of him:

> **The god of war resigns his room to me,**
> **Meaning to make me general of the world;**
> **Jove, viewing me in arms, looks pale and wan,**
> **Fearing my power should pull him from his throne.**
> **(*Pt. I*. 5. 1. 450-53)**

The three Fates and Death are his vassals:

> **Where'er I come the Fatal Sisters sweat,**
> **And grisly Death, by running to and fro**
> **To do their ceaseless homage to my sword.**
> **(*Pt. I*. 5.1. 454-56)**

He also boasts:

> **The wrathful messenger of mighty Jove,**
> **That with his sword hath quail'd all earthly kings,**
> **Could not persuade you to submission,**
> **Should I but touch the rusty gates of hell,**
> **The triple-headed Cerberus would howl**
> **And wake black Jove to crouch and kneel to me,**
> **(*Pt. II*. 5. 1. 92-98)**

Not Hermes, prolocutor to the gods,
Could use persuasions more pathetical.
(*Pt. I.* 1.2. 210-11)

Meandar compares his huge stature to that of Atlas:

Of stature tall, and straightly fashioned,
Like his desire, lift upwards and divine;
So large of limbs, his joints so strongly knit,
Such breadth of shoulders as might mainly bear
Old Atlas' burden.
(*Pt. I.* 2. 1. 7-11)

Tamburlaine compares himself or is compared to the major epic heroes of classical culture, as when Theridamas, as he first encounters him, describes his looks in terms apt for Hercules:

His fiery eyes are fix'd upon the earth
As if he now devis'd some stratagem
Or meant to pierce Avernus' darksome vaults
To pull the triple-headed dog from hell.
(*Pt. I.* 1. 2. 158-61)

0Tamburlaine later compares himself to Hector as he encounters Callapine and his Allies:

Ye petty kings of Turkey, I am come,
As Hector did into the Grecian camp.
(*Pt. II.* 3. 5. 64-5)

When he encounters Bajazeth, he brags that he is like Julius Caesar, who never lost a war:

My camp is like to Julius Caesar's host,
That never fought but had the victory.
(*Pt. I.* 3, 3, 152-53)

The messenger Philanus describes the assault Zenocrate's father leads against Tamburlaine as thus:

The first affecter of your excellence,
Comes now, as Turnus 'gainst Aeneas did.
(*Pt. I.* 5. 1. 379-80)

Gloating over his defeat of the Turks and his violent victory over Babylon, Tamburlaine tresspasses against the holiest of holies as he challenges the prophet of Islam and flings the sacred books of Islam into the fire. Soon after, he suffers punishment and defeat in front of the invincible force of death.[21]

Beside being portrayed as an enemy of Islam, Tamburlaine continously flaunts his role(s) as the scourge of God (*P. II.* 2. 4. 80), an "earthy god" *(P. II.* 1. 3. 138), and the monarch of the earth. His victory over Bajazeth and other Muslim allies in the play gives Tamburlaine his megalomaniac obsession, comparing himself to Greek and Roman gods and epic heroes, including Jupiter, Apollo, Hermes, Atlas, Hercules, Hector, and Julius Caesar. When he wins the crown from Cosroe, he extols for his ambitious deed as an emulation of a precedent set by Jupiter:

The thirst of reign and sweetness of a crown,
That caus'd the eldest son of heavenly Ops
To thrust his doting father from his chair
And place himself in the empyreal heaven,
Mov'd me to manage arms against thy state.
(*Pt. I.* 2. 7. 12-16)

Tamburlaine also contends that his words are as true as the oracles of Apollo. To Theridamas he says:

Nor are Apollo's oracles more true
Than thou shalt find my vaunts substantial.
(Pt. I. 1. 2. 212-13)

Later he plans to enter his capital "Samarcanda" in a chariot like Apollo's:

I'll ride in golden armor like the sun,
(*Pt. II.* 4. 3. 115)

In eloquence, Tamburlaine is compared to Hermes, the prolocutor of the gods:

II

Marlowe's *Tamburlaine* is the most memorable treatment in English literature of a sympathetic anti-Turk. The historical Tamburlaine was a Muslim,[19] yet in the play he is doubly alienated from his religion. He declares himself an avowed enemy of Islam and seeks his faith and identity in classical culture, believing in classical deities and continuously comparing himself to Greek and Roman heroes from classical epics or myths. Besides, he is friendly toward Christianity and Christians despite the fact that he does not convert to Christianity as other anti-Turks in English literature usually do.[20]

To present Islam in both parts of the play as the religion of the Turks, the menacing enemies of Europe, references to Islam usually coincide with the appearance of the Turks. These frequently swear "by Mahomet" and invoke his aid against their conqueror Tamburlaine, as when Bajazeth appeals to the prophet Muhammad during a round of humiliation he suffers after his defeat in battle:

> **Ye holy priests of heavenly Mahomet,**
> **That, sacrificing, slice and cut your flesh,**
> **Staining his altars with your purple blood,**
> **Make heaven to frown and every fixed star**
> **To suck up poison from the moorish fens**
> **And pour it in this glorious tyrant's throat!**
> **(*Pt. I.* 4. 2. 2-8)**

To which his conquorer responds in a challenging tone:

> **The chiefest God, first mover of that sphere**
> **Enchas'd with thousands ever-shining lamps,**
> **Will sooner burn the glorious frame of heaven**
> **Than it should so conspire my overthrow.**
> **(*Pt. I.* 4. 2. 8-11)**

be turned into a major asset for the west. [18]

Without being Christian, Marlowe's protoganist offers to release the European community from Turkish aggression, and indeed is sympathetic with the Christians whom he promises to emancipate. Prior to his encounter with Bajazeth, Tamburlaine anticipates replacing the Turkish monarch as the master of the world, and foresees freeing the Christian captives enslaved by the Turks:

> **I that am term'd the scourge and wrath of God,**
> **The only fear and terror of the world,**
> **Will first subdue the Turk, and then enlarge**
> **Those Christian captives which you keep as slaves,**
> **Burdening their bodies with your heavy chains**
> **And feeding them with thin and slender fare,**
> **and, when they chance to breathe and rest a space,**
> **Are punish'd with bastones so grievously**
> **That they lie panting on the galley's side**
> **And strive for life at every stroke they give.**
> **(*Pt. I.* 3. 3. 44-54)**

He later assures his audience that he will liberate the Mediterranean of Moorish piracy against

> **Christian trade:**
> **These are the cruel pirates of Argier,**
> **That damed train, the scum of Africa,**
> **Inhabited with straggling runagates,**
> **That make quick havoc of the Christian blood.**
> **But as I live that town shall curse the time**
> **That Tamburlaine set foot in Africa.**
> **(*Pt. I.*3. 3. 55-60)**

And pledges to put to anchor

> **The galleys and those pilling brigandines**
> **That yearly sail to the Venetian gulf**
> **And hover in the straits for Christians' wrack.**
> **(*Pt. I.* 3.3. 248-51)**

Islam is always brought to the limelight as a major symbol for these enemies,as if defeating the Turks would automatically defeat their religion too. Thus, their constant appeal to "Mahomet"[14] (the most popular version of the name of the prophet of Islam in Western literature) serves, to intensify the audience's antipathy against them as it revitalizes the traditions of conflict the Christians experienced with the triumphant Muslims in Spain, the Mediterranean, and the Holy Land.[15]

Marlowe's dynamic endeavor in the play to sustain antipathy against the Turks is paralleled by an equally vigorous effort to secure sympathy for his aspiring conqueror Tamburlaine, whose geographical position, exerts pressure upon the Turks, not upon Europe. Indeed, the play registers the early hopeful accounts of the Mongols in Europe. They'were thought of as the sustaining element of the Christians of the East, and an instrument for the destruction of Islam. The Western missions to win the mongols were reciprocated by a series of Mongol embassies in the West between 1285-90, which came for the express purpose of organizing a joint attack against Islam. [16] The prophetic statements of Raymundus Lullus in 1291 probably best sum up the Western attitudes at the time toward the issue of the Mongols;

> **If the Schismatics [Nestorians] are brought into fold and the Tartar, converted, all Saracens can easily be destroyed.**[17]

and in his profound study on the Western reaction to the Mongol advance westward against the Islamic world, R.W. Southern argues that the early expansion of the Mongols in the East resulted in a very complex situation:

> **The Mongols were very frightening. But from their geographical position their first enemy was almost bound to be not Christendom but Islam; and with a certain amount of management this geogrophical factor could, it was hoped,**

Such resentful speeches of the Turkish Sultan again remind the Elizabethan theater-goers of the agony the Ottomans had inflicted upon Europe. To convince Sigismund against the truce with those "infidel" aliens, Frederick reminds the king:

> **Your majesty remembers, I am sure,**
> **What cruel slaughter of our Christian bloods**
> **These health'nish Turks and pagans lately made**
> **Betwixt the city Zula and Danubius;**
> **How through the midst of Varna and Bulgaria**
> **And almost to the very walls of Rome,**
> **They have, not long since, massacred our camp.**
> **(*Pt. II.* 2. 1. 4-10)**

He urges Sigismund to take advantage of Tamburlaine's invasion against the Turks and to revenge upon them in the hope:

> **That in the fortune of their overthrow**
> **We may discourage all the pagan troop**
> **That dare attempt to war with Christians.**
> **(*Pt. II.* 2. 1. 24-6)**

And in fact, Frederick finds in this opportunity a divine gift from God to requite the "pagan" Turks for Christian blood[13], and restore for the Christian faith:

> **And, should we lose the opportunity**
> **That God hath given to venge our Christians' death**
> **And scourge their foul blasphemous paganism,**
> ------
> **So surely will the vengeance of the Highest**
> **And jealous anger of this fearful arm**
> **Be pour'd with rigor on our sinful heads,**
> **If we neglect this offered victory.**
> **(*Pt. II.* 2. 1. 51-9)**

The efforts of Sigismund end disastrously, his army defeated, and the mission to destroy the Turks is left to Tamburlaine to achieve.

The Muslim Turks in *Tamburlaine* are not only military rivals of Europe, but also religious rivals to the Christian Europeans. Thus,

Our Turkey blades shall glide through all their throats
And make this champion mead a bloody fen.
(*Pt. II*.1. 1. 31-2)

He threatens that "the slaughtered bodies of these Christians" (*Pt. II, 1, 1; 36*) will be carried by the scarlet waves of the Danub river "As martial presents to our friends at home" *(Pt. II,* 1, 1; 38) and will be floating in the Mediterranean sea :

The wand'ring sailors of proud Italy
Shall meet those Christians fleeting with the tide,
Beating in heaps agianst their argosies,
And make fair Europe, mounted on her bull,
Trapp'd with the wealth and richès of the world,
Alight and wear a woeful mourning weed.
(*Pt. II*. 1. 1. 39-44)

Encountering Sigismund, who seeks a truce, Orcanes reminds the European monarch of the Turkish rounds of victorious war against Europe:

Stay, Sigismund. Forgett'st thou I am he
That with the cannon shook Vienna walls
And made it dance with the continent,
- - - -
Forgett'st thou that I sent a shower of darts,
Mingled with powdered shot and feathered steel,
So thick upon the blind-ey'd burghers' heads
That thou thyself, then County Palatine,
The King of Boheme, and the Austric Duke
Sent heralds out which basely on their knees
In all your names desir'd a truce of me?
Forgett'st thou that to have me raise my siege
Wagons of gold were set before my tent,
- - - -
How canst thou think of this and offer war?
(*Pt. II*. 1. 1. 86-102)

(*Pt. I.* 3. 1. 2-6)

Later in the same scene, Bajazeth elaborates on the martial strategems he has planned to capture the city, which reaffirms Marlowe's portrayal of the Turks as eminent danger against Europe. And after the overthrow of the Turkish monarch, he agonizes over a massive western celebration of his defeat, and hopes to punish his European enemies for their expected feeling of relief:

> **Now will the Christian miscreants be glad,**
> **Ringing with joy their superstitious bells,**
> **And making bonfires for my overthrow.**
> **But, ere I die, those foul idolaters**
> **Shall make me bonfires with their filthy bones.**
> **(*Pt. I.*3. 3. 236-40)**

In *Part II*, Marlowe once again asserts the Turkish anti-Christian biases, thus stimulating anti-Turkish biases. Orcanes, the king of Natolia, and the deputy of Callapine, the son of Bajazeth, is reluctant to consent to a truce with the Christians. However, he is urged to accept it in order to fight the invader from the East. In response to Orcanes' question, "What! Shall we parle with the Christians?" Gazellus advises:

> **We all are glutted with the Christians' blood,**
> **And have a greater foe to fight against,**
> **Proud Tamburlaine, that now in Asia**
> **Near Guyron's head doth set his conquering feet**
> **And means to fire Turkey as he goes.**
> **(*Pt. II.* 1. 1. 14-8)**

And when Uribassa warns Orcanes against the army of Sigismund, which is recruited from the various parts of Christendom, Orcanes assures his counsellors of his confidence in the ability of the Turkish soldiers to slaughter their opponents, pledging that whatever numbers the king of Hungary recruits.

deals with the overriding theme of the Turks that prevailed in the Renaissance literary works, and dominated the consciousness of the Europeans before and after Marlowe.[12] Hence the joy of the playwright and his audience over the historic defeat and the extended humiliation of the Emperor of the Turks, which are alloted more space in the play than Tamburlaine's victory over five other kings or leaders-- Theridamas, Cosroe, Mycetes, the Soldan of Egypt, and the King of Arabia.

The present study will analyze the image and the dramatic role of the Turks in the two parts of *Tamburlaine the Great*, seeking a new perspective from which to assess the character of Tamburlaine. The study will address a number of pertinent issues , including the structure of the play, and the anti-Islamic polemics.

I

The Turks in *Tamburlaine* appear as dangerous, brutal, and destructive adversaries of Europe. Probably they appear more violent here than anywhere else in Western literature. They endanger European cities and are glutted with Christian blood. These Turks spare no occasion to make assaults upon Christendom and show no clemency toward the Christians. Upon his first appearance in the play, Bajazeth brags about his dreadful siege of Constantinople, declaring that his main endeavor is to press westward upon Europe. Thus, he sees the threat of Tamburlaine against his eastern boundaries as a distraction to his martial efforts against the city:

> **We hear the Tartars and the eastern thieves,**
> **Under the conduct of one Tamburlaine,**
> **Presume a bickering with your emperor,**
> **And thinks to rouse us from our dreadful siege**
> **Of the famous Grecian Constantinople.**

conveys a didactic message to similar ruthless princes who do not heed the mutability of fortune and the inevitability of death.[6]

The plausibility of Tamburlaine's Herculeanism in Marlowe's drama and in history is mainly accredited to the historic encounter between the two potentates in 1402, in which Timur defeated and imprisoned Bayezid I, who later died in captivity.[7] That unprecedented loss in battle by the Turks encouraged both historians and men of letters to write imaginary accounts of the event and legendary histories of the Tartar conqueror, the most memorable of which is Marlowe's two-part magnum-opus.[8]

Marlowe enthusiastically dramatizes the unforgettable incident with propagandistic anti-Turkish sentiments and gloating gratification. He devotes almost half of *Part I* to the encounter, defeat, and humiliation of the unlucky sultan. Marlowe depicts the victorious Tamburlaine as an aspiring soul that sets a prototype for his later heroes.[9] At the same time, he could expect the Elizabethan audience who hated and feared the Turks to welcome and applaude Tamburlaine despite his ruthlessness, heathenism, blasphemous rant, and violation of moral and social codes.[10]

Like the audience, Marlowe was clearly thrilled by his protagonist and shared vicariously in the glamour of his achievements. This attitude of the playwright evidently influenced the process of composing and structuring the drama; he ended up writing a mammoth play in two parts rather than one tragedy in five acts.[11] The first part recounts Tamburlaine's ascendance to the status of the superhuman, a congenial status for the aspiring nature of the writer himself, whereas the second part is devoted to the decline and demise of the hero.

Marlowe does not adopt the tactic of prolonging the play in his later works. In *Doctor Faustus*, for instance, he achieves in the prologue what occupies *Tamburlaine I*. Yet the case in *Tamburlaine* is different from any other play by Marlowe. Here, he

In *Tamburlaine the Great, Parts I & II,* Marlowe portrays the Turks in particular and the Muslims in general in line with the traditions of Renaissance literature and the conventions of Elizabethan drama, namely as a formidable menace to Europe.[1] Indeed, Marlowe's play stimulates and exploits a rush of bitter sentiments against the inhabitants of the powerful Ottoman Empire before and during his age. They are shown as an ever approaching threat against Christian Europe; they are pompous, braggart, and malignant "Mahometans," who had endangered the security and peace of Christendom for centuries. The successful advances of their armies against the terrestrial and maritime frontiers of Europe were incessant and seldom successfully checked.[2]

Unlike other Elizabethan writers, who indiscriminately dramatize the components of the deeply-rooted legacy of Western misconceptions, stereotypical notions, and racial and religious prejudices toward the Turks,[3] Marlowe is rather selective in utilizing the traditional legacy. In *Tamburlaine*, he capitalizes upon the features of militancy and violence usually attributed to the Turks in particular and the Muslims in general. He also highlights the religious polemics against the Islamic beliefs of the Turks.

However, Marlowe is original in the way he integrates the traditional view of the Turks into the very fabric of the play. He deliberately designs the role of Bajazeth, the puissant sultan of the Turks, as a catalyst for the portrayal of his titanic over-reacher; the overthrow of Bajazeth, who assumes the title of "the high and highest monarch of the world,"[4] allows Tamburlaine to ascend to the position of the supreme ruler of the East, or indeed the world.

The fall of the giant Turk also offers a parable of the *De Casibus* nature,[5] the analogue of which is suffered at the end of the second part of the play by his colossal conqueror. The playwright thus

Marlovian Turkophobia:
A Study of the Image and Role of the Turks in *Tamburlaine the Great*, *parts 1&2*

Dr. Mufeed F. Hawamdeh
Department of English
Yarmouk University
Irbid – Jordan

Abstract

This paper explores the image and the dramatic function of the Turks in Marlowe's Tamburlaine the Great Parts I & II. Unlike other Elizabethan writers who indiscriminately dramatize the components of the tradition of Western misconceptions and stereotypical notions about the Turks in particular and Muslim Orientals in general, Marlowe highlights militancy and violence as representative of the Turks.

The dramatic function of the Turkish characters in the play is their role as catalysts for the portrayal of Marlowe's aspiring titan. Thus, his triumph over Bajazeth, the highest monarch of the world, allows Tamburlaine to acquire the top position in the world and to assume there the role of the scourge of God.

The Elizabethan audience, who abhorred the Turks applauded the victorious Tamburlaine despite his violation of the Elizabethan moral and social codes. This reception of the Tartar protagonist, encouraged the playwright to write Part II and to expatiate on the humiliation of the Turks and their Muslim allies. Marlowe clearly deploys the Turkish antagonists to ensure the acceptance, indeed the admiration of otherwise unsympathetic Elizabethan audience for his aspiring and blasphemous protagonist.

rousse.

A. Rey (1989) "Le français et les dictionnaires aujourd'hui" in Lexiques, coordoné par A. Ibrahim, Paris, Hachette.

A. Rey / S. Delesalle (1979) "Problèmes et conflits lexicographiques" in langue française, n043, Paris, Larousse.

J. Rey-Debove (1971) Etude linguistique et sémiotique des dictionnaires français contemporains, La Haye, Mouton

Reçu le 13/12/1996

BIBLIOGRAPHIE

J.C. Beacco (1984)"La civilisation du dictionnaire "in Le Français dans le Monde, n°188, Paris, Hachette.

C.Camilleri (1989)"La culture et l'identité culturelle: champ notionnel et devenir "in chocs de cultures: concepts en enjeux pratiques de l'interculturel, sous la direction de Camilleri. éditions l'Harmattan.

J. David (1974) Dictionnaire fondamental pour l'Afrique, Paris, Di-fondamental dier, 421 pages, 4727 mots.

J. Dubois (1978) Dictionnaire du français langue étrangère, niveau 1, Paris, Larousse, 911 pages, 2581 mots d'entrées, 7700 mots au total.

J. Dubois (1979) Dictionnaire du français langue étrangère, niveau,

2, Paris, Larousse, 1088 pages, 10000 mots au total.

J. Dubois et C. Dubois (1971) Introduction à la lexicographie: le

dictionnaire, Paris, Larousse.

P.Fourré (1962) Premier dictionnaire en images, Paris, Didier, 273

pages, 1500 mots.

R.Galisson (1991) De la langue à la culture par les mots, Paris, CLE international.

E. Goffman (1981) Forms of talk, Oxford, Basil Blackwell Publisher,

cité par G. de Salins (1988) Une approche éthnographique de la communication, Paris, Hatier-Crédif, coll. LAL.

G. Gougenheim (1958) Dictionnaire fondamental, Paris, Didier.

G. Matoré (1963) Dictionnaire du vocabulaire essentiel, Paris, La-

Conclusion

L'absence d'une logique dans la présentation et la description des faits de culture rend ténus et occasionnels les rapports entre les D.L.F.E. 1 et 2 et la culture.

L'objectif de J.Dubois et de son équipe linguistique avant tout, n'étant pas de faire accéder l'apprenant à la culture partagée qui transite par le lexique, cette découverte hasardeuse de certains pans culturels ne peut développer chez lui un semblant de compétence culturelle. A aucun moment, les auteurs ne parlent, dans la préface, de culture ou de civilisation; il est question de considérer la langue comme "un moyen de communication", rendant compte de situations courantes de la vie réelle et d'axer la description sur la pratique sociale du langage. En bref, les objectifs culturels ne sont pas clairement explicités. Il faudrait ajouter que si le dictionnaire alphabétique échappe à cette cohérence descriptive en matière culturelle, c'est qu'il est avant tout conçu comme un outil de dépannage dont la seule fonction est heuristique. De plus, le monolingue de F.L.E présente moins d'entrées qu'un dictionnaire unilingue de F.L.M.

(Français langue maternelle) qui va très vite le concurrencer et distancer et vers lequel les apprenants préfèrent se tourner.

Accaparé pendant longtemps par l'absolutisme des méthodes, l'enseignant doit manifester maintenant sa volonté de recourir à des matériaux semi-ouvrés, sans consignee méthodologiques et non directifs, qu'il puisse accommoder à la réalité singulière de sa classe et qui constituent des banques de données précieuses et modulables.

A travers un corpus d'illustrations relevées dans le D.F.L.E. l, la femme nous apparaît dépensière, aguichante, bonne cuisinière, femme au foyer, aimant le luxe, autoritaire, disponible et curieuse.

Les légendes qui y sont associées stigmatisent ce discours culturel

* P-7, entrée "achat" la femme rentre chez elle, les bras chargés des nombreux achats qu'elle a effectués.

*p. 18, entrée" ajouter sur l'image, on voit un homme les bras chargés de paquets contenant les achats que sa femme vient de faire; elle ajoute un dernier paquet sur la pile déjà bien encombrante.

La légende dit: "Et elle ajoute encore un paquet! "

* p. 16, entrée "boire": L'homme rentre chez lui, ivre; la femme, très mécontente, s'apprête à lui faire des reproches.

La légende dit: " Non, je te jure, je n'ai pas pris de boissons, je suis franc"

*p. 99, entrée "chaussure" une femme a essayé toutes les chaussures du magasin et ne parvient toujours pas à se décider;

le vendeur a l'air exténué.

La légende dit Le chöix est difficile quand on veut des chaussures élégantes"

*p. 625, entrée" résultat la femme vient de doner un coup de rouleau à pâtisserie sur la tête de son mari.

La légende dit: "Le résultat de cette discussion est évident! ".

L'émergence de ces modèles stéréotypés s'expliquerait en partie par des impératifs pédagogiques que se sont fixés les auteurs.

- troisième micro-cadre de référence à dégager: on peut attendre le taxi à une station prévue à cet effet; cette station se trouve en ville; il peut y en avoir plusieurs.

- quatrième micro-cadre de référence à dégager de l'illustration: sur l'image, on voit deux hommes qui font la queue à une station de taxi, tous deux font signe à un taxi qui arrive; le premier jette au second un regard désapprobateur. On peut dire que l'information iconique nlest pas redondante par rapport au verbal mais délivre un nouveau micro-cadre de référence: en France, il y a une file d'attente pour le taxi et il faut la respecter au risque de se voir" remis à sa place".

3-2-5- Interprétation de la légende de l'illustration un discours culturel: (un discours culturel).

On peut dire que la légende de l'illustration, au niveau l, joue un rôle fondamental dans l'accès au sens et la mise en scène de la culture ordinaire.

Dans les légendes et les illustrations du niveau l, on trouve la trace de certains stéréotypes culturels, particulièrement en ce qui concerne la représentation de la femme et de ses relations avec l'homme. Deux hypotheses peuvent être avancées pour expliquer leur présence. la première, c'est que ces stéréotypes sont révélateurs de l'idéologie, voir de l'univers mental des lexicographes. la seconde, c'est que les auteurs, dans un objectif didactique,ont délibérément campé ces stéréotypes afin de faciliter la compréhension de l'apprenant. Cette seconde hypothèse semble confirmée par la rareté au niveau 2, d'illustrations représentant la femme dans son rapport à l'homme et par la disparitioh des légendes. Les auteurs semblent estimer.que la compétence linguistique de l'apprenant est devenue telle qu'il n'a plus besoin de puiser dans les stéréotypes pour accéder au sens en langue étrangère.

de trois jours du fait du premier mai, jour chômé en France et dans de nombreux pays européens, puisque c'est la fête du travail. De même, l'énoncé: "Tu as réussi ton examen? Eh bien, nous allons arroser ça" (D. 2, p. 65, entrée "arroser") renvoie à un domaine d'éxpérience consistent à fêter un événement heureux en buvant de l'alcool, ou encore: " Depuis le premier août, la circulation dans Paris a beaucoup diminué D.F.L.E. 2, P. 303, entrée" diminuer") renseigne sur le départ massif des Parisiens et des Français, en vacances au mois d'août.

Certains enonces actualisent la charge culturelle de mots-vedettes. On trouve par exemple que le mot "anniversaire" évoque tour à tour les charges culturelles "cadeau" et" gâteau "; le mot "Noël" évoque de façon (récurrente) "cadeau", "sapin" et " jouet".

Chaque mot-vedette est généralement traité dans plusieurs exemples D'emploi qui permettent de reconstruire le cadre de réference (ou savoir), le domaine d'expérience (ou savoir-faire) et les opérations comportementales et verbales sous-jacentes[13]. Prenons, par exemple, les exemples d'emploi figurant sous l'entrée du mot taxi "(D.F.L.E.1,P.708):

* "Si tu es pressé, prends un taxi, ça ira plus vite que l'autobus".

- premier micro-cadre de référence à dégager: le taxi est un moyen de transport qu'on peut prendre si on est pressé et qui va plus vite que l'autobus.

* "Marie, tu peux m'appeler un taxi?"

- Deuxième micro-cadre de référence à dégager: en France, on peut téléphoner pour avoir un taxi.

* "Où est la station de taxi la plus proche? -Elle est au coin de la rue".

[13] R. Galisson, op. Cit. Pp. 160-189.

Les individus fictifs mis en scène dans les exemples d'emploi évoluent avec la même expérience du monde; leurs interactions ou propos actualisent de manière laconique, une culture ordinaire basée sur la répétition de savoirs et de savoir-faire hérités de. la tradition. Tous ces énoncés tracent les contours d'une communauté, d'un vécu commun. Bien entendu, ces contours restent flous, mais l'apprenant est amené, dans une recherche active du ou des sens des mots. à lever le non-dit qui invite au partage de la référence sans la dévoiler complètement. Certains énoncés explicitent plus que d'autres la référence culturelle autour de laquelle ils sont construits et un apprenant est conduit à un décodage presque immédiat. Ainsi.la lecture" tu n'as pas mis de cuiller pour la soupe (D.F.L.E. 1, P. 146, entrée "cuiller") lui permet de déduire, s'il ne le savait pas, que l'habitude française est de manger de la soupe et avec une cuiller. De même, un exemple tel que" Descends à la cave chercher une bouteille de vin D.F.L.E. 1, p. 187, entrée cave") lui fait découvrir ou redécouvrir cette pratique consistant à ranger et conserver le vin à la cave, située au sous-sol d'un édifice.

La plupart de ces énoncés reposent sur le principe d'économie qui propose que le lecteur est censé compléter: "Le 13 juillet, il y aura beaucoup de départs sur les routes: c'est le début d'un long week-end " (D.F.L.E. 2, p. 279, entrée "départ"). Plusieurs fragments de savoir sont actualises dans un tel énoncé: le 14 juillet est jour de fête nationale, commémoration de la Revolution Français et de la prise de la Bastille, jour de congé qui va permettre 'a de nombreux Français de prendre la route pour partir quelques jours en vacances. Tous les lundis, j'ai du mal à me lever pour aller travailler D.F.L.E. 2, P. 568, entrée "lundi "): encore, l'énonciateur renvoie à la compétence socio-culturelle de son interlocuteur (et du lecteur) qui doit comprendre que le lundi se situe au lendemain du week-end, tout entier tourné vers la dynamique des loisirs, d'où la difficulté de la reprise du lundi matin.

On trouve d'autres énoncés qui rendent le décodage plus délicat:" Chic, le premier mai tombe un lundi! " (D.F.L.E. 29p. 172, entrée "chic"). Il n'est pas évident de percevoir d'emblée que le locuteur se félicite d'avoir un week-end

*P.485, entrée "huître ". exemple d'emploi: c'est une tradition: à Noël, on mange toujours des huîtres; il en faudra trois douzaines puisque nous sommes six.

*P.543, entrée "kilomètre", exemple d'emploi: en France, la vitesse est limitée à 130 km / heure sur les autoroutes et à 90 km / heure sur les routes nationales.

*p. 856, entrée "salle ", exemple d'emploi au café, les consommations sont plus cheres à la terrasse que dans la salle.

On remarque que derrière ces quelques exemples surgissent savoir (la fourchette, se place à gauche de l'assiette, les consommations sont plus chères en terrasse qu'en salle) et savoir-faire comportementaux (manger avec une fourchette, consommer une boisson dans un bar). Apparaît aussi, mais trop occasionnellement, tout un. ensemble de vocables afférents au mot vedette et tissant un réseau lexical associatif ou analogique qui renseigne sur la vie culturelle du mot d'entrée.

On remarque également la présence d'énoncés ambigus oú l'on sent que l'appréciation prend le pas sur la description objective; c'est le cas d'exemples d'emploi tels que: "Le fait d'avoir le baccalauréat n'est plus comme avant une garantie pour d'avenir " (D.F.L.E. 2, p. 96; entrée" baccalauréat") ou encore Bien que les programmes de la télévision soient meilleurs, il reste beaucoup à faire D.F.L.E. 2, p. 110, entrée "bien que"). Qui parle?

S'agit-il d'une réalité tangible ou du sentiment d'un nombre de la communauté? L'apprenant n'est pas apte à différencier ces deux plans.

A côté de ces informations sur des pratiques social; culturelles partagées figure également toute une série de faits d'ordre économique geographique ou social; on apprend ainsi qu' "en France, nous n'avons pas de pétrole, nous sommes obligés de l'importer "(D.F.L.E.1.P.325, entrée "importer") ou encore que "la seine se jette dans la mer près du Havre "(D.F.L.E. 2, P 535, entrée "jeter").

ordinaire"[10] C. Camilleri[11] souligne que ce qui est nécessaire pour accéder à la qualification de "culture", c'est " la suffisante extension à la fois dans l'espace et dans le temps: que ces structures de sens collectives soient partagées au moins par des majorités en deça ou au-delà des divisions sur les autres points, et quelles durent". Cette culture constitue" ce qui demeure commun aux sous-groupes malgré leurs differences"[12]

Dans les D.F.L.E.1 et 2,on a relevé des faits de culture ostensibles selon deux vitesses: celle de l'exemple d'emploi, extrait de dialogue naturel dans lequel le tout ne se dit pas, et celle du commentaire sémantique qui lui succède et qui vient systématiser ce que l'exemple n'avait fait qu'effleurer. Voici quelques exemples extraits du recueil des ces informations relevées sur plus de cent pages du D.F.L.E. let sur plus de cent pages du D.F.L.E. 2:

D.F.L.E. 1:

*p. 18, entrée "alcool", commentaire sémantique: l'alcool se boit en apéritif avant le repas (pastis,whisky) ou en digestif, après le repas (eau-de-vie).

*P. 325, entrée" impôt ", commentaire sémantique: en France, on fait tous les ans sa declaration d'impôts au percepteur.

D.F.L.E. 2.

*P. 113, entrée "blanc blanche "example d'emploi: autrefois, quand elles se mariaient, les jeunes filles se mettaient en blanc.

*P.437, entrée "fourchette " example d'emploi: la fourchette se met à gauche de l'assiette, le couteau et la cuiller à droite.

(10) R. Galisson (1991) De la langue à la culture par les mots, Paris, CLE international. p. 117-118.

(11) C. Camilleri (1989) "La culture et l'identité culturelle: champ notionnel et devenir" in chocs de cultures: concepts en enjeux pratiques de l'interculturel, sous la direction de Camilleri, édition l'Harmattan, p. 26.

(12) Ibid, p. 53.

3-2-3- Simplification culturelle

Chaque individu prenant la parole dans un exemple d'emploi est, pour l'apprenant de P.L.E., le représentant d'un groupe et vaut pour son exemplarité: "Le matin, je prends juste un café noir et une biscotte avec du beurre" (D.F.L.E.2, p. 112, entrée "biscotte") ou: "Pourquoi est-elle habillée en noir? -Elle est en deuil, elle vient de perdre son mari " (D.F.L.E.2, p. 296, entrée "deuil") ou:" Chaque année, les Legrand passent un mois au bord de la mer" (D.F.I.E. 2, P. 598, entrée."mer") ou: " Vous allez aux sports d'hiver à Noël ou en février?" (D.F.L.E. 2, P. 900, entrée " sport " Tous ces exemples peuvent fonctionner comme des indicateurs culturels, particulièrement porteurs de culturel. expérientielle, d'où la difficulté de la description: ce qui est banal et va de soi. pour un natif est caractéristique donc typique pour un étranger. Pour les auteurs des. D.F.L.E. la pertinence du mode de presentation des personnages relève du juste milieu sans qu'il soit pourtant possible de préciser de quel milieu ou groupe social il est question.

3-2-4- Une culture expérientielle à travers les exemples d'emploi et les commentaires sémantiques.

On peut dire que l'absence d'une démarche ensembliste dans la présentation de la culture ne permet pas la systematisation d'une approche culturelle dans les D.F.L.E. En effet, les objectifs de description sont avant tout linguistiques. Les informations culturelles délivrées sont trop parcellaires pour qu'on puisse envisager de reconstruire un ensemble cohérent. Cependant, l'apprenant peut découvrir, au hasard de sa consultation ou de sa culture, des informations culturelles qu'il n'était pas venu chercher et qui révèlent des morceaux de culture partagée.

De cette.culture expérientielle ou ordinaire, il n'y a pas grand-chose à en tirer: " Son action se caractérise par la non-spécificité: elle touche à tout et tout fait trace (...). Cela va de la manière de se tenir à table. De s'habiller, de saluer, de regarder (...) aux propos récurrents de la conversation

C- L'énoné répondant à la fonction d'incitation, très pertinente ici puisqu'elle sert à forger le rapport entre locuteur et interlocuteur. Avec elle s'affirment des relations ·externes à l'énonce", d'ordre pragmatique. On trouve deux formes spécifiques de cette fonction, l'interpellation et l'impératif: " Allez, viens, ne fais pas d'histoire !" (D.F.L.E.lp.19, entrée "aller") ou: " Tais-toi, tu ne dis que des bêtises!" (D.F.L.E? 2, p. 108; entrée "bêtise").

On trouve toute fois la présence occasionnelle de mini-dialogues à deux répliques qui se justifie par l'utilisation du mot-vedette dans la seconde réplique: "Qu'est-ce que vous voulez boire?" -Un jus de fruits; je ne prends jamais d'alcool"(D.F.L.E.l.p.18, entrée "alcool").

Malgré les efforts des auteurs de produire de l'authentique, les énoncés souffrent d'une simplification interactionnelle due à une réduction minimale de la valeur dialogique des échanges. Le lexicographe va droit au but que lui impose le traitement de la vedette et, de fait, l'acte de parole apparaît un peu à nu, non enveloppé de ce qui entoure généralement sa réalisation et permet à l'interaction d'exister, La valorisation de l'unité dialogique simplifiée question question / réponse occultée ou assertion / absence de réplique ou encore question / réponse tient à la difficulté de rendre compte de la complexité interactionnelle dans un dictionnaire. Selon E. Goffman[9], l'unité conversationnelle question / réponse ou assertion / réplique est insatisfaisante car elle ne permet pas de tenir compte à la fois du verbal et du non-verbal, des contraintes systémiques (bruit dans un lieu public par exemple), ritualistes et sémantico-linguistiques. A cet égard, l'hypertrophie kinésique généralement observée dans les illustratlons, surtout au niveau l, liée au parti-pris de l'humour et à la volonté de faciliter l'accès au sens étranger, semble pallier cette simplification interactionnelle.

[9] E. Goffman (1981) Forms of talk, Oxford, Basil Blackwell Publisher, P. 52 (cité par G. de Salins (1988) Une approche ethnographique de la communication, Paris, Hatier-Crédif, coll. LAL, P. 30).

Ainsi, le temps est un matériau culturel partagé par la communauté: c'est le temps formel, objectif: jour, semaine, mois, année.

De ce tronçonnage emergent des repères valables pour la collectivité entière: l'alternance des jours fériés et des journées de travail; le rythme annuel s'articule autour de dates rituelles (Noël, 14 juillet, les vacances etc.) qui s'intègrent à la culture ordinaire des Français. Même réduit, ce corpus laisse filtrer un discours sur des pratiques communautaires partagées sur le temps.

3-2-2- Polyphonie énonciative et simplification interactionnelle

Les exemples d'emploi foisonnent d'énonciation diverses, témoignant de la volonté des auteurs, dès le niveau 1, de se rapprocher, autant que faire se peut, du dialogue naturel, dans des situations simples et quotidiennes. Cette polyphonie énonciative, liée à l'objectif des concepteurs des D.F.I.E. de produire coûte que coûte du vrai dialogue en situation, a cependant ses limites.

En réalité, le dialogue n'existe pas, il est tronqué: le plus souvent, un seul énonciateur prend la parole sans personne pour lui répondre. Cela tient probablement au parti-pris de sélectivité lexicale qu'un véritable mini-dialogue rendrait caduc et à des contraintes de format et de contenu évidentes, On constate que les auteurs ont surmonté cette difficult en recourant à trois types d'énoncés:

A-l'énoncé assertif ou exclamatif, autosuffisant puiqu'il ne nécessite pas de réponse d'un interlocuteur: " Je vais à la pharmacie et je reviens " (D.F.L.E.l, p. 19, entrée "aller" ou: cette odeur de frites me dégoûte! " (D.F.L.E.2, p. 268, entrée "dégoûter") ou encore: "cette année, on a eu un été très chaud" (D.F.L.E.1p.98, entrée "chaud").

B- l'énoncé interrogatif, dont la réponse importe peu, mais qui suppose un interlocuteur: " Il y a combien d'élèves dans ce lycée ?" (D.F.L.E.2, P. 568, entrée "lycée") où est-ce que Jacqueline est allée hier soir ?" D.F.L.E.l, p. 19, entrée "aller").

: Le dimanche de Pâques, la tradition c'est d'offrir des oeufs en chocolat.

: Pâques tombe en mars cette année.

commentaire sémantique: Pâques est avec Noël, une des deux grandes fêtes chrétiennes et tombe toujours un dimanche; en France, le lundi de Pâques est un jour férié.

"Samedi", P. 856:jour: le samedi après midi, la plupart des Francais ne travaillent pas.

:Tous les samedis, il emmène ses enfants à la campagne.

Vacances", p. 966: où passez-vous vos vacances d'été? : quand partez-vous en vacances? -le 05 juillet.

Commentaire sémantique: en France, les vacances scolaires sont celles de Noel (fin décembre), de février, de Pâques et les grandes vacances (du premier juillet à la mi-septembre).

* Vendredi", P. 971: Jour: tous les vendredis, ils vont au théâtre.

: autrefois, on ne mangeait pas de viande le vendredi.

L'observation de ce corpus d'exemples tirés d'une quinzaine d'entrées du D.F.L.E. 2 nous renseigne d'ores et déjà sur la structure et la signification de notre systême-temps,sur celle des intervalles de temps propres à la culture française qui est chrétienne. "Le rapport au temps est multiforme, souligne G. Zarate[(8)], et varie selon la communauté culturelle ou s'inserit le point de vue de celui qui énonce: les membres d'une communauté définie en termes d'appartenance locale, professionnelle ou generationnelle balisent chacun l'axe du temps de repères autour desquels le groupe s'identifie".

(8) G. Zarate (1986
Paris, Hachette, P. 59.

: À l'automne", vers le quinze octbre, nous mettrons le chauffage en marche.

* "Dimanche", P.303: jour: on ne travaille pas le dimanche.

: tous les dimanches, ils partent à la campagne.

Commentaire sémantique: le dimanche est le septièeme jour de la Semaine. C'est un jour férié. Avec le samedi, il forme le week-end.

* "été", P.383: saison: aprèes le printemps, c'est l'été, le temps des vacances.

: Cet été, on va sur la Côte d'Azur pour tout le mois d'août.

: les enfants ont leurs grandes vacances en été.

Commentaire sémantique: l'été est une saison qui commence le 21 ou 22 juin et dure jusqu'au 22 ou 23 septembre. L'été est en France, la saison chaude; c'est aussi le moment des vacances. En période d'été Paris se vide.

"Jeudi", P. 535: jour: nous sommes jeudi 30 octobre, à la veille des vacances de la Toussaint.

"Juillet", P.540: mois: nous sommes aujourd'hui le 14 juillet, la fête nationale. C'est ùn jour de congé.

:vous partez en vacances en juillet ou en août, cette année?

* "Juin", P. 540: mois: l'été commence le 21 juin.

: les examens commencent dès juin prochain.

* "lundi", P. 568: beaucoup de commerçants sont fermés le lundi

: tous les lundis, j'ai du mal à me lever pour aller travailler.

* "mercredi". P. 599: jour: les enfants ne vont pas à l'école le mercredi.

* "Pâques" p. 674: fête: les vacances de Pâques approchent, vous allez partir cette année?

pris pour argent comptant par l'apprenant et va peut-être alimenter ou déclencher des stéréotypes.

De même, un énoncé tel que: " Dans l'autobus, il est interdit de parler au chauffeur D.F.L.E.1, entrée " chauffeur", p. 99) a toutes les chances d'être considéré comme un modèle culturel pour l'apprenant quand le natif, lui, aurait immédiatement tendance à tempérer cette affirmation.

Pour cautionner, s'il est besoin, l'affirmation selon laquelle l'exemple d'emploi fonctionne comme une assertion culturelle, on a tenté de repérer comment le système-temps est conçu à travers le D.F.L.E.2 et comment il est transmis à un public d'apprenants. Pour ce faire, on a sélectionné un certain nombre d'entrées du

Dictionnaire exprimant un rapport présumé au temps et on a dressé la liste des exemples d'emploi figurant sous ces entrées. A partir de ce mini-corpus, on a dégagé les informations, ostensibles ou non, qu'il délivre sur le système-temps.

MINI-CORPUS

* "Année", P.48: l'année commence au premier janvier et se termine au 31 décembre.

: L'année scolaire commence en septembre et se termine en juin.

: Le soir du 31 décembre, on se souhaite tous une bonne année.

: on a fait de 1975 l'année de la femme.

* "Anniversaire", P.48: Danielle a quinze ans aujourd'hui: c'est son anniversaire.

: C'est demain notre cinquièeme anniversaire de mariage, tu te souviens de la date!

*"Automne", P.85: saison: mais oui, après "L'été, c'est l'automne, on est toujours un peu triste de rentrer.

phraséologiques selon le modèle de description. On remarque que les exemples forgés peuvent être grossièrement classés selon leur nature linguistique et la nature de leurs contenus. Il n'est pas rare en effet et à travers le projet didactique lui-même, de déceler des fragments d'idéologie dans l'univers des exemples forgés." La réintroduction du sujet d'énonciation, érivent J.et C. Dubois [7], se fait aussi, d'une manière inconsciente, par le choix et la fabrication des exemples: d'une façon ou d'une autre, les exemples, qui ont à la fois une fonction linguistique et une signification culturelle, engagent l'éthique et l'esthétique des lexicographes. Ils forment un ensemble d'assertion sur le monde, qui implique une idéologie, celle d'une communauté à laquelle le lexicographe s'identifie, mais aussi une manière personnelle de juger des phrases et des messages qui s'y trouvent ".

Ainsi lorsqu'il a à définir un mot, le lexicographe est fatalement influencé par les stéréotypes et les contraintes sociales.

Généralement, seule la valeur denotative du mot figure dans

La définition. Les connotations se cachent dans les exemples d'emploi et dans les citations. C'est dire que l'exemple d'emploi des D.F.L.E. 1 et 2 a un double travail à assumer: donner la composante dénotative du mot puis qu'il fait office de définition, tout en ne pouvant s'empêcher de véhiculer une série d'informations diverses ressortant de la connotation ou de la charge culturelle.

Il n'est pas difficile d'imaginer que l'usager étranger des D.F.L.E. 1 et 2 ou de tout monolingue de F.L.E. risque d'ériger l'exemple d'emploi au rang de modèle, parfois seul repère pour lui qui cherche à se frayer un chemin au milieu d'une langue-culture inconnue. Ainsi, l'exemple suivant: " Pour un Français, des langues telles que l'italien ou l'anglais sont plus faciles à apprendre que l'allemand " (D.F.L.E. l'entrée" tel que + nom ", P. 709) est

[7] J; etC. Dubois (1971) Introduction à la lexicographie: le dictionnaire, Paris, Larousse.P.99.

apparat dictionnairique,[6],chaque dictionnaire signale sa personnalité par des textes hors nomenclature qui concernent la description de la langue.

Sélection, choix, réduction, limitation, vocabulaire fondamental ou de base, voilà ce qui revient le plus souvent dans les préfaces de ces dictionnaires. Cependant, s'ils sont partis du Français Fondamental, les auteurs ont dépassé ses limites et les critères démarcatifs de ces dictionnaires n'apparaissent pas toujours clairement. On peut dire que les auteurs sont tiraillés entre les imperatifs de sélection hérités du Français Fondamental et la volonte' d'aller vers une plus grande richesse lexicale. Cette liberté prise par rapport au Français Fondamental se retrouve dans les mots cachés des parties commentaires. Le recours abondant à l'image rappelle l'influence des méthodes audio visuelles; elle doit être à même de décrire une situation suggérant une ou plusieurs phrases, où le mot illustré joue le rôle de théme. C'est le parti-pris de l'humour que les

auteurs ont adopté en matière d'illustration car, précisent-ils, " l'apprentissage d'une langue n'est pas inconciliable avec l'humour ou le rire" (préface,niveau 1,P.VII).

Quant au public visé, les auteurs expliquent qu'ils s'adressent à des étrangers, élèves de premier puis de second niveau, apprenants de langue française.

On peut dire que le titre des ouvrages est d'ailleurs fort explicite par rapport aux autres monolingues existants.

3-2 Etude analytique: une culture à travers un dictionnaire

3-2-1 L'importance de l'exemple d'emploi

L'exemple d'emploi est de première importance dans les D.F.L.E.1 et 2 puis qu'il tient lieu de définition et constitue le corps même de l'article. L'exemple produit ad-hoc est la règle de ces dictionnaires d'apprentissage; sa fonction est de rendre compte du comportement des éléments lexicaux et

(6) J. Rey-Debove (1971) Etude linguistique et sémiotique des dictionnaires français contemporains, La Haye, Mouton, P. 55.

Ajoutons que sur les sept monolingues de F.L.E. parus depuis 1958. les dictionnaires de F.L.E.1 et 2 sont les derniers nés (1978 pour le niveau 1 et 1979 pour le niveau 2). C'est le seul dictionnaire composé de deux volumes, complémentaires mais autonomes. Dans la mesure cependant où l'inspiration est la même les remarques qu'on fera pour l'un vaudront également pour l'autre.

Remarquons tout d'abord le souci des auteurs d'allier constamment au niveau 1 comme au niveau 2,le lexique et la syntaxe. C'est considérer le dictionnaire comme autre chose qu'un simple index alphabétique, qu'une liste de mots isolés. Le sens des mots est explicité à travers des exemples d'emploi, phrases claires et appropriées sans recours à des définitions comme c'est généralement le cas. L'objectif présenté dans la préface du niveau 1 et 11 d'assurer la connaissance d'un lexique et d'une syntaxe de base et de permettre le passage à la maîtrise de l'expression écrite et parlée" autrement dit de constituer un réseau syntacticosémantique devant permettre aux usagers de faire fonctionner eux-mêmes la langue. L'accent est mis sur une autonomisation progressive de l'apprentissage. Pour le niveau 2,les objectifs pointés dans la préface sont" d'assurer, sur la base des acquisitions du niveau 1, la comprehension et la production de textes très divers et la maîtrise du français courant, écrit et parlé ". IL en résulte qu'on y a privilégié les categories du verbe, de l'adjectif et des dérivés abstraits au détriment des substantifs concrets: " le lexique thématique usuel est présenté à travers des noms, verbes et adjectifs qui traduisent les expériences de la vie sociale les plus communément rencontrées par les citadins "(preface niveau 1 P.X).

Quant à l'originalité de ces deux dictionnaires, elle se présente sous la forme de deux dispositifs: des commentaires de type grammatical, sémantique et lexical'partie explicative de l'article. le plus souvent très riche, et une annexe grammaticale de 74 pages de conception nouvelle au niveau 2. " paratexte ","

depuis le règne de l'approche communicative sur l'enseignement-apprentissage du F.L.E., plus aucun dictionnaire n'a été publié. Cette mise à l'écart du monolingue de F.L.E. peut s'expliquer aussi par l'attrait que représente le manuel, en tête

Des outils didactiques utilisés en classe. La coût d'un tel objet est invoqué également.

Aussi incombe-t-il à l'enseignant de restaurer l'image de ce type de dictionnaire bien que le peu d'usage qui en soit fait actuellement, en classe comme en auto-apprentissage et l'absence de publications récentes, plaide pour une remise en question préalable de ces outils, tels qu'ils ont été conçus.

3- LES DICTIONNAIRES DE F.L.E. DE J. DUBOIS, NIVEAUX 1 ET 2

3-1 Présentation générale

La position inconfortable et l'impopularité du monolingue aujourd'hui nous ont paru dignes d'intérêt." Il n'est pas possible qu'un véritable dictionnaire critique existe et c'est pourquoi la critique des dictionnaires nous est indispensable"[5].

Seule la critique des outils existants peut permettre de proposer des matériels didactiques plus élaborés et mieux adaptés aux nouvelles exigences de la didactique en matière de la description de la langue et de la culture.

D-David, J (1974) Dictionnaire fondamental pour l'Afrique, Paris,Didier. 421 pages. 4727 mots.

E-Verdol j (1974) Dictionnaire du françaisn facile, Paris, Hachette, 186 pages, 300 mots.

Suite F-Dubois, J (1978) Dictionnaire du français langue étrangère, niveau 1, Paris,,Larousse,911 pages,2581 mots d'entrées,7700 mots au total.

G-Dubois, J (1979) Dictionnaire du français langue étrangère, niveau 2, Paris. larousse, 1088 pages, 10000 mots au total.

(5) A.Rey (1989) " Le français et les dictionnaires aujourd'hui "in Lexiques,coordonné par A.Ibrahim.Paris.Hachette.P.17.

sont raisonnés et cohérents entre eux, plus un tel usuel reflète, dans certains domaines, des attitudes et des valeurs communément acceptées ou présentées comme telles. Le dictionnaire est donc. Aussi un produit culturel".

Ainsi, le dictionnaire doit témoigner d'une réalité empirique complexe. Cette réalité, " ensemble d'activités et de systèmes

Langagiers et culturels" est une "sémiotique", affirment A.Rey et S.Delésalle[2]. "Quant au dictionnaire lui-même, c'est un texte méta-sémiotique ". En effet, le dictionnaire s'articule sur deux plans: celui de l'expression," une langue et son lexique, des usager et leurs vocabulaires, certains discours et leurs occurences "et un plan du contenu" c'est à dire " un univers exprimé, des visions culturelles du monde, des articulations conceptuelles correspondant à des classes extentionnelles"[3].

2- MISE A L'ECART DU MONOLINGUE DE FRANCAIS LANGUE ETRANGERE (F. L. E.)

Le monolingue de F.L.E. repose sur un paradoxe qui mérite d'être souligné: il existe bel et bien, mais ne joue pratiquement aucun Rôle, à l'heure actuelle, dans l'enseignement-apprentissage de la langue-culture en milieu scolaire; autrement dit, il n'a pas encore trouvé son public. Des raisons structurelles peuvent expliquer cette impopularité. S'il ne peut véritablement remplir sa fonction de dépannage, c'est qu'il date de l'époque sélective du Français Fondamental, et que, de fait, sa nomenclature est trop réduite. Sept monolingues de F.L.E. ont pourtant vu le jour entre 1958 et 1979[4]; mais

[2] A.Rey / S.Delesalle (1979)," Problèmes et conflits lexicographicques" in langue française, n°43, Paris, Larousse, P.5.
[3] Ibid, P-9.
[4] Liste de monolingues existants classés par ordre de publication: A-Gougenheim, G (1958) Dictionnaire fondamental, Paris, Didier, 283 pages, 3000 mots.
B-Fourré, P (1962) Premier dictionnaire en images, Paris, Didier,
273 pages, 1500 mots.
C-Matoré, G (1963) Dicionnaire du vocabulaire essentiel, Paris, Larousse. 355 pages, 5000 mots.

Introduction

Tout d'abord, il convient d'expliciter le lien qui se trouve entre dictionnaire monolingue de français langue étrangère et culture. Etant donné que le dictionnaire, quel qu'il soit (monolingue ou bilingue) se donne pour vocation première d'informer sur la langue et que la langue et la culture sont étroitement liées, on peut formuler l'hypothèse suivante:

Le dictionnaire constitue un lieu privilégié d'observation de la culture.

Dans ce sens, on s'attachera à la présentation de deux monolingues de français langue étrangère existants, les Dictinnaires de Français Langue Etrangère, niveaux 1 et 2,conçus par J.Dubois et son équipe il y a déjà une quinzaine d'années et on analysera le discours singulier qu'ils tiennent sur la culture.

1-LE DICTIONNAIRE: UN LIEU PRIVIIEGIE D'OBSERVATION DE LA CULTURE.

On peut dire que le dictionnaire jouit d'un double statut: il est à la fois un outil didactique et un objet culturel; objet culturel de par son contenu, révélateur de choix lexicographiques mais aussi de choix sociaux, et de par les représentations qu'il suscite chez ses usagers comme chez les non usagers.

Un dictionnaire de langue, par nature, mais aussi pour des raisons matérielles évidentes, n'échappe pas.

à l'arbitraire Toute Tentative pour neutraliser le savoir compilé dans le dictionnaire laisse transparaitre des jugements de valeur ou des comportements. J.C. Beacco[1] souligne 'a ce propos que toute entreprise lexicographique transparente tendra.non à effacer,mais à réduire la portée de ces décisions aux formes et aux conséquences multiples (....). Moins les

[1] J.C.Beacco (1984)," La civilisation du dictionnaire in Le Français dans le Monde, n° 188 Paris, Hachette, P.72.

Introduction

L. Apprentissage D'une Culture à travers des dictionnaires (D.L.F.E).

Dr. Mohamed Kheir Fawal
Faculté de letters
Univercité de Damas

Résumé

On peut dire que le dictionnaire jouit d'un double statut: Il est un outil didactique et un objet culturel; object culturiel de par son contenn, révélateur de choix lexeicographiques et sociaux, et de par les représentations qu'il suscite chez ses usagers comme chez les non usagers.
Le dictionnaire est un produit culturel. Il n'est pas possible qu'un veritable dictionnaire critique existe et c'est pourquoi la critique des dictionnaires est indispensable.

labour market after their return, with an average length of time of four months of waiting.
Kinship and interactional elements played their role also in the emigration process of the returned rural, migrants. Nearly half of them had relatives/villagers abroad, two-thirds of this last group received help in the forms of search for work, accomodation, visas and lending money. The great majority of them consulted their wives/mothers befor deciding to accept a job abroad and received a great encouragement from them. Likewise, they consulted, in lesser degrees, their fathers. brothers and mothers-in-law on the same matter. The study indicated clearly the growing role of the new clear family at the expense of the extended family in this regard.

With respect to family interaction, the returned rural emigrant had a continuous and regular interaction with his family and village. The predominant majority of them spent their yearly vacations at their villages. Their visits ranged from one visit every two years to five visits yearly. Their vacations lasted from one week to wix weeks yearly. About one-third of their wives/ mothers visited their husbands/ sons abroad, and spent with them from one-month to more than four years. About three-quarters of those who visited their husbands/sons abroad, stayed more than two years with them

For the paper in Arabic language see the pages (٢٩٣-٢٨١).

strata of villages of large, medium and small sizes in the district. At each village, the purpose sample procedure was followed in collecting data. from households. All areas at each village were represented. Data was collected by a questionnaire - interview that was designed and developed especially for the purpose of the study.

The results show that migration of returned rural Jordanians for employment from abroad was. a large extent selective on the basis of sex, age, occupation but not on education. Almost all of the emigrants were males, and most of them -at the time of the interview- were over forty years of age with a median and a mean for all ages of (40) and (42) years respectively. However, the emigrants were poorly educated with an average of (6.3) years of schooling. Ninety-five percent of them worked in the public and service sectors abroad, where Saudi Arabia was their first employer. The results were in congruence with findings from other foreign and Arab studies in this regard.

The study also shows that the emigrant's predominant reasons for emigration were pecuniary, the peak of their emigration was between 1974-1979, the previous work experience in the homeland was essential in securing a job abroad, more than three-fourths of them had had their work contracts in their hands before they left their villages, through government secondment, relatives /villagers abroad and an employment agency. The peak of their return was between 1980-1985, where (72.8%) of them returned home, and their average length of stay abroad was (4.7) years. The main objective reasons for their return were contract termination by employer, reduction of wages, and bad treatment abroad; personal reasons include familial. matters, education of children, secured enough savings for basic needs, and sickness. The great majority of them were absorbed by the Jordanian

The Returning Rural Emigrants

Dr. Ali Al-Zughl
Department of Sociology
Faculty of Letters
Yarmouk University

Abstract

The purpose of this study was to discover the main social characteristics of returned rural emigrants from employment abroad from villages of North-West Irbid in 1985. It also aimed at analyzing their emigration process represented by (1) some of its objective elements - seasons and years of migration, previous.work experience at homeland, means of work arrangements abroad, reasons and years of return, length of working period abroad, and length of time between return to Jordan and re-entry into the labour force; (2) by its kinship and interactional elements - The presence of an immediate relative /villager abroad and the kinds of help provided by them, consulting relatives before accepting a job abroad, mutual visits between the returned migrant when he, was abroad and his wife /mother and their frequency and duration as well as the wife/mother's visits to her husband /son and their duration. The study included (151) returned rural migrant households constituting (74.41%) of the total returned rural migrants in six villages, from the North-West district of Irbid. The farthest village is less than 22 km's from Irbid. The villages were chosen randomly to represent the

Au début de 1984, ce systéme a été mis en application, Ainsi en 1985 le premier volume de (la bibliographie national Syrienne) a été sorti pour l'année 1984, comportant ce qui suit:

1-Description signalitique de touts les publications qu'a reçues la bibliothéque pendant l'année 1984, selon le systéme du dépôt légal.

2-Toutes les publications Syriennes recueillies par la bibliothéque pendant les années précédentes.

Dans ce bulletin, le but de la description signalitique des publications éditeés dans les années précédentes, est de combler le marque dans l'enregistrment des imprimés Syriens sortis entre le dernier bulletin de 1974 et la derniére sortie de la bibliographie nationale Syrienne.

Le bulletin de (la biblioraphie national Syrienne) de 1984 s'est appuée- dans la description bibliographique des oeuvres- sur les régles de la codification Internationale de la description bibliographique (ISBD), ila également adopté, dans l'organisation fondamentale des matiéres bibliographiques, le plan de classification modifiée du Deiwi, les oeuvres ont été recueillies et classifiees selone les codes de ce plan. Les oeuvres ont été dans la même catégorie du code, classifiés alphabétiquement selone le nom de l'écrivain, et s'ily a plusieurs du même écrivain et avec le même code, la classification est alors alphabétique selon le titre.

Et les ouvrages ont généralement pris des numéros consécutifs afin de faciliter la recherche dans les index annéxés.

Ce bulletin a compris les index suivants:

- *Index alphabétique selon le nom des écrivains et participants.*
- *Index alphabétique selon le titre.*
- *Index alphabétique selon le sujet.*
- *Index alphabétique selon le maison d'édition.*

Dans le but de couvrir les années précédentes, c'est à dire avant l'année 1984, la bibliothéque nationale Assad prépare maintenant la bibliographie nationale de la période précédent, dans plusieurs volumes, toutes les publications Syriennes publiée avant cette année

*For the paper in Arabic language see the pages (٢٢٤-٢٠٥).

La Bibliographie nationale Syrienne

Dr. Nizar Oyoun El-Soud
Department of Libarviarship
Faculty of letters -Damascus University

Résumé

Malheureusement, les publications et la production intellectuelle dans les differents domaines du savoir en Syrie n'ont déjà étè recueillies,classées et connues par une bibliographie nationale au vrai sens du mot.

Bien qhe l'arrété législatif numéro(35) paru le 8 octobre 1949 ait mis les bases du systéme du dépôt légal, il n'a pourtant été traduit en bibliographie nationale enregistrant le patrimoine du pays arabe syrien dans les divers domaines de la science ,du savoir et de la production intellectuelle.

Un bulletin a été publié par le ministère de la culture à Damas essayant couvrir toutes les publications en Syrie sorties entre 1970 et 1974, mais ces bulletins n'ont pas en effet couvert toutes les publications du pays, car l'institution qui sortait le bulletin n'obtenait pas des examplaires obligatoires de tout ce qui avait été publié en Syrie, c'est pourquoi la liste manquait des références et ne répondait pas à l'objectif requis de la bibliographie nationale.

La bibliothéque Assad (la bibliothéque national du pays Arab Syrien) a été inaugureé le 16 novembre 1983, constituant une réalisation culturelle importante en Syrie et répondant au besoin urgent d'une bibliothéque, national moderne.

Avec cette bibliothéque, le systém du dépôt légal est mis en oeuvre. L'articl 17 du décret de la création de la bibliothéque exigede tout auteur Syrien publiant ses oeuvres dans ou hors du pays d'y déposer cinq examplaires.

La musique dans La Nausée

Dr. Maha Bayari
Département de Français
Faculté des lettres
Université de Damas

Résumé

La musique occupe une place importante dans le roman de Jean-Paul Sartre (1905-1980) la Nausée (1938). Elle est nécessaire, tandis que l' existence est contingente selon Antoine Roquentin le héros du roman.
Pour analyser cette relation, nous nous sommes appuyés sur le carré sémiotique (aléthique), c'est-à-dire le niveau profond dans le parcours génératif du sens selon A.J.Greimas.
Chacun des deux termes du carré avec les verbes modaux (schéma I) est susceptible de recevoir une dénomination substantielle (schéma 2)

Devoir être	*Devoir ne pas être*	*Nécessité*	*Impossiblité*
Ne pas devoir ne pas être	*Ne pas devoir être*	*Possibilité*	*contingence*
(1)		*(2)*	

La nécessité est donc la négation de la contingence du point de vue logique, ainsi que leur forme modale "devoir être" et "ne pas devoir être".
La musique s'impose comme nécessaire et apparaît dans trois scènes et quelques brèves apparitions, tandis que l'existence est contingente et occupe une grande partie du roman.
Les deux termes "nécessité" "contingence" sont mentionnés soit explicitement, soit implicitement, c'est-à-dire nous pouvons trouver le terme qui manque par la négation du premier.
De là les deux termes se complètent et la musique s'impose malgré la brièveté de son apparition comme un espoir pour sauver le Héros de la nausée

For the paper in Arabic language the pages (٢٠٤-١٨١)

there are three sorts of land that are not cultivable and its fertility is trivial: they are desert, plaster and salty land. The human factors, however, have similar effect on Agriculture. They are manifested in various pillars: population, capitals, market, technological and scientific progress, and also in transports and agricultural policy of the country.

All have direct or indirect effects. Thus, the abundance of field lands, and great plenty of capitals and markets, besides provision of agricultural requirements, all participate to make agriculture developed and prosperous. However the falling down of prices and diminishing of machines, raising the costs, all often restrict the growth of agriculture.

Although the natural and human conditions are abundant, there are still some problems of which Syrian agriculture suffers, and in effect, prevent its development, problems such as salty land, building, expanding the buildings that covers cultivable lands, dispossession, problem of marketing, shortage of the agricultural technology and machinery. Such problems are not easy to solve, however they are not impossible to overcome. The proper solutions seem to be available only through concentrating on the causes of these problems, otherwise, problems will expand and we shall, in effect, fail to solve any of them.

Finally it can be said that since agriculture and its products are essential facts to our national economy, we must do our best in order to fulfill what we and all world people pursue, that is, food security.

For the paper in Arabic language the pages (١٧٩-١٢٥)

Syrian Agriculture
Its Components and Problems

Dr. Muhamad Safita
Department of Geography
Damascus Univercity

Abstract

More than ten thousand years ago Syria knew Agriculture. It was found in its evens, valleys and also around its springs. Nowadays, however, agriculture extends to include most of its lands.
We can trace a group of components, which lead to its growth and development, and other problems, which restricted its development for some time. Such components can be divided into twofold combination of natural and human factors. The natural factors have four major pillars: position, manifestation of surface, climate and soil. But their effects vary from one geographical environment to another. It is generally agreed that Syria can be described by its various relief, nevertheless it has many evens. Agriculture is much easier in flat lands than it is in hill and mountain areas. Syria's position on the Mediterranean Sea creates a perfect climate, which has four seasons. They are respectively Summer, Winter, Spring and Autumn. The first two seasons are very long, the others are Transitory. Wet and dry weather affect agriculture too much. So the quantity of water in Syria is a little, and its distribution differs from area to another, so much so that this quantity does not exceed 24 billion of cubic meters. Most of it (69%) exists in land surveying about 11.6% from the totality of the country. As regards the Syrian soil, we may notice various kinds, e. g., red land, brown land, yellow one, also alluvial land, besides

The Sufis and Time and Timing

Dr. Sultan A. al-Ma'ani
Department of Archaeology
Faculty of Letters
Mu'tah University

Abstract

This study is a contribution to the understanding of the pre-Islamic Arab's dating.
The Safaitic inscription show that the Safaitics have been dated in more than one method, for examples:

1. ***a few dates, reckoned according to the period of Bosra, the capital of provincia Arabia.***
2. ***The Safaitic inscriptions bear evidence of relations with Nabataean, Palmyrians, Thamudians, Jews, and Romans. Some inscriptions refer to political events; e.g. snt hrb nbt "the year of the Nabataean war".***
3. ***Dating with digital system; e.g. snt lll "in the year 3".***
4. ***Dating by the reign of a king; e.g. snt mlk rb'l "the year of the (Nabataean) king Rab 'el".***

In adition to the political events, which were reflected from the studing of dates in the Safaitic inscriptions, this research shed light on the way of life in the Society, too

For the paper in Arabic language see the pages (١٢٣-٦٧)

Andalusian Pottery of Granada

Dr. Khaled Ghunim
Department of Archaeology
Faculty of Letters
Damascus University

Abstract

The printed pottery is the one which has a decoration made by the pressing of a stamp that has certain ornamental content on the pottery while it is soft. In this way we get an image of this stamp on the soft pottery.

Such Kind of decoration could be seen on the pottery jars which are used for keeping water. The impressions on these jars appear pressed together and consecutive in decorative lines that have horizontal or vertical rectangular shapes.

These patterns date back to the Omayyad era in Cordova. They prevail remarkably during the Mowahidi state and develop increasingly during the Nassiri rule in Granada. However, the patterns vanish along with Nassiri rule, but they persist in North Africa up to the end of 17th century A.D.

This pottery is rich in its decorative subjects which show the significance of the written topics in Al-Kufi writing. The most famous of the words used are: Al-Wafa a, Al-Baraka, Al-Mulk, Al-Mulk lahu, Kamila, Afiya, Al-Salama, Al-Yumn, Al-Hamd, Al-Gibta, Al-Sukr, Al-Iz and Al-Sa ada.

There are, also, subjects written in Al-Naskhi writing. The most impotant words used are: Al-Yumn, Al-Baraka, Al-Iz lillah and Al-Gibta.

These topics studied are divided into the following eras:

1. *Topics which date back from 12th century to the early years of the 13th century A.D., during the Mowahidi era.*
2. *Topics during the transition period between Mowahidi and Nassiri eras. (13th century A.D.)*
3. Topics during the Nassiri era. (from 13th century to 15th century A.D.)

'For the paper in Arabic language see the pages (٤٥-٦٥).

Statistical Analytical study of Rainfalls in Some Places in Syria

Dr. Nader Syam
Department of Geography
Faculty of Letters
Damascus University

Abstract

A study of the rainfall trends in twenty meteorological stations in Syria has shown that these trends must be statistically tested for significance to see whether or not they havė occurred by chance. The trends must not be adopted at all without this test.
It has been seen that trends obtained by the running mean method are not suitable, and it is better to use, for this purpose, the mathematical methods like the semi-means and straight-line regression (least squares) methods, which can statistically be tested for significance.
The study has shown that there are 6 stations having increasing rainfall trends, and 14 stations having decreasing rainfall trends. But all of them are not statistically significant or true. They occur by mere chance

'For the paper in Arabic language see the pages (٤٤-٩).

CONTENTS

Damascus – University Journal
For Arts and Human and Educational Sciences V14 – Number (2) 1998

DAMASCUS UNIVERSITY

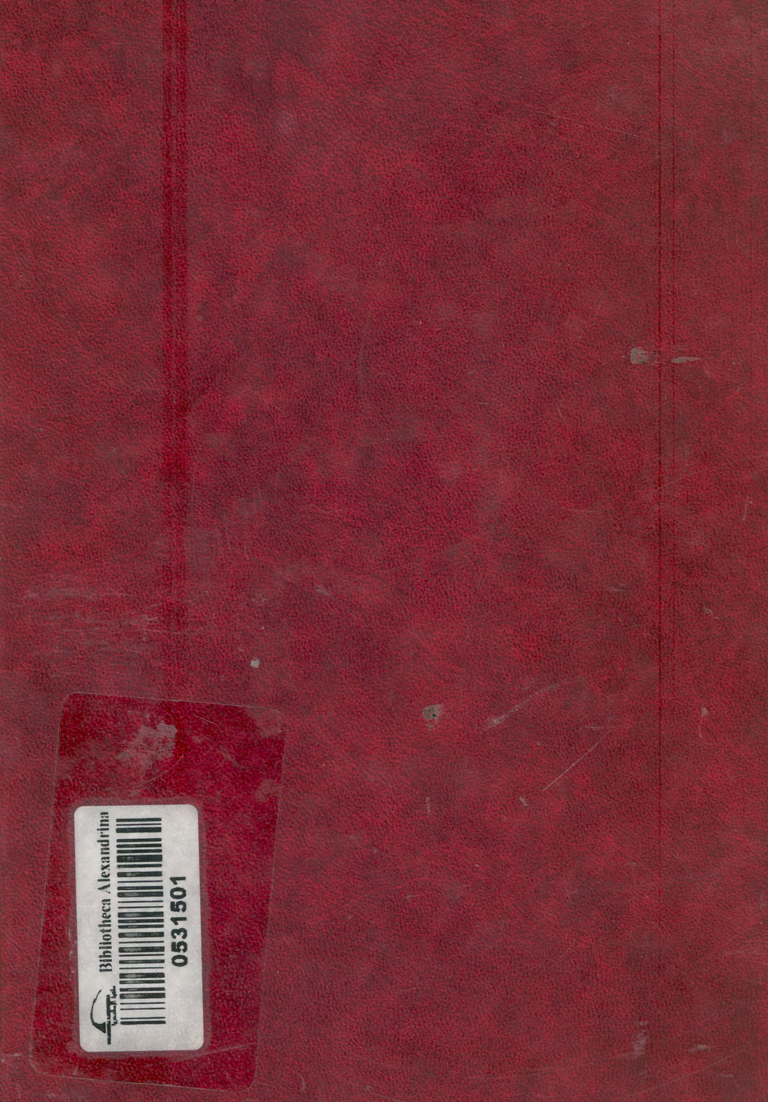
JOURNAL

FOR THE ARTS AND HUMAN AND EDUCATIONAL SCIENCES



A Refereed Research Journal

VOL. 14 – NO. 2 - 1998


Bibliotheca Alexandrina
0531501